الجامعة المصرية

مجلة

كلية الآداب

المجلد الثاني — الجزء الثاني ديسمبر سنة ١٩٣٤

موضوعات القسم العربي

صحيفة

موضوعات القسم الأوروبي

كتاب جواهر الكلام (مختصر كتاب المواقف)

للشيخ عضد الدين الأيجى

صححه ونشره لأول مرة مع تعليقات وإضافات تشرح معانيه

أبو العلاء عفيفى

مقدمة الناشر

لا أظننى فى حاجة إلى التعريف بالقاضى عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الأيجى المتوفى سنة ٧٥٦ هـ سنة ١٣٥٥ م ولا بكتابه المعروف « بالمواقف العضدية » الذى يعتبر بحق أجل وأجمع مؤلف فى علم الكلام فى القرن الثامن الهجرى كما كان يفهم علم الكلام متكلمو ذلك العصر ؛ ولكنى فى حاجة إلى التعريف بمختصر جليل لكتاب « المواقف » ألفه الأيجى نفسه وجعله مفتاحاً لتلك السفر العظيم وسماه « جواهر الكلام »

عثرت على هذا المختصر أنا وزميلى الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق فى نسخ خطية بدار الكتب المصرية فعقدت النية على نشر المتن أولا ، ثم نشره ثانياً مع شرح الشيخ ابراهيم الحلبى [1] عليه ، وذلك لمكانة مؤلفه فى ذلك العلم من جهة ، ومن جهة أخرى لأنه يلخص فى نحو ثلاثين صفحة ما نجده فى المواقف وشرحها للسيد الشريف الجرجانى فى ثمانية مجلدات . وقد اكتفى المؤلف فى « جواهر الكلام » بذكر المسائل التى خاض فيها فى المواقف ، من مقدمات عامة ، ومن مباحث كلامية وفلسفية طبيعية وإلهية ، ومن مباحث فى السمعيات وما إلى

(١) توفى الشيخ ابراهيم الحلبي سنة ١١٩٠ هـ راجع ترجمته فى كتاب سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر للمرادى حـ ١ ص ٣٧ - ٣٩ . أما الشرح فعنوانه « سلك النظام فى شرح جواهر الكلام » وله ذكر فى كتاب كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون للحاج خليفه : المجلد السابع ص ٤١٩ رقم ٧٤٧

ذلك ، مشيراً إلى مذاهب المتكلمين والفلاسفة إشارات قد لا تزيد على مجرد الرمز أحياناً ، تاركا المناقشات الطويلة والحجج والاعتراضات والردود عليها جانباً .

وتكفى الأشارة إلى حجم « جواهر الكلام » مع جمعه لكل موضوع مطروق فى « المواقف » عدا الجزء الأخير منه — وهو مبحث الفرق — لأيضاح نوع الاختزال الذى لجأ إليه المؤلف ، فانه اختزال بالغ مبلغ الأخلال فى أكثر أجزاء الكتاب

قرأت المتن فوجدتنى مضطراً إلى تبويبه وتصنيف موضوعاته ، ووضع جمل تفسيرية توضح ألغازه وتشرح معانيه — وذلك ماتراه من العبارات الموضوعة بين الأقواس المربعة [ ] ؛ وعلقت عليها بما عن لى من التعليقات بعد أن راجعت كتاب المواقف وشرحه ، وشرح الحلبى المذكور وغيرهما من كتب علم الكلام والفلسفة الأسلامية . وبهذه الأضافات والتعليقات زاد حجم الكتاب إلى الضعف ، ولكن لم يكن بد من ذلك وإلا استحال فهم المتن لو أنه نشر وحده .

وقد نحا المؤلف فى هذا المختصر نفس النحو الذى نحاه فى المواقف من أسلوب وترتيب للمسائل وعرض لها واصطلاحات حتى أتى صورة مصغرة دقيقة مطابقة لأصلها .

أما شرح الحلبى على هذا الكتاب فقد لاحظت عليه أمرين :

أولهما : أن النسخة التى بين أيدينا وهى النسخة التى أخذت مكتبة الجامعة المصرية لها صورة شمسية من مخطوط بدار الكتب (رقم ٨٢٠ كلام) ليست بخط المؤلف على الرغم من أنها تنتهى بالعبارة الآتية « وكان الفراغ يوم الاثنين لعشرين من رمضان سنة ١١٥٢ على يد مؤلفه الفقير ابراهيم الحلبى » ، لأنها مملوءة بأخطاء شتى وأنواع مختلفة من التحريف فى اللغة والاصطلاحات ، وكثيرا ما يتجاوز ذلك إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مما يحمل على الاعتقاد بأن ناسخها لم تكن له دراية بما نسخ ، وأنه إنما نقل نسخة المؤلف برمتها بما فى ذلك العبارة الختامية المذكورة .

ثانيهما : أن هذا الشرح لا يعدو كونه مجموعة عبارات مقتبسة من المواقف وشرحها أخذها الشيخ ابراهيم الحلبي بنصها ولم أجده حاد عنها أو تصرف فيها فى أى جزء من أجزاء الكتاب .

لهذا الاعتبار الأخير لا أجد الآن مبررا لنشر شرح الحلبي لأن المواقف وشرحه منشوران متداولان — أما المتن فله قيمته الخاصه .

هذا «ولجواهر الكلام» نسخة خطية فى مكتبة أيا صوفيا باستنبول أشار إليها بروكلمان حـ ٢ ص ٢٠٩ ورقمها A. S. 2281 لم تتح لى فرصة لمراجعتها . أما النسخ الموجودة بدار الكتب المصرية والتى اعتمدت عليها فى نشر هذا الكتاب فهى :

(١) مختصر المواقف المسمى بجواهر الكلام وشرحه سلك النظام لابراهيم الحلبي : مخطوط رقم ٨٢٠ يحتوى المتن وحده ؛ والمتن مع الشرح وقد أخذت له نسختان بالفوتوستات بمكتبة الجامعة المصرية .

(٢) مخطوط آخر (رقم ٥٩ توحيد) وليس فيه نص على اسم مؤلفه ولا تاريخ له

(٣) مخطوط ثالث (رقم ٨٣٩ توحيد) وفيه نص صريح على اسم مؤلفه وعلى أنه ألفه ليكون مختصرا لكتابه المواقف [١] .

وليس هناك فروق جوهرية بين عبارات هذه المخطوطات ، وإن كانت توجد فروق غير جديرة بالتقييد ؛ لذلك اعتمدت خاصة على المتن الموجود بالمخطوط الأول لبعده عن التحريف وقربه من المواقف نفسه .

ملاحظة : قد استعملت نوعين من الأرقام فى هذا الكتاب نوع موضوع فوق كلماته وهو يشير إلى الهوامش ؛ وآخر وهو يشير إلى أرقام صفحات المخطوط الذى نقلت عنه .

---

(١) وهذا أحدث هذه المخطوطات الثلاثة : كتب سنة ١٣٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى علم بالقلم علم الأنسان ما لم يعلم ، وصلى الله على نبيه محمد وسلم .
هذه « جواهر الكلام » نظمتها فى سلك الاختصار لتسهيل الحفظ والاستظهار والضبط والاستحضار ، فمن أراد أن يكون ذا حظ وافر من الصناعة كانه ، ومن رام الارتقاء إلى ذروتها العليا أعانه ، وخدمت بها حضرة من أحاط من الكمال بشطريه ، وحاز المجد من طرفيه ، فهو الطود الأشم الذى يناطح قمة الجوزاء والشجرة الطيبة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، سلطان الوزراء فى العالم ، مستخدم أرباب السيف والقلم ، غياث الدنيا والدين وابن رشيدهما محمد المحمود سره وعلنه فى الملأين وابن حميدهما لازالت الأفلاك متابعة لهواه ، والأقدار متحرية لرضاه :
والله أسأل أن ينفع به أنه ولى التوفيق .

فصل المقدمات

« الكلام » علم يقتدر معه على أثبات العقائد الدينية بأيراد الحجج ودفع الشبه .
وموضوعه المعلوم من حيث يتعلق به ذلك(١) : والعلم صفة توجب تمييزاً بين المعانى لا يحتمل النقيض (٢) ؛ وقيل اعتقاد جازم مطابق لموجب : و [قالت] الحكماء [هو] حصول صورة الشىء فى العقل . ومن قال [العلم] ضرورى (٣) أذ كل يعلم وجوده ضرورة ، وأذ به يعرف غيره فلو عرف بغيره دار ، لم يفرق بين حصوله وتصوره . وقول الأمام (٤) والغزالى إنه يعرف بقسمة أو مثال بعيد (٥) . وهو

(١) يشير إلى ما ذكر وهو أثبات العقائد الدينية بأيراد الحجج الخ
(٢) هذا رأى جمهور المتكلمين وهو تعريف يتناول التصور الكلى والتصديق اليقينى ويخرج به الادراك الحسى كما يخرج الظن والشك والوهم
(٣) وهو قول الامام الرازي
(٤) هو أمام الحرمين أبو المعالى الجوينى
(٥) « بقسمة » أى بقسمة تميزه عن غيره — « أو بمثال » كأن يقال العلم هو كعلمنا بان الكل أكبر من الجز مثلا

بلا حكم تصور ، ومعه تصديق : وكلاهما [ينقسم إلى] ضرورى غير مقدور للمخلوق و [إلى] كسبي يقابله وهو النظرى [وهو] ما يتضمنه النظر الصحيح[١]. وقيل يساويه عادة . وقيل الكل ضرورى [٢] . فمن سلم توقفه على النظر فمنازع فى التسمية ، وغيره إن أراد عدم وقوعه بالنظر أو بقدرتنا فرأينا [٣] ، وألا فمكابر . وقيل التصور [وحده ضرورى] لأنه معلوم أو مغفول عنه ، ومُنِعَ بل يعلم من وجه و [الوجه] الآخر ليس مجهولا مطلقاً ؛ ولأن تعريفه أما بجميع (٣) أجزائه وهو نفسه ، أو ببعض فيعرف نفسه والخارجَ ، أو بالخارج ويتوقف على العلم باختصاصه ، وفيه معرفته ومعرفة ما عداه مفصلا : ورُدَّ بأن جميع الأجزاء أذا استحضرت مرتبة فهى الماهية كما [هو الحال] فى الأعيان . ولا يلزم من تقدم كل تقدمه : والجزء قد يعرف بديهة أو بمعرف آخر [٤] والخارج يجب اختصاصه لا العلم به ، وهو يتوقف على تصوره بوجه ما ، وما عداه باعتبار شامل [٥]: وقيل [٦] [الضرورى] ما اعتقاده لازم لئلا يلزم تكليف الغافل ، والواجب [فى كون الشخص مكلفاً] تعقله لاعتقاده وإلا لزم الدور . و [قال] بعض الجهمية : الكل نظرى للخلو [٧]: ولا توجب القدرة و النظر [ذلك العلم] ، ويلزمهم الدور أو التسلسل.

ثم أنكر قوم الحسيات إذ يغلط [الحس] كثيراً كفى [كما فى] بياض الثلج والنائم والمبرسم [٨] وتشابه الأمثال . و [أنكر] قوم البديهات للقدح فى

---

(١) هذه عبارة القاضى الباقلانى

(٢) وهو قول الامام الرازى : راجع الرازى فى المحصل

(٣) رأى الأشاعرة القائلين بأن الله يخلق العلم فى الانسان خلقا عقيب نظره فى الأمور

(٤) هذا رد على الشق الثانى

(٥) هذا رد على الشق الثالث

(٦) وهو قول منسوب إلى الجاحظ وأتباعه

(٧) أى لخلو النفس عن المعلوم فى أصل فطرتها

(٨) البرسام بالكسر علة يهذى فيها والمبرسم المريض بها

أجلاها [١] بتعذر تصور المعدوم ، و [بتعذر] تميزه وإلا فثابت و [بتعذر] الحمل إذ يوجب اتحاد الاثنين ، و [يوجب] اللغو ، وبأثبات الواسطة ، ولأن العاديات مثلها ، و [هى] تحتمل النقيض للقادر المختار [٢] أو للشكل الغريب [٣] ، ولتعارض [الأدلة] القواطع ،لو حينا ، ولظهور الخطأ بعد القطع ، ولتأثير الأمزجة والعادات فى الاعتقادات .

و [أنكرت] السوفسطائية كليهما ، فيلتزمون الشك و لو فى الشك . والجواب [أن يقال لهم هل تميزون بين الألم واللذة فأن أبوا إلا] التزامه فالتعذيب [٤] :

[تعريف النظر والاختلاف فى إفادته العلم]

ثم النظر ترتيب أمور معلومة أو مظنونة للتأدى إلى أخر [٥] ؛ وقيل تجريد الذهن عن الغفلات ؛ وقيل تحديق العقل نحو المعقولات . وصحيحه ، وهو ما صحت مادته وصورته ، يفيد العلم ضرورة ، وقد يختلف فيه القليل .

والضروريات قد تتفاوت لا لاحتمال النقيض ، أو [قد تفيد التفاوت] نظراً ولا دور [فى ذلك] . ونفيه [أى النظر] به تناقض . [وصحيح النظر يفيد العلم ضرورة] خلافاً للسمنية . وما يظهر خطؤه [من النظر] غير المبحث . وتحصل المقدمتان [فى الذهن] كطرفى الشرطية . وينتفى المعارض [للشىء المعلوم بالنظر] بمجرده فلا تسلسل : و [خلافاً أيضاً] للمهندسين [الذين ينكرون أن النظر يفيد العلم] فى الألهيات و [الجواب أنها تتصور بوجه ما . و [أما]

---

(١) يعنى قانون التناقض القائل بأن الشىء أما أن يكون أولا يكون أو أن النفى والاثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان .

(٢) وهو رأى المتكلمين

(٣) وهو رأى الفلاسفة والمراد بالوضع الغريب الوضع الفلكى الغريب

(٤) أي إن أبوا إلا التزام الشك فى معرفة الفرق بين اللذة والألم فيعذبون لكى يعترفوا بالألم وهو من الحسيات

(٥) وهو رأى أرباب التعاليم

الخلاف فى هوية [الأنسان] [الذى يحتجون به فـ] دليل العسر [فى معرفة الهوية لا غير] . و [خلافاً] للملاحدة [القائلين لا يفيد النظر المعرفة بالله] بلا معلم . و [أما كثرة] الاختلاف [فى المعرفة فراجعة] لفساد بعض الأنظار . والاحتياج [إلى معلم] فى العلوم الضعيفة [كالنحو والعروض] ، بمعنى العسر ، [مسلم به] .

[كيفية إفادة النظر الصحيح للعلم]

و [قال] الشيخ [الأشعرى] عادة [١] . و [قالت] الحكماء إعداداً ، و [قالت] المعتزلة توليداً [٢] لا تذكرة لعلة فارقة بينهما ؛ فالقياس [الفقهى الذى ألزم الأشاعرة به المعتزلة] وَهْمٌ .

وقيل [العلم الحاصل عقيب النظر] واجب غير متولد [٣] ، والأصول تنفيه .

[شرط النظر]

وشرطه عدم العلم [بالمطلوب] و [عدم] الجهل المركب [به] . [و] فى الدليل الثانى [إذا استدل على مطلوب بأدلة متعددة] يطلب وجه لدلالته [لا للعلم به]

[النظر فى معرفة الله تعالى]

والنظر فى معرفة الله تعالى واجب إجماعا ، فعندنا [واجب] سمعاً لقوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا . و [قالت] المعتزلة [واجب] عقلا وإلا أفحم الأنبياء ، وهو [تعليل] مشترك [بين الوجوب السمعى والوجوب العقلى] .

---

(١) أى بأجراء العادة وهى خلق الله سبحانه وتعالى الأشياء بعضها عقيب بعض فاذا كان صدور فعل منه تعالى دائماً أو أكثرياً يقال فعله بأجراء العادة وإذا لم يتكرر أو تكرر قليلا فهو خارق للعادة . وإفادة النظر العلم فى رأى الأشعرى من النوع الأول

(٢) قارن المحصل للرازى ص ٢٨ — ٢٩

(٣) اختاره الرازى وقيل أخذه من القاضى الباقلانى وإمام الحرمين

والوجوب لا يتوقف على العلم به . ولا يلتفت إلى قول بعض الظاهرية إنه بدعة . وقد نهى النبي عليه السلام عن الجدل وقال (٤) عليكم بدين العجائز :

[الاختلاف فى أول واجب على المكلَّف]

والنزاع فى أول واجب [على المكلف أهو] المعرفة أو النظر أو القصد إليه [١] [نزاع] لفظى لا [أن الواجب هو] الشك لأن الوجوب [فى المعرفة] مقيد به

و [النظر] الفاسد لا يتضمن الجهل [مطلقاً] أذ لاوجه دلالة [عقلية كما فى حالة النظر الصحيح المستلزم للعلم] . أما نظر المحقق فى الشبهة [التى يوردها المبطل] فكنظر المبطل فى الحجة [التى يوردها المحقق] ؛ ووجوب الاعتقاد مشترك [بين الحالتين] . وقيل يتضمنه ضرورة ، وقيل إن فسد من المادة .

[الاختلاف فيما اعتبر شرطا للنظر]

وأوجب ابن سينا التفطن[٢] للاندراج [بين المقدمات] فأن عُنىَ [بهذا الشرط] غير اجتماع المقدمتين [فى الذهن] منع ولا يلزمه التسلسل إذ ليست مقدمة [٣]

[الاختلاف فى دلالة الدليل على المدلول]

وفى تغاير العلم بالمدلول و [العلم] بوجه الدلالة تردد

---

(١) أنه المعرفة قول الأكثرية ومنهم الأشعرى ، وأنه النظر قول المعتزلة وأبى إسحاق الأسفرائينى وأنه القصد إلى النظر قول أبى هاشم

(٢) أى التنبه إلى الارتباط الموجود بين المقدمات فى الأقيسة مثلا

(٣) يرد على الرازى الذى يقول إن العلم بان إحدى المقدمتين مندرجة فى الأخرى تصديق جديد مغاير للتصديق بالكبرى والصغرى فلو وجب العلم به كان مقدمة أخرى منضمة إلى مقدمتى القياس

[الطريق الذى يقع فيـــه النظر]

ثم الطريق [تعريفه أنه] ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب ، إما تصورى وهو المعرف أو تصديقى وهو الدليل . وقد يخص [اسم] الدليل بالقطعى ، و [يسمى الدليل] الظنى أمارة ؛ و [قد يخص أيضاً] بما [يكون الاستدلال فيه] من المعلول [على العـلة] [(١)] والعكس [وهو ما كان الاستدلال فيه من العلة على المعلول] تعليل [(٢)]

[أقسام الدليل]

والدليل [قسمان] عقلى ونقلى أى مركب [من العقلى والنقلى] إذ صدق الخبر إنما يثبت بالعقل ، فما أمكن [ولم يمتنع إثباته ولا نفيه] يثبت بالنقل ، وما يتوقف عليه النقل فبالعقل [ثبوته] وإلا فبهما

و [الدلائل] النقلية قد تفيد القطع فى الشرعيات وأن توقف [ذلك] على الظنيات ، [وإنما تفيده فى الشرعيات] لقرينة مشاهدة أو متواترة ، وفى [إفادتها القطع فى] العقليات نظر ، إذ لو وجد معارض عقلى قُدِّمَ : إذ إبطال الأصل [وهو العقل] بالفرع [وهو النقل] إبطال لهما .

الأمور العامة [التى لا تختص بقسم من أقسام الموجود دون غيره]

[أقسام المعلوم]

المعلوم إما موجود أى له تحقق ، أو معدوم . وقيل المتحقق تبعاً حال [وهو الواسطة] وهو صفة لموجود لا موجودة ولا معدومة . و [ذهب] أكثر المعتزلة [إلى أن] المتحقق فى نفسه ثابت ، وغيره منفى ، والكائن فى الأعيان موجود فهو أخص من الثابت ، وغيره معدوم فهو أعم من المنفى . و [ذهب]

---

(١) وهذا هو البرهان الآنى

(٢) وهو البرهان اللمى

بعضهم [إلى أن] الكائن تبعا حالٌ . و [قالت] الحكماء ما يصح أن يعلم معدوم لا تحقق له بوجه ما ، أو موجود ذهنى منحاز لا بهوية [شخصية] ، أو [موجود] خارجى : واجب لا يقبل العدم لذاته ، أو ممكن جوهر موجود لا فى موضوع أى محل مقوّمٍ ، أو عرض .

و [قال] المتكلمون الموجود ماله تحقق فى الخارج [وهو] قديم لا أول له أو حادث [وينقسم إلى] متحيز أى مشار إليه بالذات بهنا وهناك وهو الجوهر ، او حال فيه اى مختص به تتحد الأشارة إليهما وهو العرض، أوْ لا [متحيز أو حال فى متحيز] ولم يثبت [وجوده عندنا] ؛ ونفيه لأنه لو وجد لشاركه البارى فيه [فى هذا الوصف] وما يزه بغيره فتركب [البارى] ؛و [القول] بأنه أخص صفاته [تعالى] ضعيف .

[فصل فى الوجود والعدم]

ثم الوجود بديهى و [إنما] تعريفه تنبيه على المراد [بلفظ الوجود] من [بين سائر] المتصورات . واستدل [على بداهته] بأنه جزء وجودى [1] وهو بديهى ، أو [بأنه لابد من الانتهاء إلى] وجود دليل ، أو [الانتهاء] فيه إلى [قضية] موجبة حكم فيها بوجود المحمول . ومنع بداهة حقيقته ؛ و [أما] التصديق [«أنا موجود» فبديهى ولكنه] لا يستلزمها وهو فرع الاشتراك . والبديهى [هو نفس] الدليل [لا وجوده] والحمل بهوهو [2] وقد لا يوجدان [3]

و [استدل كذلك] بأن الحد [يكون] بالأجزاء فهى [أذن] أمثاله [ومساوية له] أو علله ومعروضاته [ويكون الوجود عارضاً لها]

---

(١) أى وجودى أنا الشخصي

(٢) أى بأن ما صدق عليه الموضوع هو ما صدق عليه المحمول فى القضية الحملية

(٣) المراد الموضوع والمحمول كما فى قولنا شريك البارى ممتنع

والرسم قاصر [عن تعريف الكنه] ولا أعرف منه [١] . وينتقض [استدلالكم على نفى الحد] بالمركبات [الأخرى] ؛ و [قولكم فهى أمثاله] فرع تماثل الوجودات ، و [الوجود] هو بمجموعها . و [رد على نفى] الرسم [بأنه] قد يفيد الكنه . و [القول بأن الوجود] لا أعرف [منه] مصادرة .

وقيل لا يتصور [الوجود] لأنه [يعقل] بتميزه [عن غيره] و [هذا التميز] هو [أنه] ليس غيرَه ، وأنه سلب يعقل بعد الوجود ، قلنا [إنه يتصور] لا بمعرفة تميزه .

وقيل [تصوره كسبى لأنه] إما الماهية أو عارضها [وقد تصور] تبعاً لها : ومنعت الثانيه . أو [نقول] يتبع [تعقله] تعقل ماهية ما [معينة] لا منتشره ، إذ يعود الكلام فيها . و [الوجود] هو [معنى] مشترك [بين الموجودات بأسرها] للجزم به مع التردد فى الخصوصيات ، وللقسمة ، [ومورد القسمة مشترك بين أقسام الوجود ، والجزم والقسمة ثابتان] عقلا لا [أنه لا يقبل القسمة] لاتحاد مقابله [وهو العدم] ذلكل حقيقة نفى يقابلها ، وليس فى نفيه [أى نفى اشتراك الوجود] عموماً إثباته فأنه لا يقتضى وجود الموضوع [فى القضية السالبة]

[فصل فى أن الوجود نفس الماهية أوجزؤها أو زائد عليها]

قال الشيخ [الأشعرى] وأبو الحسين [البصرى من المعتزلة] هو نفس الحقيقة وإلا قام بالمعدوم ، ومنع [بقولهم إن الأمر] كالأعراض تقوم بالحقيقة من حيث هى [٢] وضرورة المسبوقية بالوجود [كائنة] فى غيره [من الصفات الثبوتية

---

(١) من الوجود فلا يعرف بحد ولا رسم

(٢) أى لا من حيث إنه لم تكن الاعرض قائمة بها ثم قامت و كذلك القول فى الوجود : نقول إنه قائم بالحقيقة من حيث هى لا من حيث إنها معدومة ثم وجدت

الوجودية] إذ الضرورة [فيه] فارقة ؛ وقد لا يزيد وجود الوجود [على الوجود] فيتسلسل [١]

و [قالت] الحكماء [إن الوجود عين الماهية] فى الواجب وإلا علل بها فتقدم عليه بالوجود ؛ ومنع كالقابل والمقوِّم و [أجاب الحكماء بأن] الفرق [بين هذه الثلاثة] ضرورى . وقيل [إن الوجود] زائد [فى الواجب والممكن] : أما فى الممكنات فلأنها تقبل العدم ومع الوجود تأباه ، وأذ نعقلها ونشك فى وجودها ولو ذهنا ، ولأفادة الحمل ، و [لأنه] لو دخل [فى الماهية لجزء لها] فأعم الذاتيات ، لجنس ، فيتسلسل فصوله :

وأما [زيادة الوجود على الماهية] فى الواجب فلأن تجرده [عن الماهية وقيامه بنفسه إما لأمر] منفصل أو لمجرده [وكلاهما باطل] و [لأنه لو كان مجرداً قائماً بنفسه لكانت] مبدئيته [للممكنات تكون] مع التجرد وهو عدم ، أو [لا تكون مبدئيته مع التجرد بل] تعم [فيكون كل موجود مبدأ لكل موجود حتى نفسه وعلله] ولو بشرط [٢] . و [القول بأن] كونه [عبارة عن] وجوده الخاص لا يشفى . والتشكيك وجواز التخالف [فى الموجودات] كالماهية والشخص يدفعهما [٣]

[الخلاف فى تميز العدمات]

والعدمات تمايز كعدم الشرط و [كعدم] الضد وغيرهما ؛ وقيل لا إذ لا أشارة أليها فلا تعقل ؛ وقيل [هذا القول] تناقض . والحق أنه فرع [الخلاف فى]

---

(١) وقوله « ضرورية المسبوقية بالوجود فى غيره » رد على من قال إن الوجود لو لم يكن عين الماهية للزم أن يكون للماهية وجود قبل أن يلحقها الوجود فيلزم كون الشيء موجوداً مرتين — وقوله « وقد لا يزيد الخ » رد على حجتهم بأن الوجود لو لم يكن عين الماهية بل كان زائداً عليها للزم أن يكون له وجود ويتسلسل

(٢) جواب لمن قال لم لا يجوز أن يكون التجرد شرطاً لتأثير الواجب لا جزءاً منه

(٣) يشير إلي الدليلين السابقين فى إثبات أن الوجود زائد على الماهية فى الواجب

الوجود الذهنى . ثم فرق بين مفهوم [المعدوم] وما صدق عليه .

[فصل فى هل المعدوم شىء أم لا]

قال غير أبى الحسين [البصرى] والعلاف من المعتزلة [إن] المعدوم الممكن شىء ؛ والثابت من كل نوع أفراد غير متناهية ؛ و [يلزم من قولهم هذا] أنه ينفى المقدورية و [يلزم أيضاً أن] يكون المعدوم أعم من المنفى فـ [هو] غيره فـ [هو ثابت] فكذا المنفى [ثابت] لصدقه عليه ؛ و [لا يمكنهم الاستدلال بأن] التمييز [يوجب الثبوت فأنه] لا يوجبه كما أذا وافقونا عليه [فى الممتنعات] .

[الوجه الثانى لهم هو أن المعدوم متصف بالأمكان وهو صفة ثبوتية] و [لكن] الأمكان [اعتبار] عقلى .

[من الأمور المتفرعة على القول بأن المعدوم شىء ثابت]

قال غير [أبى إسحق] بن عياش [من المعتزلة القائلين بأثبات العدمات إن] لها صفات الأجناس [كالجوهرية والعرضية والسوادية الخ] . فالعائدة [من هذه الصفات] إلى الجملة [هى صفة] الحياة وما يتبعها [كالعلم والأرادة وغيرهما] ؛ و [العائد منها] إلى التفصيل [إما صفات للجواهر أو للأعراض] : أما [صفات] الجواهر فالحاصلة [منها] حالتى الوجود والعدم [صفة] الجوهرية ؛ وما [يحصل منها] بالفاعل [صفة] الوجود ؛ وما يتبعه [صفة] التحيز ، والمشروط الحصول فى الحيز (١) ؛ وأما [صفات الأجناس] للأعراض فالثلاثة الأول . وقيل الجوهرية [هى نفس] التحيز . وابن عياش ينفيهما حال العدم ؛ والشحام يثبتهما مع الحصول فى الحيز والبصرى دونه و يثبت العدمَ .

وقالوا [إنه] بعد العلم بأن للعالم صانعاً عالماً قادراً حياً يحتاج ألى إثباته بالدليل ، والحال بطلانه ضرورى .

---

(١) تسمى صفة التحيز « بالكون » وصفة الحصول فى الحيز أى اختصاص الجوهر بحيز معين بصفة الكائنية

[القول فى الحال أو الواسطة بين الموجود والمعدوم]

فأن غير التفسير [فى معنى الموجود والمعدوم] فـ [النزاع] لفظى . و [أما الحال فقد] أثبته الأمام [الجوينى] أولا ، والقاضى [الباقلانى] وأبو هاشم [من المعتزلة] [وذلك] كالوجود أذ لا يتصف به و [لا] بنقيضه [وهو العدم] : ومُنِعَا . و [قالوا الحال أيضاً] كاللونيه وإلا قام المعنى بالمعنى [كما فى حالة اللون الأسود وقابضيته للبصر التى هى فصله] و [إن] التزم [قيام المعنى بالمعنى فلا يلزم محال] ، أو [على التسليم بأنه محال لا يلزم قولهم لأن] التميز [بين أى لون وفصله] ذهنى [لا خارجى] . ولا يمتنع صورتان [ذهنيتان] لبسيط باستعدادين [نفسيين] أو شرطين [مختلفين] .

[أقسام الحال]

وقسموه إلى معلّل وغيره . [و] قالوا الذوات بها تمايز . ويلزمهم الترجيح بلا مرجح لا التسلسل فى الأحوال (٦) فان الحال سلب ويمتنع اتصافه بالتماثل والاختلاف . ولالتزام التسلسل وجه .

[مباحث الماهية]

ثم لكل شىء حقيقة [1] هو بها هو ، مغايرة لما عداها لزم أو فارق . فليست من حيث هى أحد النقيضين [كالوجود والعدم والواحد والكثرة الخ] . لا أنها من حيث هى ليست [أحد النقيضين] . وأنسانية زيد ليست التى فى عمرو ولا غيرهما . وهى مع الغير [تسمى] مخلوطة و [تسمى] بشرط و [هذه] توجد [فى الخارج] . و [أذا أخذت] بقيد التجريد [تسمى] بشرط لا [شىء أو تسمى مجردة] ولا توجد إلا فى الذهن إذ لا حجر فى التصورات .

---

(١) الحقيقة إما جزئية وهى الهوية وقد تطلق الهوية ويراد بها الوجود الخارجى : او كلية وهى الماهية.

والمطلقة [هى التى أخذت] لا بشرط (شىء) وتعممها [أى المطلقة المخلوطة والمجردة] فتوجد [فى الخارج] ، فبطل [بذلك] المثل [الأفلاطونية][١]

والماهية [إما] بسيطة أو مركبة تنتهى إليها ، أذ فى العدد ولو غير متناه [يوجد] الواحد .

[تقسيم أجزاء الماهية المركبة]

والأجزاء [التى للماهية] إما متداخلة بعضها أعم [من الآخر عموماً] مطلقاً و [حينئذ فهو إما] مقوِّم [للأخص] أوْ لا . أو [يكون العموم والخصوص] من وجه . وإما [أن تكون الأجزاء] متباينة كالشىء مع علة من [العلل] الأربع ، أو [مع] معلول أو [مع] غيرهما . وهى [إما] متشابهة أو متخالفة عقلية أو خارجية ؛ وأيضاً وجودية حقيقية أو أضافية أو مختلطة به أوْ لاَ .

[هل الماهيات الممكنة مجعولة ؟]

وقيل الماهيات غير مجعولة لامتناع السلب [٢] . ومنع [امتناع سلب الشىء عن نفسه] : فالكاذب [والمحال هو] العدول [كقولنا الأنسانية لا إنسانية] . وقيل البسائط [من الماهيات هى غير المجعولة] إذ الأمكان إضافة بين الشيئين [والبسيط ليس فيه شيئان] . و [اعترض بأنه] لا يتعين الجزء [فى التعدد] فلعله [وهو التعدد] باعتبار الوجود ، [فأن البسيط له ماهية و وجود فيعرض الأمكان للماهية البسيطة بالنسبة إلى الوجود . فالأمكان يقتضى شيئين لا جزءين حتى يستحيل عروضه للبسيط] و [اعترض أيضاً بأن قولكم بعدم مجعولية البسائط] ينفى المجعولية رأساً .

---

(١) لأن نظرية أفلاطون تقول بأن الماهيات المجردة ، وهى المثل ، موجودة فى الخارج

(٢) أى سلب الشىء عن نفسه : وفى حالتنا هذه ألا تكون الماهيات فى حد ذاتها ماهيات وهذا يلزم فى نظر بعضهم من فرض الماهيات مجعولة وفى حالة رفع فاعلها

[المركب]

والمركب إما ذات [إن قام بنفسه] فيقوم جزء منه بآخر ، أو صفة [إن قام بغيره] فهما [يقومان] بثالث [غير المركب] ، أو [يقوم] أحدهما [بذلك الثالث] و [يقوم] الآخر [بالجزء القائم] به

[الماهية المركبة]

و [التركيب فى الماهية] يثبته الاشتراك [مع غيرها] فى ذاتى ، والاختلاف [عن ذلك الغير] بآخر [ذاتى أيضاً] لا عارض ولا سلب . ولا بد [فى تركيب الماهية الحقيقية] من حاجة [الأجزاء بعضها إلى بعض ، وذلك الاحتياج إما من الجانبين] بلا دور كصورة المعجون و [كصورة] العسكر . قيل [الماهية المركبة من الجنس والفصل حقيقية فلا بد أن تكون بينهما حاجة] فأحدهما علة [للآخر] وليس [يمكن أن يكون ذلك الأحد] الجنس لعدم الاستلزام ، فهو الفصل [(١)] . فلا يتعاكس [الجنس مع الفصل فيكون الجنس جنساً لماهية ما ثم ينعكس الأمر فيكون الفصل جنساً للماهية نفسها والجنس فصلا لها] . ولا يتعدد القريب منه ؛ ولا يقوِّم جنسين أو نوعين . ورد بأن المحتاج إليه [هو العلة] الناقصة و [هى] لا تستلزم [المعلول وإنما المستلزم له العلة التامة]

والعام مع زيادة محصله نوع . ودونها جزء . ومطلقاً محمول . والحمل ملاحظة الجهتين . والتعين غير الماهية لاشتراكها [بين كثيرين] دونه . وهو موجود [فى الخارج] لأنه جزء المعين ، لا للزوم كونه عدم مثله [وهو العدم] [(٢)] اذ العدمى

---

(١) أى أن الفصل علة للجنس إذ الجنس لا يتحقق ولا يتحصل بدونه

(٢) وهى حجة الرازى فى وجود التعين . راجع المواقف ج ٣ ص ٩١ . قال لو كان التعين عدمياً لكان إما عدما مطلقا وهو باطل ، وإما عدما مضافا وحينئذ إما أن يكون عدما للاتعين العدمى فيكون هو وجودياً او عدما لتعين آخر فذلك الآخر إن كان عدما فهو عدم العدم فهو موجود .

[غير العدم بل العدمى هو] ما ليس ثبوته لموصوفه بوجوده [له].

والمتكلم [واحد المتكلمين] إذ ظنه متميزاً عنها فى الخارج. منع[١] للزوم الدور والتسلسل [بتوقف انضمامه إلى الماهية على تميزها وتوقف تميزها على انضمامه إليها]. وإذ قيل إن علل بالماهية انحصر نوعها فى شخصها وإلا تعدد بالقوابل وما يكتنفها فيلزم التسلسل فى القوابل أو انحصارها فى الشخص.

[فى الوجوب والأمكان والامتناع]

ثم الوجوب والأمكان والامتناع [تصورات] ضرورية، وتعريفاتها دورية. وأعرفها أقربها من الوجود وهو الوجوب. وقد تكون [هذه الثلاثة] جهات [للقضايا]، والمبحث [هنا] غيرها. وإلا [بأن كانت جهات للقضايا] فلوازم الماهيات واجبة لذواتها [مع أن الواجب حملها عليها]. و [هذه الثلاثة] هى والقدم والحدوث اعتبارية [لا وجود لها فى الخارج]. والا تسلسل : وكذا كل ما تكرر نوعه[٢] و [كل] ما سبق الوجود [فهما أيضاً اعتباريان وإلا تسلسلا]

[هل الوجوب والأمكان والامتناع صفات وجودية ؟]

وقيل [إنها ما عدا الامتناع] وجودية : [أولا] أذ نقيضها عدم لصدقه على المعدوم، [ثانياً] لتحققها [ما عدا الامتناع، فى نفسها : سواء] وجد فرض [من عقل] أم لا، [ثالثاً قولنا] هو لا كلا هو.[٣] ونقضت بالامتناع [فهو ثابت لموصوفه غير موجود]

---

(١) أى قال المتكلمون إن التعين أمر عدمى

(٢) ما تكرر نوعه أى ما اتصف أى شخص يفرض منه بمفهومه حتى يوجد ذلك النوع فيه مرتين مرة على أنه حقيقته ومرة على أنه صفته — وكل ما سبق الوجود أى وجود الشىء كالحدوث والذاتية والعرضية الخ.

(٣) أى قولنا أمكان الممكن لا — أى عدمى — يساوى قولنا لا أمكان له أى لا فرق بين الأمكان المنفى ونفى الأمكان، فلو كان الأمكان عدمياً لم يكن الممكن ممكناً وهذا رأى ابن سينا

[الوجوب الذاتى]

والوجوب الذاتى ينافى الغيرى و[ينافى] التركيب وإلا احتاج إلى جزئه وهو غيره ، و [ينافى أيضاً] الزيادة [على الماهية] لو ثبت [وجوده فى الخارج] وإلا وجب بوجوب علته ، و [ينافى] الشركة وألا تمايزا بتعين فتركبا . لا [ينافى الوجوب الذاتى] وجوب صفاته ، ولا يلزم احتياج [الواجب إلى الغير لأن صفاته ليست غيره] .

[الممكن لذاته]

والأمكان [الذاتى] محوج ألى السبب ضرورة . والعدم إن قبل الترجيح فلعدم العلة . ولا يلزم [استناد] الوجود [إلى العدم] للضرورة . والأيجاد للموجود كالحدوث [للصفات الحادثة] : [وهو حاصل] ولو حال البقاء ، أى دوامه لدوامه ، فليس تحصيلا لحاصل أو [تحصيلا لأمر] متجدد .

وليس المحوج [للممكن إلى السبب هو] الحدوث ولا شطره ولا شرطه لتأخره بمراتب [1] . ولا طرف [من طرفى الممكن وهما الوجود والعدم] أولى به و إلا احتاج إلى انتفاء سبب الآخر : وفيه بحث .

[الممكن لا يكون أحد طرفيه — وهما الوجود والعدم — أولى به لذاته]

وقيل العدم أولى بالموجودات [الممكنة] السالبه [2]

[للممكن وجوبان وجوب سابق ووجوب لاحق]

[إن أولوية الوجود الناشئة من علة الممكن إن لم تصل إلى حد الوجوب

---

(١) وفى العبارة تقديم وتأخير ومعناها وليس المحوج ولا جزء منه ولا شرطه هو الحدوث لتأخر الحدوث : « قارن المواقف » وشرحها حـ ٣ ص ١٦١

(٢) فى «المواقف» السيالة بدل السالبه وهذا أصح لأن المراد بها الأمور غير القارّة كالحركة والزمان الخ. راجع المواقف ج ٣ ص ١٦٥

كانت غير كافية فى وجوده] فيعرضه وجوب سابق [على وجوده] ولاحق بشرط المحمول ولا ينافيانه [من حيث إمكانه الذاتى] .

[لزوم الأمكان للممكن]

وهو لازم للماهية وإلا ارتفع الأمان [عن حكم العقل بوجوب الواجب واستحالة المستحيل وجواز الجائز] .

[أبحاث القدم]

والقدم [للممكن] يمنع تأثير [الفاعل] المختار لسبق القصد إلى إيجاده [و] لا [يمنع تأثير] الموجب اتفاقا فيهما [1] : وللمناقشة مجال .

ويثبت [القدم] لذات الله تعالى ولصفاته . والمعتزلة قالوا به معنى . [و] لا [يثبت القدم] لغيرهما . وكُفِّرت النصارى لأنهم وأن لم يسموا الأقانيم ذوات [فأنهم] قالوا انتقلت . وأثبت الحرنانيون [من المجوس القدم لخمسة] للبارى والنفس والهيولى والدهر والفضاء .

[أبحاث الحدوث]

والحدوث [هو] المسبوقية بالعدم . وقيل بالغير . قال الحكماء يستدعى مادة وهى محل إمكانه أى [إمكانه] الاستعدادى ، و [هو] يغاير [الأمكان] الذاتى ، إذ الأول يتفاوت قرباً وبعداً و [يستدعى] مدة بها تقدم عدمه وتعاقب استعداداته .

[مبحث الوحدة والكثرة]

ثم الوحدة والكثرة تغايران الوجود والماهية إذ يقبلانهما . واختلف فى

(١) الظاهر أنها « منهما » أى المتكلمين والحكماء إذ جوزوا جميعاً استناد القديم إلى الفاعل الموجب : هذا على فرض أن المتكلمين سلموا كونه تعالى موجباً : قارن المواقف ٣ ص ١٧٩

وجودهما [فى الخارج] (١) وتقابلهما [إنما يكون] لأضافة عرضت . ويقوم العدد بوحداته لا [بمجموع] أعداد فيه .

[أقسام الواحد]

والواحد إما شخص وهو الوحدة والنقطة والمفارق إن لم يقبل القسمة و [إما واحد] بالاتصال إن قبلها [وانقسم] إلى [أجزاء] متشابهة ، وبالاجتماع [إن قبلها وانقسم] إلى متخالفة . و إما غيره فهو [واحد] بالنوع أو بالجنس أو بالعرض موضوعا أو محمولا أو غيرهما . و [الواحد فى إطلاقه على هذه الأنواع جميعها] مشكك فتختلف أحكامه .

و [الواحد بالاجتماع ينقسم] أيضاً [إلى] تام طبيعى أو صناعى أو وضعى أوْ لا [وهو الناقص] . و [الواحد] أسماء أنواعه بحسب ما فيه : [فهو] مماثلة أو مجانسة ومساواة ومشابهة ومناسبة ومشاكلة وموازاة ومطابقة . (٢)

[البحث فى الاثنين]

والاثنان غيران . وقال مشايخنا موجودان جاز انفكاكهما فى حيز أو عدم لا كالجزء [مع كله] والصفة [مع موصوفها] . ويرد [عليهم اثنينية] البارى تعالى مع العالم ، و [بأنه] لا يكفى [الانفكاك] من جانب [واحد] . [و] لا [يرد] المضافان [كالأبوة والبنوة] . وقيل [المراد جواز الانفكاك] فى علم . ولا يتحد اثنان ضرورة ثبوتاً أو عدماً . وهما إما مثلان يشتركان فى الصفات النفسية ، وقيل (٣) فى أخصها . فليس [الاشتراك] لزائد [عليها] خلافا لمثبتى الأحوال . ولا يجتمعان خلافا للمعتزلة إلا شرذمة [منهم منعوه] فى حركتين

---

(١) أثبته الحكماء وأنكره المتكلمون

(٢) الاتحاد فى النوع مماثلة ، وفى الجنس مجانسة ، وفى الحكم مساواة ، وفى الكيف مشابهة ، وفى النسبة مناسبة ، وفى الشكل مشاكلة ، وفى الوضع موازاة ومحاذاة ، وفى الاطراف مطابقه

(٣) وهو قول أكثر المعتزلة

[متماثلتين] وإلا لم يتمايزا : وإذ فى [اجتماع علمين] نظريين يلزم النظر فى المعلوم . و [أما] اشتداد السواد [فى الثوب المصبوغ عدة صبغات] فليس به [أى باجتماع الأمثال] بل [ألوان السواد] أضداد تتوارد . وفى إطلاق الضدين عليهما خلاف . وإما ضدان يستحيل لذاتيهما اجتماعهما فى محل [واحد] من جهة [واحدة] . ولم يشترط المعتزلة اتحاد المحل (٨) كالعلم والجهل [المجتمعين] بجزء من القلب . بل [لم يشترط المحل أيضاً] كإرادة الله وكراهيته [وهما يجتمعان لا فى ذات] . فلا تضاد فى الأفعال والأحكام . وإما متخالفان ، أى ما عداهما . وقيل [المتخالفان] غير المثلين . و [قالت] الحكماء المتقابلان ما لا يجتمعان فى ذات فى زمان من جهة . وهما إما موجودان ؛ فأن عقلا مقايسة فمتضايفان ؛ وإلا فضدان . وقد يشترط بينهما [أى الضدين] غاية الخلاف . ويلزم أحدهما [حال كونه] معيناً أو مبهماً المحل . أولا [يلزم بأن يوجد وسط بينهما] مع إمكان التعاقب [على المحل] أو لا . وهما نوعان لا أكثر لجنس أخير .

و [المتقابلان] إما أحدهما عدم ؛ فان اعتبر مستعداً للوجود بشخصه أو نوعه أو جنسه [فالمتقابلان] عدم وملكة حقيقيان ؛ أو [اعتبر مستعداً للأمر الوجودى] حينئذ فمشهوريان . وإلا فسلب وإيجاب : وتقابلهما بالذات ، ويقتسمان الكذب.

[مبحث العلة والمعلول]

ثم العلة إما جزء [المعلول] فصورة أو مادة وعنصر وقابل واسطقس باعتبارات (١) . وهما علة للماهية . وإما خارج [عن المعلول] ففاعل أو غاية و [الغاية] هى معلولة خارجاً وتختص بالقادر [المختار لا بالموجب] . وجميعها [علة] تامة .

---

(١) المادة والعنصر والقابل والاسطقس كلها بمعنى الهيولى باعتبارات مختلفة

والشخص لا يعلل بمستقلتين وإلا استغنى بكل عن كل . وجوزه بعض المعتزلة كالحركة [تحصل] بجذب ودفع ؛ لا المثلان [فأنهما يمكن أن يعللا بعلتين مستقلتين وذلك] كالمخالفة والحرارة [فأن لأنواعهما المختلفة عللا مستقلة] .

[صدور أكثر من أثر واحد عن المؤثر البسيط عند الأشاعرة]

ويعلل أثران ببسيط كالتحيز وقبول الأعراض [المعللين] بالجسمية . ومنعه الحكماء إلا بتعدد آلة أو قابل [وذلك لثلاثة أمور أولها] لتغاير مصدريتهما فيلزم [من هذا التغاير] التركيب أو التسلسل . و [ثانيها] أذ يستدل باختلاف الأثر على الاختلاف [فى المؤثر] . و [ثالثها] أذ صدور «ا» ولا «ا» تناقض . قيل [فى الجواب عن الأول] المصدرية اعتبارية . و [عن الثانى] الاستدلال [أنما هو] بالتخلف [لا بالاختلاف] . و [عن الثالث] المناقض [هو] لا صدور «ا» [وليس صدور لا «ا»] .

[البسيط الحقيقى لا تعدد فيه أصلا فى رأى الحكماء]

قالوا فلا يكون [البسيط] قابلا وفاعلا و [ذلك] لتنافى كيفيتى النسبتين . ويدفعه اختلاف الجهتين .

[القوه الجسمانية لا تفيد أثرا غير متناه عند الحكماء]

ولا تفيد قوة جسمانية أثرا غير متناه . إذ قوة النصف فى [التحريك] الطبيعى [نصف قوة الكل] . و [قوة] الضعف فى [قبول التحريك] القسرى [النصف] [وكلا الحركتين أى حركة النصف فى الطبيعية وحركة الضعف فى القسرية] أقل. فأذا فرضا من مبدأ [واحد] فالناقصة [إما] متناهية فكذا ضعفها [وهو خلاف المفروض] أو لا فتقع الزيادة عليها فى جهة اللا تناهى [فهى متناهية أيضا فكذا ضعفها] . ومبناه [على] أن جزء القوة قوة و [على]

حفظ النسبة [بين قوة النصف وقوة الكل] . وينتقض [دليلهم] با [الحركات] الفلكية .

[الدور والتسلسل فى العلل ممتنعان]

والدور ممتنع وإلا تقدم الشيء على نفسه بمرتبتين . وتقدم العلة ضرورى . ومن ثمة صح [القول] كانت [العلة] فكان [المعلول] بلا عكس .

وكذا التسلسل [ممتنع] أذ للكل [المؤلف من أجزاء كلها ممكنة] علة [توجده و] توجد جزءا [منه] قطعا[1] . و [ثانيا] إذ تطبق جملتين [أحداهما] من معلول [مفروض إلى غير النهاية] و [أخرى] مما قبله بمتناه [مفروض إلى غير النهاية أيضاً فأن تطابقا] فالناقصة كالزائدة ، أو تنقطع [الناقصة] فتنقطعان و [هذا البرهان[2] يجرى فى سلسلة] قد ضبطها الوجود بخلاف مراتب الأعداد . وشرط الحكماء [لامتناع التسلسل] وجود الأجزاء معا مرتبة . والدليل عام . [ثالثاً] وأيضاً ما بينه [وهو أى معلول معين فى السلسلة] وبين كل علة متناه لأنه بين حاصرين ؛ فكذا الكل . [رابعاً] وأيضاً [لو تسلسلت العلل] يزيد المعلول على العلة بواحد مع تضايفهما . [خامساً] وأيضاً [لو تسلسلت العلل] فالاستناد (٩) [فى النهاية] إلى الواجب إذا ثبت [الواجب] بغيره[3]

[جزء العلة وشرطها]

والشرط ما يتوقف عليه تأثير المؤثر : والجزء [ما يتوقف عليه] ذاته .

---

(١) وأذا كان كذلك فالجزء معلول فى وجوده لعلة خارجة عن جميع أجزاء الكل ، والمفروض فى التسلسل أنه معلول لجزء آخر وهذا تناقض - وأذا لم يستند جزء إلى آخر من أفراد سلسلة بل استند ألى علة خارجة كان ذلك الجزء طرفا لتلك السلسلة فتكون متناهية والفرض أنها غير متناهية . والمراد بالطرف هنا واجب الوجود

(٢) يسمونه برهان التطبيق ويستخدمونه فى إبطال كل نوع من أنواع التسلسل

(٣) بغيره أى بغير بطلان التسلسل

وعدم المانع [ليس شرطاً فى ذاته بل] كاشف عن وجود ؛ كالباب للدخول والعمود لسقوط السقف .

[العلة والمعلول فى اصطلاح مثبتى الأحوال]

وقال مثبتو الأحوال : العلة صفة توجب لمحلها حكماً (١) . وقيل توجب لغيره كتوابع الحياة [من العلم والقدرة والأرادة وغيرها] لا هى عند محققيهم (٢)

[العلة الوجوديه]

وهى وجودية ضرورة . لا للزوم العلم والجهل إذ العدمى غير ما ينفى (٣)

[العلة العقليه]

و [العلة] العقلية مطردة بلا شرط [و] منعكسة . و [المطرد والمنعكس] هما أعم [من العلة] .و [قال] بعضهم [وهم المعتزلة] قد لا تنعكس [فلا يستلزم عدمها عدم حكمها كما] فى الغائب . و [العلة والمعلول] يتلازمان وحدة وتعداداً .

[الفرق بين العلة والشرط]

والشرط قد يكون لصفة [هى علة] ،و [قد يكون] محلا [للحكم] . ولا يطرد [مع مشروطه] . و [يكون] خارجاً وعدمياً ومتعا كساً [مع مشروطه] إلا أن يشترط التقدم .

---

(١) هذا تعريف القاضى الباقلانى

(٢) أى لا الحياة نفسها على رأى بعضهم فأنهم قالوا إنها لا توجب حكماً فى غيرها فأذا قامت الحياة فى جزء من شىء كان الحى هو ذلك الجسم لاجملة الشىء بخلاف العلم والقدرة وغيرهما من تواع الحياة

(٣) وهو جواب لمن احتج على وجودية العلة بقوله لو جاز العالمية بعلم معدوم للزم الجاهلية بجهل معدوم ، فأذا عدما عن محل كان ذلك المحل عالماً جاهلا ، ولا ينهض هذا دليلا لا ن النزاع ى ثبوت الصفة العدمية لا فى سلب الصفة

[مبحث] الأعراض

[تقسيم الصفات]

الصفة الثبوتية نفسية تدل على الذات دون معنى زائد ، ومعنوية كالتحيز والحدوث وقبول الأعراض . وعند المعتزلة [تنقسم الصفة الثبوتية إلى] نفسية مقوِّمة ، وقيل لازمة ؛ و [إلى] معنوية معللة . وقيل جائزة ؛ و [إلى] ما بالفاعل [وهى] الحدوث ؛ و [إلى الصفات] التابعة له [الحدوث] ، وجوبا أو إمكانا [حاصلة] بالإرادة ودونها .

[تعريف العرض وأقسامه]

والعرض موجود قائم بالجوهر . وقد يختص بالحى وهو الحياة وما يتبعها من الإدراكات وغيرها . أو لا [يختص به] وهى الأكوان [1] والمدركات . وأنواعها متناهية . وفى الأمكان خلاف [2] : والحق التوقف . و [يحصره] الحكماء فى المقولات [وهى] تسع . فالقابل للقسمة كم . و [القابل] للنسبة [سبعة أقسام] : أين [وهو] الحصول فى المكان . ومتى [وهو الحصول] فى الزمان أو طرفه . والوضع نسبة للأجزاء وإلى الخارج . والملك هيئة أحاطة ما ينتقل معه . والاضافة النسبة المتكررة . وأن يفعل [وهو] التأثير . وأن ينفعل [وهو] التأثر . وغيرهما [وهو القسم الثالث] الكيف . ولا يرد الوحدة والنقطة [أذ لا وجود لهما فى الخارج] . لكن لم يثبت كونها أجناساً وعالية و [لم يثبت] الحصر . وليس العرض جنسا [للمقولات التسع] أذ يثبت لها [3] . ولا يرد الجوهر .

---

(١) الأكوان هى الحركة والسكون والاجتماع والافتراق

(٢) أى فى إمكان حصول أعراض نوعية غير متناهية خلاف ، منعه أكثر المعتزلة والأشاعرة وجوزه الجبائى والباقلانى

(٣) أى أن العرضية تثبت للمقولات التسع بالبرهان وجنس الشىء مقوم له فلا يثبت له بالبرهان

ثم لم ينكر وجوده ألا ابن كيسان [الأصم] . ولا يجوّز قيامه بنفسه [عند جميع القائلين بوجوده] ألا شرذمة [منهم كأبي الهذيل العلاف] . [فأنهم ادعوا أن لله أرادة قائمة بنفسها وأن الله مريد بها] وهما بُهت .

[العرض لا ينتقل]

ولا ينتقل لأنه [عند المتكلمين] تبع التحيز و [عند] الحكيم [واحد الحكماء] لأن تشخصه بمحله . والرائحة تحدث فى [الجسم] المجاور [لا تنتقل إليه من جسم آخر] .

[قيام العرض بالعرض]

ولا يقوم [العرض] بعرض لأن القيام هو التحيز تبعا ؛ وللانتهاء الى الجوهر . وقيل بل [القيام هو] الاختصاص الناعت كالتحيز [المختص به الجسم] و [مثل] صفات البارى [القائمة بذاته تعالى] . و [أجيب عن الثانى بأن الأعراض] قد ترتب [فيقوم واحد منها بالآخر إلى أن تنتهى إلى الجوهر] وجوزه الحكماء كالسرعة والبطء ولا يلزمنا . وعندهم [الحركتان السريعة والبطيئة] تختلفان بالذات .

[بقاء الأعراض]

قال الشيخ [الأشعرى] ولا يبقى [العرض] زمانين[1] لأن البقاء عرض . ومنع [كون البقاء عرضا] . و [قال أيضاً] لأنه لو بقى لم يزُل بذاته ولا بضد . أذ حدوثه مشروط بزواله ، ولا بفاعل أذ العدم لا يصلح أثرا ، ولا بانتفاء شرط أذ هو المشروط به فيدور : فقيل [فى الجواب يزول] بذاته كفى الزمان الثانى . أو [يزول بحدوث] ضد مع [زوال ما هو ضد له] : [أو نختار] أنه لا بفعل الفاعل : أو [نقول] العدم الحادث أثرأو [أن] الشرط (١٠) عرض لا يستمر .

(١) المراد بالزمان هنا اللحظه الزمنية

[وقال] النظَّام ولا [تبقى] الأجسام [أيضاً زمانين] لذلك : و [قالت] الكرَّامية [بهذا الدليل] يبقى العالم فلا يعدم .

[لا يقوم العرض بمحلين]

وإنه لا يقوم [العرض] بمحلين ضرورة كالجسم : وجوزه القدماء فى نحو الجوار [فأنهم قالوا إنه يقوم بمحلين هما الجسمان المتجاوران] و [رد بأن] الاتحاد [بين المجاورَتين] نوعى [لا شخصى] . و [جوزه] أبو هاشم فى التأليف [بأنه عرض يقوم] بجزءين : أذ عسر الانفكاك [راجع] له . ومنع [بقولهم] بل [التأليف راجع إلى الفاعل] المختار . [وزاد أبو هاشم بقوله] لا [يقوم التأليف] بأكثر [من جزئين] لوجوده دونه .

[الكم]

[خواص الكم]

ثم الكم يختص بقبول القسمة وهماً لا فعلا : إذ لا يبقى معها : وأن أعدَّ [الكم المادة] كالحركة [تعد الجسم إلى الحيز] للسكون [فيه] . و [يختص الكم بوجود] العاد (١) [فيه] فعلا أو فرضاً . [ومما يختص به كذلك] المساواة ومقابلاها [الزيادة والنقصان] .

[أقسام الكم]

ومنفصله [هو] العدد ومتصله [منه] القار [وهو] المقدار : خط أوسطح أو جسم و [منه] غيره [وهو] الزمان . ويقال الطول للامتداد والأطول والمفروضِ أولا : والعرض للسطح والأقصر والثانى : والعمق للثالث و [يقال]

---

(١) كما فى العدد فأن فيه الواحد بالفعل يعده وكما فى الخط أو السطح أو الجسم فأن فى الأول نقطة وهمية وفى الثانية خطاً وهمياً وفى الثالث سطحاً وهمياً يعده

للثخن . والنازل منه فالصاعد [يقال له] سمك . و[يقال الطول والعرض والعمق] لمعان [أخر] . وهي [إما] كميات [صرفة] أو [كميات] مع أضافة أو أكثر من إضافة] .

والكم بالعرض [إما] محله أو الحال في أحدهما [1] أو متعلقه . وقد يجتمع اثنان [من هذه الأربعة] . و [قد] يعرض منفصله لمتصله .

[أنكار الوحدة والعدد والمقدار والزمان]

وأنكر المتكلمون الوحدة للزوم التسلسل والانقسام [فوجب أن تكون أمراً اعتبارياً] فكذا العدد . وإذ يلزم [من قيام الكثرة بالكثير من حيث هو] قيام الواحد بالكثير ،أو [يلزم من حيث قيام الكثرة بالكثير من حيث عرض له أمر صار به واحداً] التسلسل .

و [أنكروا] المقدار إذ هو فرع نفي الجزء [الذي لا يتجزأ] كتوارده [2] [على الجسم] ، و [ك] التخلخل والتكاثف [فأنهما أيضاً فرع نفي الجزء] .

و [أنكروا] الزمان للزوم التسلسل ، و [للزوم] كون الجميع في زمان خارج ، ولألزام الجزء أو اجتماع أجزائه . والتفاوت [في الحركة الذي استدل به الحكماء على وجود الزمان] لا للمسافة و [لا لأجل] البطء [أو السرعة بل لوجود الزمان] . وتقدم الأب [الذي استدلوا به أيضاً على وجود الزمان هو والتفاوت المذكور] اعتباريان لعروضهما للعدم .

[الاختلاف في حقيقة الزمان]

فقيل [الزمان] جوهر مجرد لا يقبل العدم و إلا [فان قبله] فبعده بالزمان ،

---

(١) أي الحال في الكم أو في محل الكم

(٢) الهاء عائدة على المقدار . والمعنى ان وجود المقدار وتوارد المقدار على الجسم كل منهما فرع نفي الجزء الذي لا يتجزأ الذي قال به الأشاعرة

[فيكون مع عدم الزمان زمان وهذا خلف] . ولا ينفى [هذا الدليل] عدمه ابتداء [وإن كان ينفى طرآن العدم عليه] .

وينقض [هذا الدليل أيضاً] بتأخر أجزائه و [بأنه] لا يعرض التأخر للعدم.

وقيل [الزمان هو] الفلك الأعظم لأحاطته بالكل . وقيل حركته لأنه غير قار . وهما [أى دليلا هذين القولين قياسان فى كل منهما] موجبتان فى الشكل الثانى .

و [قال أرسطو [الزمان] مقدارها [1] : فانه للتفاوت [بالزيادة والنقص] كم . ولامتناع الجزء [الذى لا يتجزأ كم] متصل ، ولأنه غير قار [مقدار] للحركة ، وإذ لا ينقطع [مقدار] للمستديرة ، وإذ يقدر به الكل [فهو مقدار] لأسرعها . وعندنا [هو] متجدد [معلوم] يقدر به متجدد [مبهم] وقد يتعاكس.

[مبحث المكان]

والمكان موجود ضرورة ، وللأشارة ، والتفاوت . والتشكيك [فى وجوده] سفسطة . [وهو] خارج عن المتمكن أذ لا ينقل معه . وقولهم [هو] الهيولى إذ تقبل تعاقب الأجسام ، أو [هو] الصورة لأنها أول محدد [للشىء] وحاو [له] ضعيف .

وقال أرسطو [هو] السطح الباطن للحاوى . وألا فالبعد . [فان كان البعد] فلا يقبل الحركة أو يتسلسل مع بطلانه : فللكل مكان خارج . [وإذا لم يقبل الحركة] فكذا الجسم . وأذ [على تقدير كون المكان هو البعد] يتداخل البعدان ويجتمع المثلان .

و [يتفرع عن كون المكان سطحا أنه] قد يكون سطحا [واحدا] أو [قد

---

(١) مقدار حركة الفلك الأعظم

يكون] أكثر . وقد يتحرك بعضها فقط و [قد يتحرك] الحاوى أو [يتحرك] المحوى أو هما [معا] .

و [قال] أفلاطون [المكان] بعد ينفذ فيه الجسم موجود [فى الخارج . وكونه بعدا] للتقدر . و إذ لولاه يتسلسل . ووجوبه لكل جسم ضرورى . ويلزم [من كون المكان هو السطح] حركة الساكن وعكسه . و [يلزم أيضا أنه قد] يتفاوت المتمكن مع وحدته [أى المكان] . و [يلزم أيضاً أنه قد] زاد [المكان] مع نقصانه [وهو نقصان المتمكن] . نعم ويلزم طلب المعدوم والانتقال منه وأليه . ودلائلكم [الدالة على نفى كونه البعد] فرع تماثل البعدين .

و [قال] المتكلمون [المكان بعد] مفروض وهو الخلاء : وأنه [أى الخلاء] جائز كفى رفع صفحة ملساء عن مثلها دفعة (١١) : وأنما يلزم [هذا الدليل] الحكماء لوجو: وا الحركة فى آن : وأذ [الخلاء] لولاه لتصادمت الأجسام بحركة بقة . و [هذا الدليل] يلزمهم(١) لو بطل التخلخل والتكاثف : [فأن الحكماء] قالوا فأذا تحرك جسم فى خلاء مسافة ما ساعة و فى مثلها فى ملاء فى عشر [ساعات] : ففى آخر قوامهُ عشر [الملاء] الأول [يتحرك] فى ساعة أيضاً [فيكون شأنه شأن ما يتحرك فى الخلاء] ، فذو المعاوق [يصبح] كعديمه . ونعم هو لولم تقتض الحركة زمانا لذاتها . والعلامات الحسية [التى ربما يستدل بها الحكماء على امتناع الخلاء] كالسراقات والزراقات (٢) وارتفاع اللحم فى المحجمة والماء فى الأنبوبة وانكسار القارورة المسدودة الرأس بجذب الأنبوبه منها ألى داخل (٣) وبأدخالها فيها ألى خارج :

---

(١) الضمير يعود على الحكماء

(٢) السراقات جمع سراقه وهى أناء ضيق الرأس في أسفله ثقب ضيق أذا ملىء ماء وفتح مدخله خرج الماء من ثقبه ، وأذا سد المدخل وقف الماء عن الخروج : قالوا لو خرج الماء حالة السد لخلف وراءه خلاء . وهو ممتنع الوجود ولذلك لا يخرج الماء . والزراقات جمع زراقه وهى آلة أشبه بمحقنة الطبيب . وقد استدلوا بها أيضاً على امتناع وجود الخلاء

(٣) متعلق بالانكسار

[كل هذه] لا تفيد القطع :

[مبحث الكيف]

ثم الكيف أربع بالاستقراء وأيا [من الطرق] سلك في الحصر فالقسم الأخير مرسل [مطلق يشمل المذكور وغيره] . الأول المحسوسة الراسخة [وتسمى] انفعاليات . وغيرها [غير الراسخة تسمى] انفعالات : وهى خمس : الملموسات ؛ فالحرارة تفرق المختلفات بتصعيد الألطف : وتجمع المتماثلات أذ تنضم بالطبع إلا أذا اشتد الالتحام فتفيد دوراناً أو تليناً أو تصعيداً أوْ لاَ [تفيده] بتفاوت اللطيف والكثيف [فى المركبة] .

ويقال الحار لما يحس بحرارته بعد تأثيره فى البدن : والأشبه [بالصواب] مخالفة [الحرارة] الكوكبيه و [الحرارة] الغريزية للنارية .
والحركة تحدثها بالتجربة والفلك لا يقبلها . والعناصر : لملاسة محدبها : لا تتحرك بحركته[١] . والبرودة ضدها : وقيل عدمها ويكذبها الحس .

والرطوبة سهولة الالتصاق والانفصال : ولا يلزم كون العسل أرطب من الماء[٢] : وقيل التشكل وتركه ، فلا يفيد خلطه باليابس استمساكا كالهواء . وتُغاير السيلان وهو تدافع الأجزاء كفى الرمل . وفى تنوعها خلاف . واليبوسة تقابلها وقيل ما سهل تفرقه وصعب اتصاله لذاته يابس[٣] : و [منه ما يصعب اتصال أجزائه] للحامات [التى بينها وهذا النوع] هش : وعكسه لزج :

[الاعتماد]

والاعتماد ما يوجب [فى الجسم] المدابغة[٤] : ونفاه الاستاذ[٥] مكابراً :

(١) الضمير عائد على الفلك
(٢) وهو اعتراض ابن سينا
(٣) وهو قول الرازى
(٤) هكذا في الاصل وتصحيحه المدافعة :
(٥) هو أبو اسحق الاسفرائينى

وتوجد [المدافعة] للساكن وحصره فى ست [جهات] وهم . وتضاد أنواعه فيه نزاع لفظى . وجعلها القاضى واحداً . ولا تضاد أذ [الاعتمادان] قد يجتمعان فى حجر يرفع وحبل يتجاذبه اثنان : فللصاعدة خفة وللهابطة ثقل : و [الثقل والخفة] هما [عرضان] زائدان [على الجوهر] خلافاً للأستاذ لتفاوت زقى ماء وزئبق : ولا خلاء بالنسبة(١)

و [الاعتماد] يسميه الحكيم ميلا . ومنه طبيعى، ولا يتحرك [الجسم] أذا كان عديمه ؛ وإلا [فأن جاز تحركه قسراً] ففى ساعة ميلا(٢) ؛ ولذى الميل [الطبيعى أن يقطع المسافة نفسها] فى أكثر للعائق [وهو مبدأ الميل الطبيعى] ؛ وليكن [ذلك الأكثر] عشرا [من الساعات] ؛ فلآخر ميله [الطبيعى] عشر الأول [أن يقطع المسافة] فى ساعته(٣) لانحفاظ نسبة الميلين والزمانين . فيستوى [على هذا] ذو الميل وعديمه .

و [الحكم الثانى للميل الطبيعى أنه] لا(٤) يعدم [إذا كان الجسم] فى الحيز الطبيعى . ومنه قسرى : وقد يجتمعان [أى الميل الطبيعى والميل القسرى] إلى جهة و [قد يجتمع] مبدؤهما إلى جهتين لا [يجتمعان] هما :

ومنه نفسانى إرادى : فكذا الحركة [طبيعية وقسرية ونفسانية] :

ويرد [على حصر الحركة فى هذه الثلاثة حركة] النبض :

و [قالت المعتزلة [ينقسم الميل إلى] لازم ومجتلب : وقال الجبائى و [الميل]

---

(١) هذا رد على من قال إن السبب فى خفة الماء عن الزئبق وجود خلاء بين أجزاء الماء فلو كان الزئبق أثقل من الماء عشرين مرة لكان أزاء كل جزء من الماء عشرون جزءاً من الخلاء وهذا أمر يكذبه الحس بالضرورة .

(٢) هكذا فى الأصل وتصحيحه مثلا

(٣) « « « « « ساعة

(٤) « « « وفى النسخة التى عليها شرح إبراهيم الحلبى . ولكنها بدون « لا » فى المواقف نفسها ج ٥ ص ٢١٢ وهو الصحيح

فيه تضاد كالحركات : وهو تمثيل مع الفرق بعد استلزامه (١٢) كونين [للجوهر فى حيزين] . و [قال] ابنه لا [تضاد] بينهما كفى الحجر يرفع . وتردّد فى الحبل المتجاذب [وهو مثال لتضاد الاعتمادات اللازمة] . و [قال الجبائى أيضاً الاعتمادات لا تبقى [زمانين] : [ووافقه] ابنه [فى المجتلبة] لا اللازمة للمشاهدة .

و [قال أيضاً] سبب الثقل الرطوبة : والخفة اليبوسة : وتظهران فى الأذابة والتكليس . و [قال] ابنه [الرطوبه واليبوسة] حادثتان ولا تؤثران .

و [قال أيضاً] الطفو [راجع] للهواء المنبث ويلزمه انفصاله . و [قال] ابنه [الطفو] للخفة : ويلزمه الحديدة المرققة [فانها تطفو] وحبة حديد [فأنها ترسب] وألف منٍّ[1] خشبا [فانها تطفو] .

و [قالت] الحكماء الأثقل من الماء يرسب فيه تحت : والمثل [يرسب] إلى أن يتوازى سطحاها : والأخف [يرسب] بقدر ماله ملء ماء وازنه .

و [قال الجبائى] للهواء [اعتماد] صاعد : ويلزمه ألا تطفو الخشبة [على الماء لاحتوائها على الهواء كما سبق] : و [قال] ابنه بل هو [اعتماد] مجتلب . ويرد [عليه] طفو الزق المنفوخ من قعر الماء مع ثقيل يتعلق به .

و [قال أيضاً لا يولد الاعتماد حركة ولا سكونا بل] المولد للحركة والسكون الحركة المشاهدة فى حركة اليد وفى حركة الحجر . و [قال] ابنه [المولد] هو الاعتماد كعمود قائم ثم اعتمد عليه ثم زالت دعامته و [دليل آخر هو] أن حركة اليد بعد حركة الحجر وإلا تداخلا . و [قال] ابن عياش كلاهما . ويتفرع عليه هوى الحجر المرمى إلى فوق [فالجبائى يقول حركته النازلة متولدة من حركته الصاعدة ويقول ابنه إنها متولدة من الاعتماد الهابط] . وأيا ما كان ففيه تحكم . وكذا وقوفه وسطا .

---

(١) المن من معانيه وزن رطلين

والصلابة ممانعة الغامز . واللين عدمها . وقيل ضدها . والملاسة استواء وضع الأجزاء . والخشونة عدمه . وقيل كيفيتان تتبعانهما .

[الكيفيات المحسوسة]

المبصرات :

قيل البياض متخيل [ناشىء] من مخالطة الهواء الشفاف كالزجاج المدقوق . والسواد بالضد : ويكذبه البيض المسلوق إذ يثقل [وما ذلك إلا لخروج الهواء منه] . و [ما يسمى] لبن العذراء [1] إذ يجف [بعد الايضاض فلو كانت علة بياضه الهواء لابيض بعد الجفاف] . و [الحق أنه] قد يكون ذلك سببا لحدوثه .

وقيل [إن البياض والسواد] هما الأصل [فى الألوان جميعها] . وقيل [الأصل] هما والحمرة والخضرة والصفرة . وتحصل البواقى بالتركيب للتجربة . و [لكنه] لا يفيد الكلية .

[وقال] ابن سينا الضوء شرط لوجوده [2] . وقيل لرؤيته . والظلمة أنما تحجب ما تحيط به : فعدمٌ : وقيل [هى] ضد [للضوء] .

والضوء ليس جسما وإلا فأكثره أستره [3] وفيه منع . وحركته [التى ادعوها] وهمٌ وإلا [لو كان الضوء جسما متحركا] و [كانت حركته] طبيعية فالى جهة [واحدة] : و [الضوء] غير اللون كالبلور [فأنه يرى مضيئا ولا لون له] :

ومراتبه ضياء ثم نور ثم ظل ذو طبقات . وقيل يتكيف الهواء [بالضوء] للصبح ، ولا يرى لضعف لونه . والشعاع والبريق غيره .

---

(١) وهو دواء يستعمله أهل الحيل

(٢) اى في وجود اللون

(٣) وهو ما ذهب إليه بعض الحكماء الأقدمين فأنهم قالوا الضوء أجسام صغار تنفصل من الجسم المضيء وتتصل بالمتضيء

المسموعات :

الصوت :

وسببه تموج الهواء بقرع أو قلع عنيف : ويحمله الهواء إلى الصماخ [ولا ينتقل الهواء بل يدفع بعضه بعضا] أذ يميل [الصوت] مع الريح ، وتمنع الأنبوبة انتشاره ، ويتأخر عن سببه . ويشترط بقاء كيفية [الصوت] النافذ فى الجدار لاشكله .

و [الصوت] يوجد فى الخارج وإلا لم تعرف جهته . والراجع عن [سطح] أملس صداه : و [الصدى] يظن عمومه [فقد قيل إن لكل صوت صدى] ، لكن [قد] لا يحس به لضعفه أو عدم تميزه للقرب .

[الحروف]

والحرف [عرفه ابن سينا بأنه] هيئة للصوت بها يميز عن مثله فى الحدة والثقل تميزا فى المسموع . و [الحروف] منها مصوتة [1] وصامته : آنية وزمانية وشبيهتها ؛ متماثلة ومتخالفة بالذات أو بالعرض . وفى الأمكان الابتداء بالساكن واجتماع ساكنين صامتين :

بحث المذوقات

الطعوم . فيفعل الحار فى الكثيف مرارة و [فى] اللطيف حرافة و [فى] المعتدل ملوحة . و [يفعل] البارد عفوصة [فى الكثيف] وحموضة [فى اللطيف] وقبضا [فى المعتدل] (١٣) . ويقال التفه لما لا يحس بطعمه إلا بتحليل .

وقد يتركب [الطعم] كالبشاعة [تتركب] من مرارة وقبض . والزعوقة [تتركب] من مرارة وملوحة . وقد يتركب بـ [كيفية] ملموسة .

---

(١) سميت مصوته لاقتضائها امتداد الصوت والصامتة تقابلها والأولى هى حروف المد واللين

المشمومات

لا اسم لها إلا من [وجوه ثلاثه] : الملاءمة والمنافرة ، وما يقارنها من محل وطعم .

[الكيفيات] النفسانية

فالرائحة ملكة ، وغيرها حال ، واختلافها بعارض [لا بفصل] . فالحياة قوة تتبع اعتدال النوع ، ويفيض منها سائر القوى . قال ابن سينا : تغاير قوة الحس والحركة إذ يعدمها الحى كالمفلوج والذابل : ومنع بالتخلف لمانع . و [تغاير أيضا] قوة التغذية إذ توجد للنبات . و [قيل قوة التغذية فى النبات وقوة التغذية فى الحى] لعلهما ما هيتان [مختلفتان] . وشرطها الحكماء والمعتزلة بالبنية . ويلزمهم قيام [العرض] الواحد بالكثير [إن قامت حياة بجزء ين معا] أو الترجيح بلا مرجح [إن قامت بجزء دون جزء] أو الدور [إن قامت بكل جزء على حدة وكان كل جزء مشروطاً بالآخر] : لكنه دور معية [1] [وهو ليس بباطل] والموت عدمها . وقيل ضدها .

[مباحث العلم]

وقيل العلم تعلق العالم بالمعلوم . وقيل صفة ذات تعلق وهو العالمية . وأثبت القاضى معهما تعلقاً : فلأحدهما [يكون التعلق] أوْ لَهُمَا . وقال الحكماء [العلم هو] الوجود الذهنى لتحقق الحقيقة و [لتحقق] الكلى [فى الذهن وامتناع وجوده فى الخارج] . ومنعه المتكلم ، وإلا فالذهن حار بارد : فقيل [فى الأجابة على هذا] الصورة [الذهنية] مخالفة [للهويات الخارجية] فى اللوازم . وقيل [العلم أمر] عدمى . وتعلقه بمعلومين فرع تعريفه . فلا فرق [فى جواز تعلق العلم] بين

---

(١) دور المعية هو أن يكون بين شيئين تلازم بحيث يكون أحدهما شرطاً للآخر مثلا ولكنهما لا يقعان إلا معا فلا يتقدم أحدهما على الآخر بالزمان

الضروری وما ينفكان وبين غيرهما (١). والأدراك ينقسم إلى] تصور وتصديق ؛ فالجازم [من التصديق] علم أو جهل مركب (٢) أو تقليد : وغيره ظن أو شك أو وهم . فالجهل [المركب] ضد له . وقالت المعتزلة [هو] مثل [له] للانقلاب [انقلاب أحدهما إلى الاخر] و [لأن] التمايز [بينهما] بخارج . ويقال لعدمه جهل بسيط ويقرب منه السهو والغفلة والذهول . وهو بعد العلم نسيان .

[إدراكات الحواس]

والأدراكات عند الشيخ علم بمتعلقاتها . والفرق [بين العلم بالشیء ورؤيته] ضروری .

والصورة الذهنية جزئية ، وكليته [أى كليتها] باعتبار متعلقها ،أو [باعتبار] المطابقة لكثيرين . والعلم تفصيلى أو إجمالى منعه بعض [المتكلمين] (٣) . وإن شرط فيه الجهل بالتفصيل لم يثبت لله . و [العلم ينقسم إلى ما] بالفعل و[إلى ما] بالقوة كما فى يد زيد وهو اثنان فيعلم أنه زوج بالقوة [فأذا سئلنا عما فى يد زيد أزوج هو أو فرد فأننا نعلم أن كل اثنين زوج وهذا الذى فى يده اثنان فى الواقع فنعلم أنه زوج علماً بالقوة لا بالفعل] . وقيل قد يعلم الشیء من وجه [ويجهل من وجه : قال] القاضى [الباقلانى متعلق العلم والجهل] شيئان [متغايران] ، ولا نمنع التجوز [فى تسمية ما هو معلوم من وجه دون وجه علما] .

وهو فعلى قبل الكثرة [والوجود الخارجى] وانفعالى بعدها .

[مراتب العقل]

وللعقل مراتب : فالهيولانى هو الاستعداد ؛ [والعقل] بالملكة [هو العلم

---

(١) أى لا فرق بين المعلوم الضرورى وأى معلومين ينفكان وبين غيرهما

(٢) الجهل المركب اعتقاد جازم ثابت غير مطابق وفيه اعتقاد للشیء على خلاف ما هو عليه ثم اعتقاد الشخص الجاهل أنه يعتقد أن الشیء على ما هو عليه ولذلك سمى جهلا مركباً

(٣) وهو الأمام الرازى

بيعض] الضروريات . وقدلا يحصل [هذا النوع من العلم] لفقد شرط كحس ووجدان . فالشيخ [الأشعرى قال : العلم الضرورى] هو مناط التكليف لأنه علم لامتناع الانفكاك [بين العقل وهذا العلم] : و [العقل علم] ضرورى [لا نظرى] لأن النظرى مشروط بالعقل ؛ وليس [العقل العلم الضرورى] كله . والحق أنه غريزة يتبعها ذلك [العلم ببعض الضروريات] عند عدم المانع .

[والعقل] بالفعل [هو] خصول النظريات. [والعقل] المستفاد [هو] حضورها .

وعلمان [يتعلقان] بمعلومين مختلفان . و [أذا تعلقا] بمعلوم [فهما] مثلان إن اتحد الوقت ؛ و [قيل مثلان أيضاً] إن اختلف [الوقت] كالجوهر [فأنه لا يختلف بسبب كونه فى وقتين مختلفين] . والفرق [بين المقيس والمقيس عليه] بيّن . وحيث اختلف المحل تخالفا إن اقتضى كل الاختصاص بمحله .

و [العلم] الضرورى : قال القاضى [الباقلانى] وكثير [غيره من المتكلمين] يقع نظرياً [وذلك] للتجانس [بين العلوم فيصح على كل منها ما يصح على الآخر] : وإن سلم [التجانس] فقد يمتنع التنوع أو التشخص : وقيل لا [يجوز انقلاب العلم الضرورى نظرياً] لامتناع الخلو عنه . وقيل لا [يجوز انقلاب] ما هو لكمال العقل .

وعكسه [وهو انقلاب النظرى ضرورياً] جائز . ولم يقع عند المعتزلة [فى العلم] بالله وصفاته (١٤) للتكليف [به] .

واستناد الضرورى إلى النظرى أو [إلى] الضرورى فرع تفسيره . وإثبات أبى هاشم علماً لا معلوم له كالمستحيل ؛ إذ ليس بشىء ؛ لفظى .

و [العلم] محله القلب للسمع[1] : و [قالت] الحكماء [المحل] للكلى [هو النفس الناطقة ؛ و [محل] الجزئى المشاعر .

---

(١) لقوله تعالى « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب » وقوله « فتكون لهم قلوب يعقلون بها » الخ

[مبحث الأرادة]

الأرادة : قيل اعتقاد النفع (١) . وقيل ميل يتبعه . وعندنا [الأشاعرة هى] الصفة المخصصة لأحد المقدورين بالوقوع . ولا توجب [الأرادة] الحادثة [الأمر المراد] : وجوزة النظام والعلاف فى فعله (٢) إن كانت قصداً لا عزما .

ولا تشترط [الأرادة] بهما (٣) كفى قدحى العطشان وطريقى الهارب من السبع . وقيل تتعلق بنفسها فتغاير الشهوة . و [تغاير الشهوة أيضاً] للانفكاك [عنها كما] فى [حالة] الدواء الكريه .

قال الشيخ [الأشعرى إرادة الشىء عين] كراهة الضد : وإلا [بأن كانت غيرها] فضدها ، أو مثلها فلا تجامعها ، أو مخالفتها فتجامع ضدها . و [لكن ضد كراهة الضد] هى إرادة الضد [فيلزم جواز اجتماع إرادة الشىء مع إرادة ضده ؛ لكن الأرادتين المتعلقتين بالضدين متضادتان فلا يجوز اجتماعهما] . ويبطله شرط الشعور [بكراهة الضد مع أنه لا يلزم الشعور بكراهة الضد وقت إرادة الأنسان ما هو ضد له] . ومعه [أى مع الشعور] هل تستلزم [كراهة الضد] ؟ الظاهر لا.

و [الأرادة] هى غير التمنى إذ يتعلق [التمنى] بالمحال والماضى . والسهو ضدها عندنا ، ومنعه المعتزلة لأنه ضد العلم [والعلم يخالف الأرادة ، وضد أحد المختلفين يجامع الآخر وضده فكيف يكون ضده] . و [الجواب أن الشىء الواحد] قد يضاد مختلفين :

وقال القاضى [الباقلانى] و [أبو عبدالله] البصرى [من المعتزلة] تفيد [الأرادة] متعلقها صفة : فللفعل كونه طاعة ومعصية : وللقول كونه أمرا أو تهديدا . فأن

---

(١) وهو قول كثير من المعتزلة

(٢) الهاء عائده على المريد

(٣) باعتقاد النفع والميل

راد [القاضى] صفة ثبوتية [خارجية] منع . والكراهة ضدها .

[مبحث القدرة]

والقدرة صفة تؤثر وفق الأرادة ، وقيل مبدأ الأفعال المختلفة . و [هذان التعريفان] يفترقان فى [النفس] الفلكية و [فى] النباتية لا الحيوانية . ويرد [على التعريفين القدرة] الحادثة عندنا : إذ لا تؤثر وإلا مانعت قدرة الله تعالى ، ولو [قيل إن قدرة الله تعالى] أعم . ومن ثم نفاها [1] جهم [بن صفوان] وهو مكابر .

فنجوز كأبى الحسين [البصرى من المعتزلة] مقدوراً بين قادرين لا [بين] فاعلين ولا كاسبين إذ لا يخرج [متعلق القدرة الحادثة] عن محلها . وقال [بشر ابن المعتمر [القدرة الحادثة] سلامة البنية [من الآفات] . وتعرف بالوجدان . و [قال] الهمدانى [من المعتزلة] بتأتى الفعل . و [قال أبو على] الجبائى [تعرف] بسلامة الشخص . و [وقول الهمدانى والجبائى] يبطلهما [الشخص] الممنوع [من الفعل] والممنو بالضد ، ولو [أجاب الهمدانى بأنه يتأتى الفعل من الممنوع إن] قدر الارتفاع [للمانع] ، ورد [عليه] العاجز .

ولا تتعلق [القدرة] بمقدورين فكيف [يكون متعلقها] ضدين . و [قالت] المعتزلة تتعلق [قدرة العبد] بجميع مقدوراته كالقديمة . و [قال] أبو هاشم [القدرة] القائمة بالقلب لا الجوارح [هى التى تتعلق بجميع متعلقاتها] . وقيل كل [واحدة منهما تتعلق] بمتعلقها ، وقيل [كل واحدة منهما تتعلق بمتعلقيهما] وتعذر الفعل [من كل منهما لمتعلقات الأخرى] لعدم الآلة .

و [المعتزلة] أجمعوا فى المتماثلات [أنها تتعلق بها قدرة واحدة] .

قال الشيخ [القدرة الحادثة] هى مع الفعل إذ قبله لا يمكن [الفعل] ، وإلا [بأن أمكن] فليفرض [وجوده فيه] فمعه . قيل [أى قال الخصم] القدرة فى الحال

---

(١) الضمير عائد على القدرة الحادثة

[إنما هى] على الايقاع فى ثانى الحال . وأجيب بأن الايقاع إن كان نفس الفعل فمحال فى الحال ، وإلا فالكلام فيه .

قالوا معها يجب الفعل ، قلنا بها [يجب الفعل] .

والمقدور يقع للعلم أو للارادة ؛ للمعتزلة خلاف [فى ذلك] .

وقد يصدر فعل متقن من نائم ؛ فالمعتزلة وبعضنا [قالوا يصدر] بقدرته بلا علم ؛ و [قال] الاستاذ [أبو اسحق] لا : وتوقف القاضى [الباقلانى] .

[مبحث الرؤيا]

والرؤيا خيال باطل [عند جمهور المتكلمين] ؛ فالمعتزلة [قالوا] لفقد شرط الادراك ، وبعضنا لمخالفة العادة . [1] و [الادراك فى النوم] أثبته الاستاذ [أبو إسحق] وألا لزم السفطسة [إذ لا فرق عنده بين ما يجده النائم وما يجده اليقظان من إحساسات] . و [قالت] الحكماء (المدرك فى النوم) هو فى الحس المشترك وقد يأخذه من صور فى العقل (١٥) الفعال ويلبسه الخيال صورا قريبة أو بعيدة فيعبر [ما رآه النائم] أولا فيقع بعينه ؛ أو [يأخذه الحس المشترك] من الخيال كما ارتسم فيه من الخارج . و [وهذه الصور] قد يحدثها مرض . و [هذان النوعان الواردان من الخيال أو مما يسببه مرض] هما أضغاث أحلام .

[فروع المعتزلة على القدرة والعجز]

[الأول] والقادر على حمل مائة مَنٍّ هل هو عاجز عن [حمل المائة] الأخرى الملتصقة بها أو عن [حمل] أحداهما أو لا [فيه خلاف بينهم] . [الثانى] والقادران عليها أذا اجتمعا فكلٌ حامل للكل أو للبعض [فيه خلاف كذلك] . [الثالث] قالوا وقد تولد فى محال متفرقة حركات ألى جهات [مختلفة] فتجتمع

---

(١) بمعنى أن عادته تعالى لم تجر بخلق الادراك في النائم

على عشرة أجزاء متلاصقة عشر ُقدَر . و [قال] الجبائى الاجتماع يمنع التحريك كالقيد . [الرابع] والاعتماد المحركً يمنةً ويسرة هل يمكنه التصعيد ؟ منعه البهشمية (١) للفرق بين الدحرجة والرفع : وأوجبوا زيادة قدرة واحدة تحكماً .

[القــدرة والمزاج]

وهى تغاير المزاج لأنه و [لأن] أثره من [الكيفيات] المحسوسة ، و [لأنه] قد تعاوَق [القدرة] .

[فى القوة والخُلق]

والقوة [كما قال ابن سينا] مبدأ التغير فى آخر من حيث هو آخر كالمعالج لنفسه . و [تقال أيضاً] للأمكان المقابل للفعل مجازاً .

والخلق ملكة تصدر عنها الأفعال بلا روية فيغاير القدرة سيما إن جعل نسبتها إلى الطرفين سواء . ومنعه (٢) الشيخ [الأشعرى] ، فقيل (٣) أراد [الأشعرى] القوة المستجمعة للشرائط ولذلك جعلها مع الفعل ، والممنوع [عن الفعل] غير قادر عنده : والعجز صفة تتعلق بالموجود [فى رأيه] .

[فى كيفيات نفسانية أخرى قريبة مما ذكر]

[الأولى] المحبة : قيل [هى] الأرادة ، فمن الله [لنا إرادته] لكرامتنا ، ومنا [له أرادتنا] لطاعته . و [الثانية] الرضا [وهو عندنا] ترك الاعتراض . و [الثالثة] العزم [وهو] جزم الأرادة بعد التردد . و [الرابعة] الترك [هو] عدم فعل المقدور ، وقيل قصدا ، وقيل [هو] من أفعال القلوب ، وقيل فعل الضد .

---

(١) نسبة إلى أبى هاشم

(٢) الضمير هنا عائد على كون نسبتها إلى الطرفين سواء

(٣) وهو قول الرازى

[اللذة والألم]

واللذة بديهية ؛ وقيل [هى] إدراك الملائم و [لكنه] لم يثبت [بالبرهان] ؛ وقيل [هى] زوال الألم (١)، ويبطله البغتة .

والألم سببه تفرق الاتصال (٢) ؛ وأنكره بعض (٣) للتخلف فى القطع بسكين حاد . و [قال] ابن سينا [تفرق الاتصال الحاصل بالقطع يسبب فى العضو] سوء المزاج المختلف دون المتفق (٤) أذ شرط المنافرة يغاير الكيفيتين .

[الصحة والمرض]

والصحة حالة أو ملكة بها تصدر الأفعال عن الموضع لها سليمة (٥) ، والمرض خلافها فلا واسطة [بينهما] إلا أن يهمل [شىء] من شروط التقابل.

[القسم الثالث من أقسام الكيفيات]

[وهى الكيفيات] المختصة بالكميات وحدها كالتثليث والزوجية ؛ أو مع غيرها كالحلقة (٦) والزاوية . و [لكن الزاوية] ليست كماً إذ تنعدم بالتضعيف . وقبولها القسم بالعرض .

قال الحكماء يُحْدِثُ إثبات طرف للخط مع الأدارة الدائرةَ ؛ و [يحدث إثبات] قطر نصفها [مع الأدارة] الكرةَ ؛ و [يحدث الأثبات] لضلع المربع [مع إدارة المربع] الأسطوانه ؛ و [يحدث الأثبات] للمحيط بالقائمة من المثلث

(١) وهو قول ابن زكريا الطبيب الرازى

(٢) هذا رأى الحكماء ويرجعونه ألى جالينوس

(٣) المراد بهذا البعض الرازى

(٤) المزاج المتفق مزاج غير طيبى يرد على العضو ويزيل مزاجه الطبيعى والمختلف مزاج غير طبيعي يرد على العضو ولا يبطل مزاجه الطبيعى بل يخرجه عن الاعتدال

(٥) هذا تعريف ابن سينا فى القانون

(٦) هكذا في الأصل وتصحيحه كالحلقه بالخاء المعجمه راجع المواقف جـ ٦ ص ١٥٢

[مع إدارة المثلث] المخروطَ . ولا مناقشة فى التوهم [١]

[القسم الرابع] الاستعدادات

و [الاستعداد] للقبول ضعف ، [الاستعداد] لعدمه قوة . وقوة الفعل ليست منها [كما ظنها قوم] .

[القول فى النسب]

ثم النسب أنكرها [فى الخارج] المتكلمون وإلا [إن وجدت] تسلسلت، وله[٢] أثبت ضرار أعراضا [نسبية] غير متناهية . و [يقول المتكلمون أيضا لو وجدت الأعراض النسبية] لقام الحادث بالبارى [لأن له مع كل حادث نسبة] . و [أجاب الحكماء بأن ذلك] يفيد ساب الكل لا السلب الكلى.

[الكون وأنواعه]

و [المتكلمون] أثبتوا الأين وسموه بالكون، و [سماه] قوم بالكائنة [٣]؛ وعلتها [عندهم] الكون . فحصول الجوهر فى حيز بعد كونه فيه سكون ، و [حصوله] فى آخر حركة . فحالَ الحدوث يُعدَمان : وقيل [٤] [الكون فى أول الحدوث] سكون . [ثم منهم من قال] والحركة مجموع (١٦) سكنات [فى إحياز مختلفة] ؛ والسكون فى المكان إنما ينافى الحركة منه لا إليه . و [حصول الجوهر فى حيز] بحيث لا يتخلل بينه وبين آخر ثالث اجتماعٌ ، وخلافه افتراق . و [الكون] وجوده بأنواعه [الأربعة التى هى الحركة والسكون والاجتماع والافتراق] ، ضرورى : والمميزات [بين هذه الأنواع أمور] اعتبارية .

---

(١) قال صاحب المواقف «وهذا (الذى ذكره المهندسون) كله أمور وهمية لا يعلم وجودها خارجا وعليها مبنى علمهم الذى يدعون فيه اليقين » مواقف ج ٦ ص ١٥٧

(٢) أى للزوم التسلسل على تقدير وجود النسب فى الخارج

(٣) فى المواقف نفسه « الكائنية » وهو الأصح ، مواقف ج ٦ ص ١٦٢

(٤) وهو قول أبى هاشم وأتباعه

ولهم فى حركة الجزء الوسطانى ، و [حركة] جالس السفينة ، و [حركة] ما يجتاز عليه متحرك إلى [جهة] خلاف جهته ، و [فى حركة ما يجتاز عليه] متحركان إلى جهتين [مختلفتين] نزاع . والجوهر [الفرد] المحفوف بستة [جواهر فردة] قد ينكر للزوم التجزى وهومكابرة [فى المحسوس] . فقال الشيخ [الأشعرى] والمعتزلة الكون غير المجاورة لحصوله حال الانفراد ؛ وهما غير المماسة والتأليف إذ يتبعانهما . فالشيخ [الأشعرى قال] المجاورة واحدة والتأليف [يتعدد بتعدد المؤتلف مع الجوهر فهو فى هذه الحالة] ستة . و [قالت] المعتزلة المجاورة بين الرطب واليابس تولد تأليفاً . وليست بشرط له عند أكثرهم لبقائه دونها . فهاهنا [فى الحالة المذكورة] تأليف [واحد] ، وقيل ست إذ ينعدم بمباينه ؛ لا سبعة لئلا ينفرد كل بتأليف . و [قال] الأستاذ [أبو اسحق المماسة والتأليف] هما المجاورة فيتعددان قطعاً .

[فروع على الاجتماع والافتراق]

[الأول] : [قال] القاضى [الباقلانى] الكون قبل الانضمام وبعده واحد ؛ وإنما تعددت الأسماء [بحسب الاعتبارات] . و [المماسات الست المعينة] يضادها ست مباينات غير معينة ، وقيل معينة بعد التماس . [الثانى] : و [الجوهر] المتوسط هل بعده من واحد [هو نفس] قربه من الآخر ؟ الحق لا : إذ يفترقان . والأكوان متضادة اقتضت حيزاً أو أحيازاً إلا إن جعلت المماسة منها .

[اختلافات المعتزلة فى أحكام الأكوان]

واختلفت المعتزلة فى بقاء الحركة ، وإلا [بأن بقيت] فسكون : والتزمه أبو هاشم [وذهب] إلى [أن] السكون [يبقى] . و [قال] الجبائى [إلا أذا هوى [جسم] ثقيل نخلق [الله] فيه [السكون] وإلا لم يزل [هاوياً] ، و [[و إلا فى السكون المقدور] للحى ، وإلا لم يأثم أذا أمر بالحركة . قل [الجبائى] وهما

ملموسان ومبصران ضرورة ، وأنكره ابنه ، وكذا التأليف . وخالفه [أبو هاشم]
فى تماثله و [فى] وقوعه مباشراً .

[مباحث الأين والحركة]

قال الحكماء : الحركة كمال أول لما هو بالقوة من حيث هو بالقوة . و [قال]
قدماؤهم [هى] الخروج من القوة إلى الفعل بالتدريج . والموجود منها أبداً
التوسط [بين مبدأ المسافة ومنتهاها] . فتنافى [الحركة بهذا المعنى] الاستقرار ؛
وهو [الحركة بهذا المعنى] كيفية من المبدأ إلى المنتهى . وأما الممتد [من أول
المسافة إلى آخرها] فتوهم لارتسام النسبة إلى الحيز [1] فى الخيال . وتقع[الحركة]
فى [مقولة] الكم بالتخلخل وهو ازدياد جسم بلا ضم [جسم آخر] ؛ والتكاثف
عكسه كفى الجمود [فى الماء] والذوبان ؛ [وكما فى] القارورة تمص فتكب [2]
على الماء فيدخلها وما هو إلا لتخلخل الهواء بالمص وتكاثفه ببرد الماء . و [التخلخل
والتكاثف] هما غير الانفشاش والاندماج [اللذين هما] من مقولة الوضع . و [تقع
الحركة] بالنمو وهو ازدياد بما ينضم إليه ويداخله فى الأقطار نسبة طبيعية ؛
والذبول عكسه .

و [تقع الحركة] فى [مقولة] الكيف [وتسمى] استحالة وليس كمونا وبروزا
وإلا أحس الحر فى باطن الماء [البارد] ، وكجبل من كبريت يصير نارا .

و [تقع أيضا] فى [مقولة] الوضع ككل الفلك . و[تقع] فى [مقولة]
الأين [وتسمى] نقلة .

وتقتضى [الحركة] ما به [الحركة] ، وليس [سببها الفاعلى] الجسمية
وإلا لدامت وعمت [الأجسام جميعها] ؛ ولأنها إما [أن تكون] لمطلوب

---

(١) فى الأصل الحيز وهو ظاهر الخطا

(٢) فى الأصل فبكت وهو ظاهر التحريف

فتنقطع عنده أولا . فإلى كل الجهات أو بعضها بلا مرجح . ولا [تكون علة الحركة] الطبيعية لثباتها ؛ بل حالة غير ملائمة تترك [طبعا طلبا للملائم] . ولا [تكون] النفس [علة] الارادية . ولا التصور الكلى لاستواء نسبته إلى الجزئيات ؛ و[تقتضى الحركة أيضاً] ما له وما فيه وما منه و [ما] إليه الحركة ، و[تقتضى كذلك] المقدار [وهو الزمان].

و [الحركة] وحدتها (١٧) الشخصية [تكون] بوحدة ما له [الحركة] ؛ إذ لا يقوم [الواحد بالشخص] بمحاين ؛ و [بوحدة] ما فيه [الحركة]؛ فما [١] منه وما إليه [الحركة] . [وإنما اشترطت وحدة ما فيه] إذ الشيء [الواحد] قد يستحيل وينمو [معاً فى زمان كونه قاطعاً لمسافة] لا هما فقط [٢] لاختلاف الطرق . و[لابد من وحدة] الزمان إذ المعدوم لايعاد . [و] لا [يشترط وحدة] ما به [الحركة وهو المحرك] إذ قد يحركه آخر قبل الانقطاع .

و [وحدتها] النوعية [إنما تكون بوحدة] ما منه وإليه وفيه لا ما به وله [الحركة] ، و [لا بوحدة] الزمان إن قدر تنوعه . و [وحدتها] الجنسية [إنما تكون بوحدة] ما فيه [فقط] .

و [الحركات] تتضاد المجانسة منها لا لتضاد ما [هى] فيه كالصاعدة والهابطة ، أو [لتضاد] الزمان [لعروضه للحركة] ، أو [لتضاد] الحصول فى الأطراف لعدمها [حينئذ] . بل [تضادها] للتوجه باعتبار ما منه وإليه من حيث هما كذلك مع الاختلاف بالذات أو بالعرض أو دونه .

و [المبدأ والمنتهى] العارضان يضايفانها ولا يتضايفان للانفكاك تعقلا .

---

(١) الفاء فى قوله « فما » عطفيه

(٢) أى ولا يكفى فى الوحدة الشخصية للحركة وحدة ما منه وما إليه دون اعتبار وحدة ما فيه

و [الحركة] انقسامها [بثلاثة أشياء] بالزمان والمسافة والمتحرك . وهى طبيعية وقسرية وإرادية. وسببها قوة كذلك [طبيعية أو قسرية أو إرادية]. وبطؤها ليس لتخلل السكنات [بين الحركات] وإلا لم يحس بحركة الفرس إذ زيادة سكناته عليها كزيادة حركة المحدد . وقد يمنع [لزوم رؤية السكون على هذا التقدير] إذ السكون لا يحس [لكونه عدمياً عندهم] ، ولتلازم حركة الشمس والظل وإلا جاز أن يتم الدورة وهو [أى الظل] بحاله . و [هذا الاستدلال] لا يلزمنا . بل [بطؤها] لممانعة [الجسم] المخروق [فى الحركة الطبيعية] ، و [لممانعة] الطبيعة [فى الحركة القسرية والإرادية] أو [لممانعة] كليهما [فيهما كذلك].

وقيل (١) بين كل [حركتين] مستقيمتين سكون ؛ فالحكماء [قالوا] لامتناع تتالى آنى الميلين الموصل والصادف . و [قال] الجبائى لتكافؤ الاعتمادين [الصاعد والهابط] . ومنع [وجوب السكون بين الحركتين] إذ يستلزم وقوف الجبل بمصادمة الخردلة . و [قالت] المعتزلة [لا يجب السكون بين الحركتين] إذ لا يوجبه الاعتماد اللازم و [لا يوجبه الاعتماد] المجتاب .

[مبحث الأضافة]

ثم الأضافة ، وهى المضاف الحقيقى [إن كانت نسبة معقولة بالقياس إلى نسبة أخرى معقولة بالقياس إلى الأولى] . ومعروضها [وحده] أو معه [العارض يسمى كل منهما المضاف] المشهورى .

ويجب التكافؤ [بين المضافين] نسبة (٢) ووجودا عيناً وذهناً . و [يلزم التكافؤ] فى المتحصل لا [فى المتحصل] بموضوعه .

وقد تتوافق [الأضافة] أو تتخالف [سواء أ كان التخالف] محدوداً أو

---

(١) وهو قول أرسطو وأتباعه والجبائى من المعتزله

(٢) ويعبر عن التكافؤ فى النسبة بين المتضايفين بالانعكاس

غيره لصفة فيهما أو [فى] أحدهما أو لا [لصفة أصلا].

وتعرض [الأضافة] للمقولات [كلها] . و [المضاف] منه التقدم [والتأخر] . [قال الحكماء] وهو [أى التقدم] بالعلية والذات والزمان والشرف والرتبة الحسية أو العقلية . وزاد المتكلمون [التقدم] بالوضع كالماضى على المستقبل . و [قيل] عكسه [فالمستقبل متقدم على الماضى] باعتبار العارض(١) وتشترك [جميع أنواع التقدم] فى ثبوت [الأمر] الزائد للمتقدم.

[مبحث الجوهر]

الجوهر . قال الحكماء إن كان حالاً فصورة ؛ أو محلا لها فهيولى ؛ أو مركباً منهما فجسم أو مدبراً له فنفس وإلا فعقل . وهو عندنا المتحيز ؛ فأن قبل القسمة فجسم . و [قال] القاضى [الباقلانى] وبعض المحققين [الجسم] كل [واحد من الجزئين](٢) لئلا يقوم الواحد بالكثير — وإلا [يقبل الجوهر القسمة] فجوهر فرد ولا شكل له لأنه هيئة أحاطة حد أو حدود ؛ [فأن الحد هو النهاية] ولا تعقل [النهاية إلا بالنسبة إلى ذى النهاية] . ثم [قال] القاضى [الباقلانى] ولا يشبه [الجوهر الفرد] شيئا من الأشكال ؛ فما لا شكل له [كيف يشاكل غيره] ؟ ولغير القاضى خلاف فيما يشبهه .

[مبحث الجسم]

والجسم عندهم(٣) جوهر قابل لأبعاد ثلاثة متقاطعة على زوايا قائمة . ويقال [هذا العريف] لكمٍّ كذلك [وهو جسم] تعليمى(٤) .

---

(١) قالوا كل زمان يكون أولا مستقبلا ثم يصير حالا ثم يصير ماضياً ، فكونه مستقبلا يعرض له قبل كونه ماضياً

(٢) وهذا مخالف لرأى جمهور الأشاعرة القائلين بان الجسم هو مجموع الجزءين لا كل واحد منهما

(٣) عند الحكماء والمراد بالجسم الجسم الطبيعى

(٤) التعليمى نسبة إلى العلوم التعليمية وهى علوم الرياضه سميت كذلك لأنهم كانوا يبدءون بها تعليمهم لسهولتها وغلبة اليقين عليها

قيل [فى الاعتراض على هذا الحد] الجوهر لم يثبت جنسه ؛ و [قيل أيضاً] القابل [المذكور فى حد الجسم] ساب وإلا لفرض وتسلسل .

و [قالت] المعتزلة [الجسم] طويل عريض عميق . قال الجبائى وأقله ثمانية أجزاء : وقال العلاف [يتحصل] من ستة . وليس [الجسم] مجموع أعراض خلافاً للنظام والنجار [من المعتزلة] . فالتلازم [بين الأعراض والأجسام] لا يفيد [وحدتها] .(١٨)

[مذهب المتكلمين فى تركيب الجسم وحججهم عليه]

و [الجسم] البسيط مركب من أجزاء لا تتجزأ ، إذ القابل للقسمة ليس واحدا وإلا انقسمت الوحدة [والوحدة غير قابلة للانقسام] : و [أيضاً] كان التفريق حتى من البعوض للبحر بأبرته إعداماً [للبحر وإيجاداً لبحرين آخرين] : و [الحجة الثالثة لهم على أن الجسم مركب من أجزاء لا تتجزأ هى] لتمايز المقاطع بخواص كالثلث والربع وهى[١] متناهية وإلا امتنع قطع [مسافة متناهية] فى زمان متناه ؛ و [ثانياً] إذ التأليف يفيد حجما فيحصل من المتناهى فى الجهات جسم نسبة حجمه إلى [حجم] البحر مع تناهيهما كنسبة أجزائه مع تناهيها إلى الأجزاء مع عدم تناهيها [فتكون نسبة المتناهى إلى المتناهى كنسبة المتناهى إلى غير المتناهى] . وأيضاً فلا تنقسم النقطة [وهى موجودة] وهى أو محلها الجزء ؛ وكذا الحركة الحاضرة [موجودة لا تنقسم] ؛ و [لوجود أصغر الزوايا [فهى لا تنقسم] [٢] و [لفرض] كرة تماس سطحاً ؛ و [لإمكان وجود] خط [قائم على خط آخر] يمر [الخط الأول] به ؛ وإذ يلزم [من عدم انتهاء الأجسام إلى اجزاء

(١) الضمير عائد على الأجزاء التى يتركب منها الجسم

(٢) يشير ألى أصغر الزوايا التى يبرهن إقليدس على وجودها وهى تحصل من مماسة خط مستقيم لمحيط دائرة

لا تتجزأ] مساواة الخردلة السماء؛ وأن تنفصل [الخردلة] إلى ما تعمر [به] وجه الارض.

[مذهب الحكماء فى ماهية الجسم وحججهم فى إبطال الجزء الذى لا يتجزأ]

و [قالت] الحكماء [الجسم البسيط] متصل يقبل القسمة بلا نهاية ، إذ [لو تركب من أجزاء لا تتجزأ لكان الجزء] الوسط يحجب الطرفين [عن التماس] فينقسم [ذلك الجزء الوسط] ؛ وإذ كل متحيز يمينه غير يساره ؛ و [إذ] الوجه المضيء غير المظلم [من الصفحة الواحدة] . و [لوقوع جزء] واحد على ملتقى اثنين يبينه [أولا] الحركة و [ثانياً] خط [مركب] من [أجزاء] شفع يتحرك [عليه] جزآن أعلى وأسفل من طرفيه بتساو ؛ أو [خط مركب] من [أجزاء] وتر وكلاهما [يتحرك] أعلى [هذا الخط] : ولأن السريع إذا قطع جزءاً فالبطيء يقطع أقل إذ ليس [البطء] لتخلل السكنات ، سيما [البطء] الملازم [سرعة] كفى طرف الرحى والفرجار ذى الشعب الثلاث ، و [كما فى الشخص] الدائر على عقبيه ؛ والشمس مع ظل الخشبة ؛ ودلو على حبل مشدود فى وسط البئر مع كُلَّابٍ يمده إلى رأسه ؛ ومتحرك جزء على متحرك جزء [آخر] ؛ ولأشكال هندسية كالمربع [المؤلف] من ستة عشر جزءاً فالقطر كالضلع ؛ وكمثلث قائم الزاوية كل من ضلعيها عشرة [أجزاء] فالوتر جذر مائتين ؛ وإذا مد من جانب الخط فأقل من الآخر ، وإلا فهو مثل الضلعين ؛ وكالدائرة إذ ظاهرها أكبر ، وإلا تساوت [الدائرة] الصغيرة و [الدائرة] الكبيرة ؛ [وإن كان بين كل جزءين خلاء فأن كان] بأقل من جزء [لزم الانقسام فى الجزء] وإلا [بأن كان الخلاء بقدر ما يسع جزءاً] فضعفه ؛ ولانقسام الزاوية المستقيمة الخطين .

ولابد [فى الجسم عند الحكماء] من الانقسام بالوهم أو باختلاف عرضين أو بالفك إلا لمانع . فالاتصال [1] [هو] الصورة ؛ والقابل له وللانفصال غيرهما وهو

(١) يريد بالاتصال الجوهر المتصل؛ وقد استعمل المصدر مكان اسم الفاعل

الهيولى . ولا مقدار لها لذاتها ؛ ولا اتصال [لها أيضاً لذاتها] فيقتضى انقسامها [وجود هيولى] أخرى . قلنا [فى الاعتراض على استدلالهم على إثبات الهيولى] قد تنقسم [الأجسام] وَهماً لا فعلا [١] وتساوى حقيقة الأجزاء ممنوع [٢] . و [ربما يعترض على برهان الهيولى كذلك بأن] الاتصال [هو] الوحدة ، والانفصال [هو] الكثرة وهما عرضان .

[ملازمة الصورة للهيولى]

ولا ينفك صور عن هيولى وإلا تساوى الكل والجزء ؛ ولا عكسه وإلا امتنع الاقتران [بينهما] و [امتنع كذلك] الوضع بعده [٣] . فليست أحداهما علة للأخرى ، فحاجة الهيولى [إلى الصورة] فى البقاء و [حاجة] الصورة [إلى الهيولى] فى التعين .

وللأجسام صور نوعية للاختلاف فى اللوازم . فلكل جسم حيز طبيعى ضرورة ؛ وهو للمركب حيز [البسيط] الغالب [فيه] ، أو [هو] ما اتفق [وجوده فيه [إن تساوت البسائط كلها فيه] .

[الجسم البسيط وأقسامه] [٤]

و [الجسم منه بسيط وشكله الكرة . والأفلاك (١٩) الثابتة بالرصد تسع

---

(١) يشير بذلك إلى مذهب ديموقراطيس وأتباعه القائلين إن مبادىء الاجسام أجزاء هى أجسام صغار صلبة متجزئة فى الوهم غير قابلة للتجزئه فى الحس

(٢) مع أن تساوى الأجزاء فى الماهية هو الذى اعتمد عليه ابن سينا فى الرد على مذهب ديموقراطيس

(٣) أى امتنع كون الصورة الجسمية مشاراً إليها بعد التجرد

(٤) يقسمون الجسم البسيط إلى فلكى وعنصرى : فالفلكى هو الأفلاك والكواكب والعنصرى هو العناصر الاربعة المعروفة

تشتمل على أربع وعشرين [١] دلت عليها الحركات المختلفة و [دلت] على ترتيبها الحجب . فالمحيط بالكل [هو الفلك] المحدِّد [للجهات] ، لأن الجهة منتهى الأشارة ومقصد المتحرك [الأينى] بالحصول فيه . و[الجهة أمر] موجود ذو وضع ، و [هى] لا تنقسم وإلا فالجهة أحد جزءيها ، فهى نهايات ؛ وإذ لاخلاء ؛ والملاء المتشابه لا يكون جزء منه مطلوباً بالطبع وجزء متروكا [بالطبع] .

و [الجهة] الحقيقية [٢] [هى] العلو والسفل فلابد من كرى يحدد القرب والبعد ولا يحدد بغيره إلا القرب . و [ذلك الجسم المحدد الكرى] هو واحد إذ [لو كان أكثر من واحد] يكفى المحيط [بجميعها] وإذ [لو كان اثنين يكون] أحدهما فى جانب من الآخر فالتحديد قبلهما [لا بهما]

[شروط المحدِّد]

و[المحدد] بسيط وإلا جاز الانحلال وهو بالحركة المستقيمة فالجهة قبله . و [الأفلاك كلها التى منها المحدد] شفافة ، لا حارة ولا باردة وإلا استوليا [على عالمنا هذا] . و[هى] لا ثقيلة ولا خفيفة ، ولا رطبة ولا يابسة لأنها بمستقيمة . ولا يقبل الكون والفساد ؛ وإلا طلبت إحدى الصورتين غير ذلك الحيز فله [أى المحدد] جهة . ولا يتحرك فى الكم [٣] لعدم المكان [الخالى وراء محدبه] . والمقعر من المحدد] كالمحدب ، وكذا محدب المحاط [المماس لمقعر المحدد] فمقعره [٤] . وفيه مبدأ ميل مستدير لاستواء الأجزاء . فلا يجب له وضع [معين] ؛ فلا [يوجد فيه مبدأ لميل] مستقيم للتنافى [بين الميل المستدير والميل المستقيم] . والكل

---

(١) المراد أربعة وعشرين فلكا تسعه كلية وستة تداوير وثمانية خارجة المراكز وذلك واحد للقمر

(٢) فى الأصل الحقيقة وهو ظاهر التحريف

(٣) أى لا يزداد ولا ينقص

(٤) أى فكذا مقعره المساوى لمحدبه

[كذلك] إن سُلِّمَ [ثبوت البساطة فى كل الأفلاك] ، و فى المحددمحدبه . ولابد فى تعيين الجهة و القطبين من الرجوع إلى المختار [لا الموجِب] . قيل و [الفلك المحدد] هو المحرك للجميع إلى المغرب فى اليوم بليلته دورة . وهو الفلك الأعظم والأطلس والعرش [فى لسان الشرع] . وحركته [هى الحركة] الأولى ؛ وقطباه قطباً العالم . ومنطقته (١) معدل النهار، وهى حيث لجميع (٢) الكواكب فيه طلوع [وغروب]. و [هى] تلازم سمت الرأس بخلاف الشمس فمدارها مائل عنه(٣): وهى(٤) تخلف الثوابت إلى المغرب لحركتها إلى المشرق . و [مدار الشمس] يوازيه فى [الفلك] الأعظم فلك البروج ، ويقطع [فلك البروج] المعدل على نقطتين ، فما تجاوزها إلى الشمال [هو] الاعتدال الربيعى ؛ و إلى الجنوب [هو] الخريفى . ومنتصفهما فى الشمال الانقلاب الصيفى ؛ و فى الجنوب [الانقلاب] الشتوى : فهى أربعة أقسام . وقسموا كلا ثلاثة متساويه ، لحصل اثنا عشر قسما تحدها ست دوائر سموها بروجاً . وابتدءوا بما يلى الاعتدال الربيعى من الشمال ، و تصوروا لما وازاها صوراً سموها بها هى الحمل و الثور و الجوزاء ربيعية ؛ و السرطان والأسد و السنبلة صيفية؛ والميزان والعقرب و القوس خريفية ؛ والجدى والدلو والحوت شتويه . وتوهموا دائرة مارة بالأقطاب الأربعة و بالانقلابين و بنظيرهما من المنطقة وقطباها الاعتدالان؛ [وأخرى] مارة بقطبى المعدل وجزء من المنطقة (٥) أو كوكب ما هى دائرة الميل ؛ وقوس منها [واقعة] بين المعدل وبينه (٦) ميله . و [توهموا دائرة ثالثة] مارة

---

(١) المراد بها أعظم دائرة تفرض فى منتصف القطبين بحيث يتساوى بعدها عنهما

(٢) فى الأصل بجميع

(٣) أى عن معدل النهار

(٤) الضمير عائد على الشمس

(٥) أى منطقة الروج

(٦) أى بين المعدل وبين ذلك الجزء من المنطقة

بقطبي المنطقه وجزء من المعدل أو كوكب ما هى (٢٠) دائرة العرض ؛ وقوس منها بين المنطقة وبينه عرضه . و [توهموا أيضاً دائرة] فاصلة بين الظاهر والخفى من الفلك وهى الأفق . وأربعاً [أخرى] تمر بقطبيها : فهى [خمسة : فالدائرة الثانية هى التى تمر بقطبى الأفق] وبقطبى المعدل [وتسمى دائرة] وسط السماء ؛ وقطباها نقطتا المشرق والمغرب من الأفق . [الثالثة تمر بقطبى الأفق] وبقطبى هذه [وتسمى بدائرة] أول السموات ؛ وقطباها نقطتا الشمال والجنوب [من الأفق . [الرابعة تمر بقطبى الأفق] وبقطبى المنطقة [وتسمى دائرة] السمت و [دائرة] عرض إقليم الرؤية . [الخامسة تمر بقطبى الأفق] و بكوكب ما [وتسمى دائرة] الارتفاع . وعند غايته [١] تنطبق بوسط السماء .

[الثوابت وأفلاكها]

ثم فلك الثوابت ويدور فى عشرين ألف سنة ، وقيل فى ست وثلاثين [ألف سنه] ثم [الفلك الكائن] لزحل ثم للمشترى ثم للمريخ ثم للشمس ثم للزهرة ثم لعطارد ثم للقمر . وجعل بعض المهندسين [فلك] الزهرة فوق [فلك] الشمس . وكذب ابن سينا [ذلك البعض] فى أنها وجدت كالشامة فى وجه الشمس .

ثم الشمس على فلك خارج المركز [عن مركز العالم] أو [على] تدوير يحمله موافق [المركز لمركز العالم] وإلا لم تختلف سرعتها وبطؤها . والقمر لسرعته وبطئه فى جميع الأجزاء [فى فلك البروج ؛ فهو] على تدوير . وللتفاوت إذا قيس سرعة أو بطئاً إلى مثله [علم أن تدويره] مركوز فى [فلك] خارج . وإذ غاية سرعته فى تربيع الشمس فهو فى الحضيض ؛ ويقابله الأوج ، فله فلك آخر يحرك أوجه إلى خلاف حركته ، ويسمى المائل . ويجتمعان عند المقابلة والاجتماع . والشمس تتوسطهما أبداً . وليست منطقة المائل فى سطح فلك البروج لميل القمر

(١) أى عند غاية ارتفاع هذا الكوكب

إلى الشمال والجنوب وإلا انخسف فى كل استقبال لتوسط الأرض بينه وبين الشمس فتقطع بنصفين على نقطتين يسميان العقدتين ؛ فما يتجاوزها إلى الشمال [من منطقة البروج يسمى] الرأس ، وإلى الجنوب [يسمى] الذنب . ولهما حركة إلى المغرب لتأخر موضع الكسوفين فيهما . ومحركهما فلك الجوزهر . فله بعد العقدتين عرض يتزايد ؛ وغايته منتصف ما بينهما ؛ ثم يتناقص . و [الأفلاك] الخمسة الباقية [المسماة بالمتحيرة] ترجع وتبطىء وتسرع فى جميع الأجزاء وتجاوز الثوابت إلى المشرق فهى فى تدوير حامله يتحرك إلى المشرق .

والزهرة وعطارد يقارنان الشمس ثم يشرقان إلى حد ، ثم يرجعان حتى يقارناها [1] ثم يغربان إلى حد ثم يرجعان . فمركز تدويرهما خاصة ملازم لمركز الشمس .

والباقى رجوعها فى مقابلة الشمس ؛ ويختلف بعدها الصباحى والمسائى عن الشمس ، وما هو إلا بقرب تدويرها من الأرض وبعده . فحامله [أى حامل تدويرها فلك] خارج مركز . وذلك [البعد الصباحى والمسائى المذكور يكون] لعطارد فى الجوزاء والجدى أعظم [مما له فى سواهما] ؛ فهو حينئذ أقرب إلى الأرض . فالأوج متحرك إلى المغرب فيقارنه فى الميزان والحمل . والمحرك له هو المدير ، وهما فى الحمل أعظم منهما فى الميزان . فالمدير خارج مركز . ويختلف بعد الشمس فى الاعتدالين بالدهور عن الثوابت ، فهى متحركة والأوجات توافقها : إما لاتحاد (٢١) المحرك أو التوافق [2] .

وعرض الزهرة شمالى أبدا وعطارد جنوبى كأن النصفين يتبادلان . ولكل من قطريهما المارة بالذروة والحضيض ، وبالبعدين الأوسطين عرض آخر .

---

(١) فى الأصل يقارنانها وهو خطأ

(٢) أى توافق الحركات المتعددة فى الحركة جهة وكما

واعترضوا بأنها [أى هذه الأوضاع المذكورة] لا تتعين ؛ وبأنه يبطل هيئة القمر محاذاة ذروته لمركز العالم وتشابه حركته عنده . و [بأنه يبطل] هيئة عطارد وتشابه حركته حول مركز معدل المسير ومحاذاة ذروته له ، و [بأن] عروضها [المتقدمة] لم يتصور مبدؤها [ولذلك تحيروا فيه] .

ثم الحركة قد تكون بنطاقات تتحرك بنفسها أو باعتماد الكواكب عليها . و [الحركة] الأرادية [التى ادعوها للأفلاك] قد تختلف . كيف [يلزم ما ذكروا] و [الحال] أنه فرع عدم الخرق . وعندنا الكل للمختار .

والكواكب شفافة مضيئة إلا القمر فأنه كمد نوره من الشمس لاختلافه بالقرب والبعد منها . فأذا سامت الشمس كان المضيء منه مقابلا لها دوننا فلم نره[1] ثم نراه كالهلال ويتزايد إلى أن يقابله فيصير الوجه المضيء إلينا فنراه بدرا ويتناقص إلى أن ينمحق . وقد يكون بقرب العقدتين [فتكون] الأرض بينهما . وهى [أى الأرض] أصغر من الشمس فيقع ظله مخروطا ؛ فأن لم يكن له عرض انخسف كله ، وإن كان بقدر مجموع نصف قطريهما فلا ، وإلا فبعضه . وعند الاجتماع إن لم يكن [للقمر] عرض خسفها بقدر صفحته ؛ وربما بقى دائرة نور عند قربها وبعده . وإن كان أقل من نصف القطرين فبعضها وإلا فلا [يكسفها] فبطل قول ابن الهيثم القمر نصفه مضيء ويدور على نفسه فى فلكه .

[مبحث العناصر]

والعناصر أربعة . خفيف مطلق يطلب المحيط[2] [فى أى حيز كان] وهو النار حارة بالحس يابسة لأفنائها الرطوبات . وتشكلها بسهولة للتركيب . وتشايع [النار البسيطة] الفلك [وتتحرك معه] كالشهب . و [خفيف] مضاف وهو

(١) فى الأصل « فلم نر »

(٢) فى الأصل يطلب الحديد وهو ظاهر التحريف

الهواء : حار رطب . وثقيل مطلق يطلب المركز وهو الأرض : باردة يابسة طبعاً . و [ثقيل] مضاف وهو الماء : بارد رطب بوطبيعته الجمود لبرده ، لكن الشمس تذيبه .

والأرض كرية ؛ أما فى الطول فلتأخر طلوع الشمس على البلاد الغربية ، علم [ذلك] باختلاف وقت خسوف بعينه من الليل فيها . وأما العرض فلارتفاع قطب كل جانب للسالك فيه وظهور كوكبه بخلاف العكس . وفيما بينهما لهما (١)

وكذا الماء [كرى] إذ السائر فى البحر يرى رأس الجبل قبل أسفله ؛ وإذ يعود المرمى [من الماء] كريا . ولمثله (٢)

[الأرض]

وهى فى الوسط . ولا قدر لها عند الفلك لتساوى قدر الكواكب [فى الرؤية فى جميع جوانبها] و [لتساوى] الظاهر والخفى منه [من الفلك] فى الجوانب إلا [فلك] القمر إذ له اختلاف منظر بتقاطع خطين خارجين [أحدهما] من مركزها و [الآخر من] الباصرة . والثانى أقرب إلى الأفق فيزداد هابطاً وينقص صاعدا .

[والأرض] ساكنة ، وقيل هاوية أبدا ، وقيل دائرة إلى المشرق فيتخيل بذلك الحركة اليومية كراكب السفينة يراها ساكنة (٢٢) والشط متحركا . ولا يدفعه مرور السهم وعود الحجر إلى مكانه لمشايعة الهواء . وعمدتهم أن فيها ميلا مستقيما فيمنع المستدير .

وما يوازى المعدل منها [هو] خط الاستواء . ويقطع الأفق المعدل مطلقا و [يقطع أيضاً] المدارات اليومية فيه [فى خط الاستواء] بنصفين فيتساوى الليل

---

(١) أى وفيما بين الطول والعرض للأمرين جميعا

(٢) أى مثل ما تقدم من الدليل على كرية الارض من طلوع الكواكب وظهور القطب الخ

والنهار ، وفى غيره [بقوسين] مختلفين : وأعظمها ما يلى القطب الظاهر . فالشمس فى أى جهة كانت فنهارهم أطول [من ليلهم] . وهى تسامت [١] فيه [فى خط الاستواء] وفى المواضع التى بين المنطقتين فى الدورة مرتين . فلهم ثمانية فصول . وفى [المواضع] التى تحت الانقلابين [تسامت الشمس] دفعة [واحدة] لا [تسامت الرأس] فى غيرهما . وفى [المواضع] التى المدار الصيفى أبدى الظهور [فيها] لا تغرب [الشمس] دورة يومية . وفى [المواضع] التى تسامت قطب البروج تنطبق المنطقة على الأفق ، فأذا غربت ارتفع نصفها الشرقى وانحط الغربى دفعة ؛ وفيما بينها والقطب يكون قوس أبدى الظهور وآخر أبدى الخفاء . وبينهما قوسان يطلع أحدهما مستوياً ويغرب معوجاً ، والآخر بالعكس . وفى التى تسامت قطب العالم محوره قائم على الأفق والمعدل يدور حوله رحويا : ويظهر نصف المنطقة فقط ؛ فالسنة [فى هذه الحالة] يوم وليلة .

والصبح [يرجع أصله] لكرة البخار [التى] تقبل نور الشمس . والشفق مثله . وحمرته لتكاثفه فى الأفق . وفى الأرض وهاد يسيل الماء إليها طبعا فتنكشف البلاد معاشاً للنبات والحيوان عناية من الله تعالى .

والحر الشديد يعقد الطين اللزج حجراً ؛ وبالسيول والرياح تنحفر [الأجزاء] الرخوة [من الأرض] فيحصل الجبل . فمحدبها [أى الأرض] ومقعر الهواء والماء غير كريين .

و [العناصر] الأربعة تقبل الكون والفساد للانقلاب كالأرض [تنقلب] ماء بالحيل ، وعكسه فى مواضع . والماء [ينقلب] هواء بالتسخين ، وعكسه فى ظاهر كوز فى الجمد حيث لا يلاقيه . والهواء [ينقلب] نارا ، وعكسه فى كير الحدادين . فهيولاها [جميعها] مشتركة . واختلاف الوضع يعدها للصور والكيفيات .

---

(١) فى الأصل سامت

وهذه هى الأركان [التى يتركب منها المركبات] إذ يحصل [من جعل مركب] بالقرع والأنبيق (١) ماء وأرض وهواء ؛ واجتماعها بالحرارة قطعاً .

و [العناصر الأربعة] طبقاتها سبع : أرضية فطينية فمائية فبخارية فزمهريرية فهوائية نارية فنارية .

[المركبات]

والمركبات أكثرها له مزاج . وهو كيفية متشابهة تحدث من تفاعل عناصر متصغرة الأجزاء تكسر صورة كل كيفية الآخر ؛ وهى [أى الكيفية] غير الصورة للاشتداد [والضعف فى الكيفيات دون الصور] . و [المزاج] منه معتدل حقيقى على حاق الوسط ؛ و [هذا] لا يوجد [فى الخارج] . فالمراد [بالمزاج المعتدل حينئذ] ما يغلب عليه الواجب [له من الخواص] . ويعتبر [الاعتدال] فى النوع الصنف والشخص والعضو كل بالنسبة فى الداخل والخارج.

وأعدل الأنواع الأنسان و [أعدل] الأصناف سكان خط الاستواء ، وقيل [سكان] الأقليم الرابع (٢) ؛ مع أن الأوضاع الأرضية كالارتفاع والانخفاض (٢٣) ونسبة الجبل والبحر والبرية والرياح وغيرها قد توجب [مزاجا] غيرهما [أعدل منهما] .

وغيره [أى غير المعتدل] حار وبارد ورطب ويابس [وهذه بسيطة : ومركبة وهى] حار ورطب ؛ وحار ويابس ، وبارد ورطب ، وبارد ويابس ؛ وهى باختلافها تعد [المادة] للصور .

---

(١) القرع والأنبيق أداة تستعمل فى التقطير

(٢) الأول قول ابن سينا والثانى قول الرازى

[المركبات التى لا نفس لها]

فما لا نفس له وهو المعادن فمنطرقها [١] الأجساد السبعة [٢] وهى [تتركب] من الزئبق والكبريت من الأبخرة والأدخنة . وهما [أي الزئبق والكبريت] إما صافيان وتم [٣] الطبخ [والكبريت] أبيض [فالحاصل] الفضة ؛ وأحمر فيه قوة صباغة [فالحاصل] الذهب ؛ فأن عقد البرد قبل [تمام الطبخ] فالخارصيني . أو [الزئبق صاف و] الكبريت ردىء محرق [فالحاصل] النحاس ؛ أو غير جيدى المخالطة [فالحاصل] الرصاص . وإما رديئان وقوى التركيب [بينهما فالحاصل] الحديد ؛ أولا [فالحاصل] الأسرب .

وغير منطرقها إما للين كالزئبق ، أولا وينحل بالرطوبة كالملح . أولا كالزرنيخ .

[ماله نفس من المركبات]

وما له نفس وهى كمال أول لجسم طبيعى آلى من حيث يتغذى وينمو ، أو يحس ويتحرك بالإرادة أو يعقل الكليات ويستنبط بالرأى . فالأولى النباتية وقواها الطبيعية فى البقاء : فبعضها فى بقاء الشخص ، وبعضها فى بقاء النوع بناء على أن الطبيعة تطلق [على ما يفعل بغير إرادة] وهذه يشترك [فيها النباتات والحيوانات] كلها ويحتاج إليها فى البقاء .

أما للشخص فالغاذية تشبه الغذاء بالمتغذى ؛ والنامية تزيد فى الأقطار بتناسب طبيعى إلى غاية لا كالسمن . وأما للنوع فالمولدة تفصل من الغذاء مادة المثل ؛ والمصورة تفيدها فى الرحم الصور والقوى :

---

(١) اى القابل للطرق منها

(٢) التى هى الذهب والفضة والرصاص والاسرب (أى الرصاص الأسود) والحديد والنحاس والخارصينى

(٣) فى الأصل قسم وهو تحريف

والأربع تخدمها أربع ، [الأولى] الجاذبة . تجذب المحتاج إليه [من الغذاء] إذ قد يزدرد المنكوس ؛ و [هى حركة] بلا اختيار . و [الدليل على وجود قوة الجذب فى المعدة أنه] يخرج بالقىء [الحلو] آخر [ما يخرج منها] . و [الثانية] الهاضمة تعد الغذاء للجزئية [١] . و [الهضم] مراتبه أربع ؛ ففى المعدة يصير كيلوسا كماء الكشك الثخين . ويبتدىء [هذا الهضم] فى الفم لاتصال السطحين [سطح الفم وسطح المعدة] فتنضج الحنطة الممضوغة الدماميل دون المطبوخة [٢] و [الهضم] فى الكبد كيموسا و [الكيموس] هى الأخلاط الأربعة ؛ فرغوته الصفراء ، وعكره السوداء ، وغيرها نضجة [وهو] الدم ، ونيئه [وهو] البلغم . و [هذه الأخلاط] منها غير طبيعية [لتغير مزاجها] فى نفسها أو لمخالطة [أخلاط أخرى] . و [الهضم] فى العروق تميز إلى ما يصلح لكل عضو . و [الهضم] فى الأعضاء تشبه بها الصاقا ولونا وقواما .

ولكل [نوع من أنواع الهضم] فضل ؛ كالمنى [الذى هو فضل] للرابع ؛ ولذلك يضعف قليله أكثر من كثير الدم و [الثالثة من هذه القوى] الماسكة للغذاء ريثما [٣] يفعل فيه الهاضمة ، وإلا نزل طبعا . و [الرابعة] الدافعة للفضل و [للغذاء] المهيأ للعضو إليه .

و الثانية [النفس] الحيوانية ؛ وقواها النفسانية منها مدركة ؛ إما ظاهرة وهى المشاعر الخمس . فالبصر [يكون] بانعكاس [٤] صورة المرئى إلى الحدقة وانطباعها فى جزء منها ، وهى زاوية مخروط قاعدتها سطح المرئى فيرى القريب أعظم ؛ ولا يمتنع شبح الكبير فى الصغير . و ينفذ فى الشفاف مستقيما و فى مخالف الهواء منعطفا

---

(١) أى لان يصير الغذاء بالفعل جزءاً من العضو

(٢) وهذا يدل على استحالة الحنطة فى الفم بالمضغ

(٣) فى الأصل ربما ولا معنى له

(٤) وهو قول منسوب إلى أرسطو

وينعكس من الصقيل إلى ما يقابله بزواية مساوية لزاوية الرؤية.

وقيل [1] [إنما يدرك البصر] بخروج [جسم] شعاعى [من العين] ؛ ويكذبه (٢٤) عدم تشوشه بالرياح.

و [يحصل] السمع بوصول هواء إلى الصماخ لقوة فى مقعره. والشم [قوة] فى زائدتين فى مقدم الدماغ كحلمتى الثدى بوصول الهواء المتكيف إليه لا بتخلل من ذى الرائحة كفى المسك اليسير. والذوق [قوة] فى العصب المفروش على اللسان بمخالطة رطوبة عذبة ؛ وإذا تغير [اللعاب الذى هو هذه الرطوبة العذبة] كذب كالممرور [2]. ومن ثم ظن ألا يوجد للطعم [وجود] إلا فيه [3]. واللمس فى الجلد كله بالمماسة ، و [هذه المشاعر] قوتها بحسب قوه الممانعة لغلظ الآلة [أو رقتها].

وإما باطنة وهى خمس : فالحس المشترك يدرك صور الجزئيات معاً فنحكم بها كما نرى القطرة النازلة خطاً ، والشعلة المدارة بسرعة كالدائرة ؛ وهى فى البطن الأول من الدماغ [أى فى] مقدمه. والخيال يحفظها ، وبه يعرف الغائب [وهو] فى مؤخره. والوهمية تدرك المعانى الجزئية كالشاة [فى إدراكها] لعداوة الذئب ، وهو فى البطن الأخير مقدمه. والحافظة لها وهى فى مؤخره. والمتخيلة تتصرف فيهما بالتركيب والتحليل فى الدودة [4]. وأذا استعملها العقل فمفكرة.

[وقد] عرفت [هذه القوى] بتعدد الفعل و [عرفت] محالها بالآفة والنفس إنما تدركها بالواسطة ، وإلا انقسمت بتصور مربع مجتمع بمربعين

---

(١) وهو مذهب الرياضيين

(٢) الممرور هو الذي غلبت عليه المرة الصفراء

(٣) فى الذوق لا فى الشىء المذوق

(٤) فى الاصل الدورة وهو تحريف : والدودة جزء فى وسط الدماغ : قارن المواقف ج ٧ ص ٢٠٩ وكذلك النجاه لابن سينا ص ٢٦٦

ومنها [قوى] فاعلة ، إما باعثة : فلجلب النفع [وتسمى] شهوية ، ولدفع الضر [وتسمى] غضبية : وإما محركة [1] بتمديد الأعصاب وإرخائها وهو المبدأ القريب للحركة ، فالإرادة ، فالشوق ، فالتصور [وهو المبدأ البعيد] .

و [النفس] الثالثة [هى] الإنسانية وقواها [هى القوى] العقلية . فباعتبار إدراكها للكليات والحكم بالنسبة بينها [تسمى القوة] النظرية ؛ وباعتبار استنباط الصناعات [تسمى] العملية . وتحدث فيها من القوة الشوقية هيئات انفعالية كالضحك والبكاء والخجل والحياء .

و [المركبات] منها ما لا مزاج له فأن حر الشمس يصعد أجزاء إما هوائية ومائية وهو البخار ، فأن تحلل [الجزء المائى] صار هواء [صرفا] وإن وصل إلى [طبقة] الزمهرير عقدها سحاباً فتقاطر : فبلا جمود [يسمى] المطر ؛ ومعه قبل الاجتماع [يسمى] الثلج ؛ وبعده [يسمى] البرد و [البَرَد] يستدير بالحركة ؛ وإلا [يصل إلى طبقة الزمهرير] فالضباب ؛ وقليله قد يتكاثف ببرد الليل وهو الطل ؛ وقد ينجمد وهو الصقيع .

وإما [أن يُصَعِّد حر الشمس إلى الجو أجزاء] ناريه وأرضية وهو الدخان فيخالط السحاب فيخرق فصاعداً أو هابطاً وهو الرعد . وقد يشتعل [ذلك الدخان] فلطيفه البرق ، وكثيفه الصواعق . وقد يصل إلى كرة النار فيخترق لطيفه مشتعلا وهو الشهاب وهو الذؤابات وذوات الأذناب والقرون .

والغليظ [من الدخان] يحدث علامات حمراء وسوداء . وقد يقف [ذو الذنب ونحوه] تحت كوكب فيديره الفلك معه ؛ وإن اتصل بأرض [أحرقت ما عليها وتسمى] الحريق . وقد ينكسر حره ويرجع [إلى الأرض] أو بمدافعة

---

(١) فى الأصل متحركة وهو تحريف

الفلك فيتموج الهواء وهو الريح ؛ ولذلك مباديها فى الأكثر (٢٥) فوقانية . وقد تحدث [الريح] بالتخلخل والاندفاع . والزوابع [تحدث] من تدافع [ريحين] مختلفى الجهة . وقد يحدث فى الجو أجزاء رشية صقيلة كدائرة تحيط بغيم رقيق لطيف لا يحجب ما وراءه فينعكس منها ضوء القمر لصقالتها فيرى ضوؤه دون شكله كما فى المرآة الصغيرة و [هذه] هى الهالة .

و [إذا حدث مثل ذلك] فى خلاف جهة الشمس [يسمى] قوس قزح : ويتلون بحسب أجزاء السحاب . والبخار فى الأرض ينقلب كثيره ماء فيشقها [١] ومنه العيون إذا مدّ . وهو والدخان يزلزلانها عند تكاثف مسامها ؛ وقد يخرجان نارا بشدة الحركة . وحيث [يوجد] كبريت يصير بخاره مع الهواء الرطب دهنا ، ويشتعل بأنوار الكوكب .

[و] قال المتكلمون [فى شرح هذه المسائل] الأجسام متجانسة لأنها من الجواهر ، والاختلاف فى أعراضها [راجع] للمختار . ومنعه النظام لأنها [عنده] نفس الأعراض .

[عوارض الأجسام]

ثم الأجسام محدثة [٢] ، وقال أرسطو [٣] الأفلاك قديمة بذواتها وصفاتها ما عدا الأوضاع [فأنها حادثة] . والعناصر [قديمة] بموادها دون صورها الشخصية . و [قال] من قبله [٤] [العناصر] محدثة بصفاتها ، والذات قديمة ، مع الخلاف فى أنها جسم أولا وما هى . [والرأى] لنا أنها لا تخلو عن الحوادث

---

(١) فى الأصل فشقها

(٢) هذا رأى المليين من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس

(٣) وهو أيضاً رأى من تبعه من فلاسفة المسلمين كالفارابى وابن سينا

(٤) الضمير عائد على أرسطو

لتجدد الأعراض ، وإذ لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان . أما الحركة فلأنها مسبوقة بالغير و [المسبوقية] تنافى الأول ، وإذ لا يوجد جزئياتها فيه . والماهية فى ضمنها [أى فى ضمن الجزئيات] . وإذ كل جزئى [من الحركات] مسبوق بعدم أزلى فتجتمع العدمات فى الأزل فلا [توجد فى الأزل] حركة . و [أيضاً] للتطبيق [1] . ولتفاوت المتضايفين باعتبار السابق والمسبوق .

وأما السكون فلأنه لو قدم امتنع زواله لاستناده إلى واجب موجب وأنه باطل اتفاقا . وإذ لا يجب الوضع للبسائط [لأن أجزاءها متحدة فى الماهية فيجوز تبدل أوضاعها] ؛ فالمركبات [كذلك] . وأيضاً فيلزم إما كونٌ قديم أو قبل كل كون كونٌ لا إلى نهاية وقد بطلا ؛ وأيضاً [لو قدم جسم] ففى الأزل إما متحرك أو ساكن ؛ وأيضاً فموجود [2] ولا يتصور إلا عن عدم . وأيضاً [الأجسام حاصلة] بفعل [الفاعل] المختار ؛ وأيضاً فلا يقوم الحادث بالقديم

ولهم [3] [فى الرد على هذا شبه منها] قدم المدة [4] لما مر ، و [قدم] المادة والفاعلية لئلا يتسلسل . وصحة الفناء [على العالم] فرعه [5] . و [قالت] الكرامية [الأجسام] حادثة أبدية وهى باقية ضرورة ؛ وإذ لولاه [أى البقاء] فهو موت ولا حياة . و يمتنع عليها التداخل لذاتها وألا فليجز [التداخل] للعالم فى حيز خردلة : و [الجوهر] تلازم وحدته ووحدة مكانه ضرورى . والاستدلال [على عدم

---

(١) طريقة تقدم ذكرها فى مباحث إبطال التسلسل : راجع شرح الموقف ج ٧ ص ٢٢٤

(٢) فى الأصل « فوجد »

(٣) المراد الحكماء

(٤) المدة هنا الزمان

(٥) أى فرع الحدوث

تداخل الأجسام] تنبيه [على الضرورى] . والخلاف فى تسميتهما [١] بالضدين لفظى كالصور [النوعية] عند الحكماء .

ولا يخلو [الجسم] عن العرض وضده كالحركة والسكون ولا تعميم فيه . وجوزه بعض الدهرية فى الأزل ، و [جوزته] الصالحية [من المعتزلة] فيما لا يزال ، و [جوزته] البصرية [من المعتزلة] فى غير الأكوان . والبغدادية [منهم] فى غير الألوان . ونفى الاختيار مشترك [٢] . ولا يلزم [أن يقوم بالعبد] أضداد غير متناهية .

[والأبعاد الموجودة متناهية من جميع الجهات سواء أكانت فى ملاء أو خلاء] [٣] خلافاً للهند : وإلا فرضنا (٢٦) خطاً غير متناه و [خطاً آخر] متناهياً يوازيه ثم يسامته فأولها [أى المسامته يكون] بنقطة عندها [٤] . وقد يفرضان غير متناهين متقاطعين والتخلص [إنما يكون] بنقطة هى نهاية [الخطين] [٥] أو [يفرضان] كساقى مثلث فالانفراج بينهما غير متناه [سواء] كان [الانفراج مساوياً لهما أو مناسباً [٦] . وقد يقسم ترس لستة [أقسام] ونردد فى كل [قسم] [٧] . وللتطبيق . و [لـ] تعين نقطتين [على خط غير متناه من الجانبين] ، فليس [كل واحدة من النقطتين] منتصفاً [للخط] . و [الخط المبتدىء] من أحدهما زائد على [الخط المبتدىء من] الآخر .

---

(١) أى فى تسمية الجسمين الممتنع تداخلهما : وقد منع التسمية القاضى الباقلانى وجوزها الاستاذ أبو اسحق

(٢) يشير إلى أن المجوزين لخلو الأجسام من الأعراض احتجوا بقولهم لو لزم من وجود الجوهر وجود العرض لكان الله مضطراً إلى إحداث العرض عند إحداث الجوهر وهذا ينفى الاختيار عنه تعالى . والجواب أن هذا أيضاً يلزمهم فى امتناع وجود العرض دون الجوهر فهو مشترك

(٣) يظهر أن هنا نقصاً فى الأصل لأن عبارته هى « ولا يلزم أضداد غير متناهية خلافاً للهند »

(٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) تسمى على الترتيب برهان المسامته ، فبرهان التخلص ، فالبرهان السلمى ، فالبرهان الترسى : راجع المواقف وشرحها ج ٧ ص ٢٣٦ — ٢٤٣

و [قيل] لامتياز فيما وراءه [أى وراء العالم] : والتقدير [لما وراء العالم] وهم. وامتناع [مد] اليد [1] [على افتراض وجود شخص واقف على طرف العالم راجع] لعدم الفضاء

[وقال] الحكماء لا عالم غيره [غير هذا العالم] . وإلا فالتحدد بغير المحدد ؛ و [أيضاً يلزم من وجود عالم آخر أن] يخلو الوسط [بينهما سواء] كانا كرتين أم لا ؛ و [يلزم أيضاً من وجود الآخر أن] يكون لعنصر [واحد] حيزان طبيعيان . وقيل [فى الجواب عن الأول] قد يوجد لغير هاتين الجهتين محدد آخر ، و [عن الثانى] قد يكونان تدويرى كرة ، و [عن الثالث إنه قد] تختلف عناصرهما .

[مبحث النفوس]

والنفس مجردة [وهى] إما فلكية فلأن حركتها ليست طبيعية ، وإلا فالمطلوب بالطبع مهروب عنه بالطبع ، ولا قسرية لأنها بخلافها . [فهى] إرادية ؛ ولا تخيلية إذ لا تدوم منتظمة .

و [النفوس الفلكية] لها قوى جسمانية هى مبدأ الحركات الجزئية وليس لها حس ولا شهوة ولا غضب .

[النفس الناطقة]

وأما الناطقة [الانسانية فمجردة أيضاً] ، ووافقهم الغزالى والراغب . [واما تجردها] فلتعقل البسيط والوجود والكلى والضدين ؛ وإذ لو كان [العاقل] جسما أو جسمانياً لعقله أو لم يعقله دائماً . وقال ابن الراوندى [النفس الناطقة] جزء لا يتجزأ فى القلب . وقال النظام هى أجزاء لطيفة سارية فى البدن . وقيل [هى] قوة فى الدماغ ؛ وقيل قوة فى القلب ؛ وقيل ثلاث [قوى] : ففى القلب [قوة]

---

(١) فى الأصل « إليه » وهو تحريف

حيوانية ، وفى الكبد [قوة] نباتية ، وفى الدماغ [قوة] نفسانية ؛ وقيل [هى] الهيكل [المخصوص] [١] ؛ وقيل [هى] الأخلاط ؛ وقيل [هى] المزاج ؛ وقيل [هى] الهواء .

وهى حادثة عند المليين ؛ فقيل مع البدن لقوله تعالىٰ بعد [تعداد] أطواره ثم أنشأناه خلقاً آخر . وقيل قبله لقوله عليه السلام خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفى عام . و [هى حادثة أيضاً عند] أرسطو دون من قبله . وإلا [بأن كانت قديمة] اختلفت بالنوع أو لم تتعدد أولزم التناسخ . و [حدوث النفس] شرطه حدوث البدن فلا تناسخ ، وإلا يتعلق ببدن نفسان . وفيه [أى ما ذكره أرسطو دور .

وتتعلق به [بالبدن] كالعاشق لتوقف كمالاتها ولذاتها عليه . و [تتعلق بالبدن] أوَّلاً بالروح القلبى الكائن فى التجويف الأيسر من القلب من لطيف الغذاء ؛ وتفيده قوة تسرى إلى الأعضاء فيفيد كلا قوة بها يتم نفعه .

[العقل]

والعقل : قال الحكماء أول ما خلق [الله] ، لامتناع [صدور] الأثرين ؛ و [لامتناع] عِلّية ما لا يستقل [٢] بالوجود أو التأثير ؛ وإذ فاعل الجسم ليس أياه إذ شرط تأثيره الوضع [٣] ؛ ولا أحد جزأيه [أى الجسم] ؛ ولا مايتوقف وجوده أو تأثيره عليه [٤] .

---

(١) وهو المختار عند جمهور المتكلمين .

(٢) فى الأصل يستقبل وهو تحريف

(٣) يعنى أن الجسم إنما يؤثر فيما له وضع مخصوص بالمجاورة أو المحاذاة أو المقابلة الخ

(٤) وتلخيصه : أول صادر عن الله واحد مستقل بالوجود والتأثير ، وغير العقل ليس كذلك لانتفاء القيد الأول فى الجسم والثانى فى الهيولى والصورة والعرض ، والثالث فى النفس الثانى الموجد للجسم كالفلك مثلا

ثم يصدر عنه باعتبار وجوده ووجوبه بالغير وإمكانه عقل ونفس وفلك إلى العاشر وهو العقل الفعال . فقيل [فى الاعتراض عليهم] الاعتبارات [المذكورة فى العقل] إما وجودية فلها مصادر أولا فلا تصلح (٢٧) جزءاً للمصدر[١]

[أحكام العقول سبعة]

وأنها ليست بحادثة ، ولا فاسدة ، وأنواعها [منحصرة] فى أشخاصها . جامعة لكمالاتها ، عاقلة لذواتها ، و [عاقلة] للكليات و كذا كل مجرد [من المجردات القائمة بذواتها فأنه يعقل الكليات] . ويمكن أن يعقل [المجرد] مع غيره فيقارنه . و [التعقل] الممكن واجب لا للجزئيات .

[الجن والشياطين]

وأما الجن والشياطين فأجسام تشكل بأى شكل شاء . ولطفها بمعنى الشفافية فلا تجب الرؤية أو سهولة الانقسام . وقيل [هى] النفوس الأرضية ، وقيل الناطقة المفارقة .

[مباحث الألهيات]

الواجب : إن فى الواقع موجوداً واجباً لذاته [٢] لوجود ممكن أو حادث من ذات وصفة ، فله علة وينتهى إليه أو يدور أو يتسلسل ، ولأن [فى الواقع] موجوداً ، فأن وجب [فذاك] وإلا احتاج إلى علة إلى آخره ولأن [٣] علة الكل خارجة [عن الكل] وإلا أوجدت نفسها وعللها . وإذ لولاه فلا [يوجد] واجب بالغير فلا [يوجد] موجود . وإذ لابد من موجد مستقل يمتنع ارتفاع الكل مرة بالنظر إلى وجوده .

---

(١) فى الأصل فلا يصلح جزء

(٢) هذا مسلك الحكماء فى إثبات الصانع

(٣) وهو مسلك بعض المتأخرين من الحكماء

وينشأ كل مذهبين متقابلين [فى هذه المسألة أو فى أى مسألة كانت] بالترديد بينهما ؛ وإبطال كل بدليل الآخر شبهة تخل بالقدح فى دليل الضعيف منهما أو [فى دليل] كليهما .

[مخالفة ذات واجب الوجود لسائر الذوات]

ثم لا مثل له ولا تركيب [فيه] . وقال قدماء المتكلمين الذات مشتركة لما مر فى الوجود . ويمتاز [واجب الوجود] بالوجوب والحياة ، والعلم والقدرة التامين ؛ وعند أبى هاشم بالألهية [وهى] حالة خامسة توجبها (١) . فقيل [فى الجواب عن الاشتراك بين الواجب وغيره أمر] عارض . وبالفرق بين ذات الموضوع وعنوانه (٢) تنحل شبه [كثيرة] (٣)

و [قالت] الحكماء [ذاته] هو الوجود المشترك .

[صفات التنزيه]

ولا جهة له خلافاً للكرامية والمشبّهة ، وإلا قدم المكان وكان المحتاج إليه ، و [إلا] اختص به لمرجح ، أو خالط القاذورات . وللزوم حقارته [إن كان جوهراً فرداً] أو تركبه وحدوثه فليس جسما خلافاً للمجسمه ؛ ولهم تفاصيل لا يليق بأن تذكر . والضرورة [فى أن العقل لا يتصور إلا متحيزاً] وهمية . والظواهر [مما ورد فى الشرع] تؤول أو تفوض . ولا [يوجد] فى زمان أيّا فسرته . ولا يتحد بغيره ، ولا يحل فيه لا لأنه [أى الحلول] التبعية فى التحيز ، بل للزوم الحاجة [إلى المحل] . ولا يقوم به حادث وإلا صح أزلا إذ القابلية ذاتية (٤) ، وتستدعى طرفين ، وإذ صفاته كمال فلا يخلو عنها ؛ وإذ لا يتأثر عن غيره

---

(١) أى توجب الأربعة السابقة

(٢) عنوان الموضوع أى مفهومه وهو يقابل الماصدق الذى هو ذات الموضوع .

(٣) ذكر بعضها فى شرح المواقف ج ٨ ص ١٧ — ١٨

(٤) فيكون واجب الوجود قابلا أزلا أن يقوم الحادث بذاته

و [يمكن أن يقال فى الجواب عن الأول إن] اللازم [هو] أزلية الصحة [١] و [هى] لا تستلزم صحة الأزليه . [وعن الثانى بقوله] أو بتناوب صفاته بتأثيره ، وكل سابق شرط للاحق . و [قيام الحادث بذاته تعالى] جوزه الكراميه [و] قالوا والكل يعترف به : وإنما هو فى الأضافات وبه يندفع التزاماتهم .

وليس له لون ولا طعم ولا رائحة ولا ألم ولا لذة حسية ؛ وجوز الحكماء [اللذة] العقليه بناء على أنه أدرك الملائم ؛ وهو مدرك لكماله .

ثم إنه واحد . فالحكماء [يقولون] لو تعدد الواجب ، والوجوب نفس ماهيته ، لتمايزا بتعين وتركبا ؛ وإذ الوجوب يستلزم التعين ، وإلا لزم الدور أو [لزم] جواز الانفكاك [بينهما] . و [قال] المتكامون لو اجتمع قادران لاستند إليهما أثر [واحد] أو لزم الترجيح بلا مرجح ؛ وأيضاً فأمكن التمانع [٢] (٢٨) ولزم وقوع الضدين أو عجزهما أو أحدهما .

[وقالت] الثنوية الواحد لا يكون خيِّراً شريراً ؛ ومنع [قولهم هذا] . [وقد يقال لهم] الخير إن قَدَرَ على دفع الشر ولم يفعل فشرير ، وإلا فعاجز .

[الصفات الوجوديه لواجب الوجود]

ثم له [تعالى] صفات زائده [على ذاته] لتغايرها وإفادة الحمل [٣] . ومنعه الحكماء وإلا فقابل وفاعل : و [منعه أيضاً] المعتزلة لما مر [٤] ؛ وللحاجة

---

(١) أى أزلية صحة وجود الحادث وهذا ليس بمحال ، وإنما المحال هو صحة أزلية وجود الحادث وهذا ليس بلازم .

(٢) وهو وقوع إرادة كل منهما

(٣) هذا هو رأى الأشاعرة

(٤) يشير إلى قولهم إن إثبات أكثر من قديم واحد كفر

والاستكمال : وهما بغير المعنى المتنازع فيه مم [١] .

[صفة القدرة]

من [هذه الصفات] القدرة ، وإلا قدم الحادث أو تسلسل ، وتعلقها لذاتها ، ولا يوجب [ذلك] قدم الأثر . [والقدرة] واحدة ؛ إذ نسبة الموجب إلى الأعداد واحدة ، والقدرة لا تؤثر فى القديم . [وهى] غير متناهية ذاتاً ، إذ لا كم [لها] ؛ و [غير متناهية] تعلقاً ، أى لا تقف [عند حد] ؛ وإن كان المتحقق [من التعلقات بالفعل] أبداً متناهياً . وكذا سائر الصفات [٢] [لها هذه الأحكام] .
وتعم [القدرة] الممكنات ؛ إذ المقتضى لها الذات و [المقتضى] لتعلقها الأمكان .

و [قالت] الفلاسفة : لا يصدر عنه [تعالى] أثران ؛ و [قال] المنجمون الكواكب هى المدبرات أمراً للدوران [٣] . و [الجواب أن الدوران] لا يفيد العلية . أنَّى [لهم ما يقولون] وبساطة الفلك تبطل الأحكام وعدمها [يبطل علم] الهيئة وهى أصلها [٤]

و [قالت] الثنويه لا يقدر [الله] على الشر وإلا فشرير : والتزم [التالى] ؛ ولا يطاق [اسم الشرير عليه تعالى] لأيهام الغلبة وعدم التوقيف [وأسماء الله توقيفية] .

و [قال] النظام [لا يقدر الله على] القبيح لأنه جهل أو سفه ، وإن سلم فصارف [٥]

---

(١) « هما » تشير إلى الوجوب الذى تضمنه ذكر الحاجة ، والاستكمال : ومم اختصار لكلمة ممنوع

(٢) يعنى أن كل واحدة من الصفات قديمة غير متعددة وغير متناهية

(٣) أى لدوران الحوادث السفليه مع مواضع الكواكب

(٤) المراد علم الهيئة أصل تلك الاحكام

(٥) أى وإن سلم قبح الفعل بالقياس إلى الله فغايته عدم الفعل لوجود صارف عنه وهو القبح وذلك لا ينفى القدرة

و [قال أبو قاسم] البلخى [لا يقدر] على مثل العبد لأنه طاعة أو معصية أو عبث ؛ و إنما هى بالنسبة إلينا ؛ و [قالت] الجبائية [لا يقدر] على عينه للتمانع [1]. وهو [أى دليلهم هذا] بناء على تأثير قدرتنا .

[صفة العلم]

ومنها العلم اتفاقاً [من المتكلمين والحكماء ؛ أما المتكلمون فقالوا] للاتقان [الموجود فى فعله تعالى فهو عالم] ضرورة ، ولا تجب الملامة من كل [وجه] ؛ وللقدرة . وصدوره عن النائم لا يقدح .

و [قالت] الحكماء [ثابت له] لتجرده ، ولحصول ماهيته المجردة له ؛ وهو مبدأ الكل لكنه يعلمه [علما] كلياً لأنه كلى يفيد بكلى . ويعم [علمه تعالى] المفهومات [كلها] لما مر .

وقيل لا يعلم نفسه [2] لأنه [أى العلم] نسبة بين شيئين ، ومنع [كون العلم نسبة بين شيئين] ونقض بعلمنا . وقيل [لا يعلم] شيئا وإلا علم نفسه إذ يعلم علمه به ؛ أو [نقول فى الجواب] يمكن [هذا] [3] . وقيل [لا يعلم] غيره للزوم الكثرة [فى ذاته] : والتزمت [الكثرة] فى الأضافة . وقيل [لا يعلم] غير المتناهى لعدم تميزه ؛ ومنع [عدم التميز] فى كل [واحد واحد] . وقيل [لا يعلم] الجزئيات [4] ، وإلا لزم الجهل والتغير ومنع .

قال المشايخ [5] : العلم بأنه [أى الشىء] وجد وسيوجد واحد . وأنكره أبو الحسين [البصرى] لاختلاف المتعلق والشرط ، وللانفكاك [من الجانبين

(١) أى على عين فعل العبد للتمانع بين إرادة الله وإرادة العبد .

(٢) وهو قول الدهرية .

(٣) المراد القول بأن المدعى لزوم إمكان علمه تعالى بأنه عالم بأى شىء .

(٤) وهو رأى جمهور الفلاسفة .

(٥) مشايخ المعتزلة وبعض الأشاعرة .

بين العلمين]. وقيل [لا يعلم] الكل وإلا علم علمه ويتسلسل : و [لكن] لا يمتنع إضافات [متسلسلة إلى غير النهاية].

[صفة الحياة]

ومنها الحياة : فأبو الحسين [البصرى المعتزلى] والحكماء [قالوا هى] صحة العلم ، وقيل [1] صفة توجبها وإلا ترجح بلا مرجح [2] . و [يرد على دليلهم] أنه مشترك . والمصحح الذات و [أنها] تخالف غيرها بالحقيقة .

[صفة الأرادة]

ومنها الأرادة . و [قال] الحكماء و [هى] علم بالنظام الأكمل وهو العناية . و [قال] أبو الحسين [3] علمه بما فى الفعل من نفع وهى الداعية . و [قال] النجار [هى] عدم الأكراه . و [قال] الكعبى [الأرادة] فى فعله العلم [بما فيه المصلحة] و [فى] غيره الأمر به . و [قال] أصحابنا [4] [هى] صفة ثالثة [مغايرة للعلم والقدرة] وإلا لم تترجح المقدورات وجوداً ووقتاً . وهى قديمة وإلا تسلسل . و [قالت] المعتزلة [5] حادثة قائمة بذاتها (٢٩) و [قالت] الكرامية [قائمة] بذاته .

[صفتا السمع والبصر]

ومنها السمع والبصر ؛ وقيل هما علم بتعلقهما حال حدوثه .

---

(١) وهو رأى الجمهور من الأشاعرة والمعتزلة .

(٢) أى لولا اختصاصه تعالى بصفة توجب صحة العلم لكان اختصاصه بصحة العلم ترجيحاً بلا مرجح وبالمثل يقال فى صفة القدرة

(٣) وهو أيضاً رأى كثيرين من المعتزلة كالنظام والجاحظ والعلاف وأبى القاسم البلخى ومحمود الخوارزمى

(٤) وعلى هذا الرأى جمهور معتزلة البصرة أيضاً

(٥) وخاصة الجبائيه

[صفة الكلام]

ومنها الكلام تواتر به إجماع الأنبياء . ولا دور : (١) إذ التصديق [إنما هو] بالمعجز. وليس [كلام الله] بحرف ولا صوت يقومان بذاته كـ [ما ذهب إليه] الحنابله ؛ أو [يقومان] بغيره كـ [ما ذهب إليه] المعتزلة : بل [هو كلام] نفسى مغاير للعبارات إذ لا يختلف ، و [يغاير] العلم والأرادة إذ قد يخالفها . وأدلة الحدوث (٢) لا تنفيه لأنها للفظ .

والكذب يمتنع [على كلامه تعالى] . فالمعتزلة [يقولون] لأنه قبيح ومناف للمصلحة ، وعندنا لأنه نقص ؛ وإذ يقدم (٣) [الكذب] فيمتنع [عليه] الصدق ؛ و [يمتنع على كلامه تعالى الكذب أيضاً] للسمع (٤) ؛ ولا دور [كما مر] .

[صفة البقاء]

والبقاء أثبته الشيخ [الأشعرى صفة زائدة على الذات] لتحقق الوجود بدونه ؛ ونقض بالحدوث . ونفاه (٥) القاضى [الباقلانى] والأمامان [الجوينى والرازى] وإلا يتسلسل .

---

(١) هذا رد على من قال إن صدق الرسول متوقف على تصديق الله أياه ، وتصديق الله له إخبار عن كونه صادقاً والأخبار كلام فأثبات الكلام له بالكلام دور

(٢) يشير إلى ما ورد فى القرآن من آيات تدل على حدوث كلام الله مثل قوله تعالى « وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » وقوله « وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الخ

(٣) يقدم أى يكون قديماً لاستحالة قيام الحوادث بذاته تعالى . وفى الأصل تقدم وهو تحريف

(٤) وهو خبر النبي عليه السلام بصدق كلامه تعالى

(٥) أى نفا كون البقاء صفة وجودية زائدة على الذات : قال القاضى والأمامان البقاء نفس الوجود فى الزمان الثانى

[صفات أخرى]

وأثبت الشيخ الاستواء والوجه واليد غير الاستيلاء والوجود والقدرة . و [أثبت] قوم الجنب والقدم والأصبع واليمين والتكوين [١] . قالت الحنفية [صفه التكوين] تغاير القدرة لأنها مصححة [للكون] ذاتية .

ثم يصح أن يُرى [الله تعالى] فى الآخرة إذ ينكشف كالبدر لنحو [قوله] أرنى أنظر إليك [وسؤاله يجب أن يكون] بلا جهل وعبث ؛ أو [قوله] فأن استقر مكانه فسوف ترانى . و [قال] الشيخ [الأشعرى رؤيته تعالى ممكنة] إذ نرى الجوهر والعرض فـ [صحة الرؤية بينهما] لعلة مشتركة ؛ وليس [أى ليست هذه العلة] الحدوث إذ جزؤه عدم فهى [إذن] الوجود . ويلزم [صحة الرؤية] فى الكل . ولا يرى عادة . ومنع الكل . وسيرى لنحو [قوله] إلى ربها ناظرة ؛ ولم يرد [فى الآية] انتظار الآلاء لأنه موت أحمر . [٢] و [كنحو قوله تعالى] كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ولا تجب [الرؤية] عند الشرائط . وإلا لم نر الجسم البعيد أصغر لاستواء الأجزاء فيها [فى الشرائط] [٣] . ولا يؤثر تفاوت بحسب ضلعى المثلث وعموده ، وإلا فلو بعد [المرئى] بقدره [٤] لم نر [شيئا] . و [معنى قوله] لا تدركه

---

(١) أى صفة التكوين المشار إليه بقوله تعالى « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون »

(٢) اعترض بعضهم على تفسير الآية « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » فقال لعل المراد بلفظ « إلى » هنا واحد الآلاء أى النعم وبكلمة ناظرة منتظرة فيكون معنى الآية وجوه يومئذ ناضرة نعمة ربها منتظرة . والأحمر بالراى المعجمة من الحمازة وهى الشدة

(٣) رد على من قال إذا اجتمعت شرائط الرؤية فى زمان وجب حصول الرؤية فيجب عليه أن نرى الله الآن : راجع شرائط الرؤية فى المواقف ج ٨ ص ١٣٥

(٤) أى بقدر زيادة بعد الضلعين على بعد العمود . راجع تفصيل الاعتراض والجواب فى شرح المواقف ج ٨ ص ١٣٦ — ١٣٧

الأبصار أى لا تحيط به ؛ أو جزئى [١] . والتمدح [منه تعالى بأنه لا يرَى] وإن سُلم فبالممكن [لا بالممتنع] ، إذ لا مدح فيه للمعدوم . واستعظامه طلبا من اليهود لأنه تعنت [منهم] وإلا منعهم موسى . و [قوله] لن ترانى ليس للتأبيد . و [قوله] وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وَحياً ليس فيه نفيها . ولا مواجهة [فى رؤيته تعالى] خلافاً للكرامية . والضرورة [التى ادعاها الكرامية] تمنع كفى الأصل [٢] .

[حقيقته تعالى]

ولا تعقل حقيقته بل [يعلم عنه] سلوب وإضافات ، ولاَ يمنع [تصور هذا النوع من العلم] الشركة [فيه] . [قال] الحكماء يمتنع [تعقل حقيقته] إذ ليست بديهية ولا مركبة فتحد . ومنع الحصر .

[أفعال العبد]

ثم فعل العبد [الاختيارى] بقدرة الله تعالى . [قال] القاضى [الواقع بقدرة الله] أصله لا كونه طاعة ومعصية ؛ و [قال] إمام الحرمين والحكماء [ما هو واقع] بقدرة [يخلقها] الله تعالى فى العبد . و [قال] الأستاذ [هو واقع] بمجموع القدرتين . و [قالت] المعتزلة بقدرة العبد [نفسه] .

[والحجة] لنا [من ثلاثة وجوه] : شمول قدرته [تعالى] ، وجهل العبد بتفاصيله [٣] ، وأنه لوكان بمرجح منا يتسلسل ؛ ولهم [المعتزلة] الضرورة [٤] :

---

(١) أى أو « الآية » « لا تدركه الأبصار » جزئية سالبة

(٢) قال الكرامية لابد من المواجهة فى رؤيته تعالى ضرورة لأن ما لا يواجه أو يقابل لا تمكن رؤيته وهو فرع لأصل فى مذهبهم قائل إن كل موجود متحيز ضرورة وكل ما ليس بمتحيز فليس بموجود

(٣) أى تفاصيل الفعل

(٤) ففى رأيهم يعلم الإنسان الفرق بين الفعل الاختيارى وغيره معرفة ضرورية

وهى [أى الضرورة] بوجود القدرة وإن لم يؤثر ؛ و [لهم أيضاً] التكليف . ويلزمهم فيما علم الله تعالى عدمه . و [ما] أراد [عدمه] ، و [ما] أخبر [بعدمه] كفى إيمان أبى لهب ، إذ [التكليف] يستلزم إيمانه بأنه لا يؤمن . و [يلزمهم أيضاً الفعل] عند استواء الداعية ورجحانها ؛ وفى المعرفة [بالله] إذ هو تكليف بالحاصل أو للغافل (٣٠) فأما الظواهر [من الآيات] فمتعارضه .

[التوليد]

قالوا [أى المعتزلة] بالتوليد ؛ وهو أن يوجب فعل لفاعله فعلا آخر . و [التوليد] ينافى المباشرة . وجوزه أبو هاشم فى فعل الله ؛ وقسموه [١] إلى ما [يكون توليده] فى الابتداء فقط ؛ و [إلى ما توليده] فيه وفى الدوام . واختلفوا فى الموت [هل هو متولد أم لا] و [كذلك] فى الطعوم والألوان [التى] تحدث بالطبخ والضرب . [واختلفوا] فى الألم أهو من الوهاء [٢] إذ هو بقدره أم لا كما [فى الألمين الحاصلين من] الأبرة وزبانة العقرب . و [اختلفوا فى] إمكانه [أى إمكان إحداث الألم] من الله تعالى بلا وهاء .

ثم إنهم [أى المعتزلة] أولوا الطبع والختم والأكنة بالتسمية [٣] ؛ أو [بأنها] سمة تعرفها الملائكة [٤] ؛ أو بمنع اللطف [٥] ؛ أو [بمنع] الأخلاص . و [هذه التأويلات] يمنعها ذكر الله إياها فى معرض امتناع الأيمان [من الكفار]

---

(١) أى قسموا السبب المولد

(٢) الوهاء كالوهى الضعف والشق وانحلال الأجزاء

(٣) يشير إلى الآيات « بل طبع الله عليها بكفرهم » ، « ختم الله على قلوبهم » ، « وجعلنا على قلوبهم أكنة » ، وقد أولوها بالتسمية أى قالوا « طبع الله » أى سمى قلوبهم مطبوعة « وختم » أى سماها مختومة وهكذا ، وهذا تأويل أوائل المعتزله

(٤) وهذا تأويل الجبائى وابنه

(٥) وهذا تأويل الكعبي

و [أولوا أيضاً] التوفيق والهداية بالدعوة [إلى الأيمان] ؛ ويمنعه الاجتماع على الاختلاف فيهما [أى فى التوفيق والهداية] . و [يمنعه أيضاً] الدعاء [بهما] . و [يمنعه أيضاً] المدح [بهما] . و [اختلفوا فى] الموت . قالوا والمقتول مائت لا بأجله ، ولولم يقتل عاش وإلا لم يذم القاتل ؛ فالموت مقدور دون ضده . وقيل يموت [المقتول] إن لم يخالف [القتل] العادة كفى المعارك .

وفسروا الرزق بالحلال ، وبما لا منع من الانتفاع به ؛ فمن أكل الحرام عمره فالله لم يرزقه . وجعلوا السعر والغلاء والرخص [فعلا] مباشراً للعبد ؛ و [قيل] متولد من فعل الله .

هذا ، وهو مريد للكائنات لأنه خالقها بلا إكراه . و [قالت] المعتزله [هو مريد] للمأمورية [1] . وليس الأمر بخلاف المراد سفهاً كالمخيِّر [لعبده هل يطيعه أم لا] ؛ والمعتذر من ضرب عبده بعصيانه [2] ؛ والملجىء إليه [3]

ولا يلزم [من القول بأن الكفر مراد لله] كون الكفر طاعة لأنه [أى الأرادة] غير الأمر [والطاعة للأمر لا للأرادة] : و [لا يلزم] الرضا به [على تقدير كونه مراداً] لأنه بقضائه لا قضاؤه [4] . ولا يلزم [على تقدير كون الكفر مرادا منه تعالى] تكليف [العبد] بما لا يطاق [وهو الأيمان فى هذه الحالة] لوجود القدرة [على الأيمان] .

[مبحث الحسن والقبح]

وقال الحكماء [هو مريد] للخير ؛ وأما الشر فبالعرض . ثم لا قبح من الله ،

---

(١) أى الائتمار بأوامر الله : الطاعة

(٢) فأنه يأمره بفعل ما ويريد عصيانه لكى يظهر صدقه وهو أنه ضربه لعصيانه

(٣) أى إلى أمر ما فأنه قد يأمر ولا يريد فعل المأمور به

(٤) وإنما يلزم الرضا بقضاء الله تعالى لا بما هو مقضى به

وهو [أى القبيح] منّا ما نهى عنه شرعاً ؛ للجبر ، والتخلف فى كذب منجىٍ نبيٍ و [منجى] متوعد بالقتل ظلماً . و [قالت] المعتزلة [الحسن والقبح] لذات الفعل أو لصفته ؛ وقد تدرك [تلك الصفة] ضرورة أو نظرا أوْ لاَ [تدرك] . ولا نزاع فى [أن الحسن والقبح] صفة الكمال والنقص ؛ وأنهما الملاءمة والمنافرة . (١)

وما يدّعى فيه الضرورة منهما [من الأشياء الحسنة والقبيحة] ، وما أجمع عليه [أى على امتناعه] (٢) فلمدرك آخر [لا لقبحها الذاتى] كالكذب وخلق [الله] المعجزة (٣) للكاذب ، مع أن الألزام مشترك ؛ بل فى تعلق المدح والثواب أو الذم والعقاب .

فلا حكم [للأفعال] قبل الشرع ؛ ولهم فيما لا حكم فيه بعينه ثلاثة [أقوال] الحظر لأنه تصرف فى ملك الغير بلا إذنه ، والأباحة إذ لا يضر المالك كالاستظلال بجدار الغير والاقتباس من ناره ، وإذ خلقه [أى خلق الله العبد] و [خلق] المنتفع به . فالحكمة تقتضى إباحة . والتوقف بمعنى لا حكم ولا نعلم .

[ما أوجبته المعتزلة على الله]

ولا يجب على الله شىء إذ لا حاكم عليه . وأوجب المعتزلة اللطف و [فسروه بأنه] هو ما يقرّب إلى الطاعة ؛ ويلزمهم ما لا يتناهى [من النقوض] . و [أوجبوا]

---

(١) وهذا لا نزاع فيه بينهم وإنما النزاع فى الحسن والقبح بمعنى متعلق المدح والثواب أو الذم والعقاب فأن الأشاعرة قالوا هما شرعيان والمعتزلة قالوا عقليان

(٢) يشير إلى حجج المعتزلة فى أن الحسن والقبح عقليان بدليل أن الناس يجمعون على حسن بعض الأشياء وقبح بعضها ضرورة — وأيضاً لو حسن من الله كل شىء لحسن منه الكذب وخلق المعجزة على يد الكاذب

(٣) فى الأصل خلق العجز وهو تحريف

الثواب على الطاعة مع أنها لا تكافىء النعم السابقة [التى أنعم الله بها على العبد] . و [أوجبوا] العقاب مع أنه حقه [تعالى] والأسقاط [أى إسقاط العقاب] فضل [منه] . و [أوجبوا] الأصلح فى الدنيا ؛ ويكذبه الكافر الفقير [فأن الأصلح ألا يخلق] . و [أوجبوا] العوض على الأيلام لا [الأيلام الذى وقع] جزاء . و [العوض عن الألم الواقع] من المكلف [يؤخذ] مما يستحقه [من الحسنات ويعطى للمجنى عليه] . وإن عدم فالصرف (١)

وهل يجب [العوض] فى الآخرة [كما قال العلاف والجبائى] ؛ و [هل يدوم ، ويحيط [بالذنوب كما يحيط الثواب] ؛ وهل يجوز [إيصاله] ابتداء [من غير سبق ألم] (٣١) ؛ وعلى الجواز فهل [يجوز أن] يؤلم [ابتداء] للعوض ؛ وعلى المنع [فهل] يؤلم بعوض زائد لطفاً له وعبرة لغيره ؟

واختلفوا فى البهائم ، وهل عوضها فى الجنة ؛ وهل يخلق فيها عقل لتعقل أنه جزاء ، وقيل لا ألم لها وللصبيان .

[التكليف بما لا يطاق]

فيجوز تكليف ما لا يطاق ؛ ويجوز [تكليف] بما علم [الله] عدمه إجماعاً . ولم يقع [التكليف] بالممتنع لذاته ؛ وقيل لا يجوز إذ لا يعقل وقوعه فلا يطلب . ولا يناقض [عدم تعقل وقوعه] تصوره منفياً ؛ أو [تصوره] بالتشبيه . والنزاع فيما لا تعلق به قدرتنا عادة ؛ فلا يرد إيمان أبى لهب .

[هل أفعاله تعالى معللة بالأغراض ؟]

ثم لا غاية لفعله خلافاً للمعتزلة وإلا فمستكمل بنفع الغير ؛ وإذ لا خارج عنه [والغرض خارج عن الفعل] . وإن سمى [الخلو من الغرض] عبثاً التزمناه .

---

(١) أى وإن لم يكن له حسنات وجب على الله صرف المؤلم عن إيلامه

قالوا [أى المعتزله] وهى [أى الغاية] فى التكليف التعريض[١] [أى تعريض العبد للثواب] لاستحقاق التعظيم إذ التفضل به [بدون استحقاق] قبيح . وإن سُلِّمَ [قبحه] فممن ينتفع ويتضرر ، ويمكن [التعريض للثواب] بأسهل [من هذه التكاليف الشاقة] .

[أسماؤه تعـالى]

ثم الاسم غير التسمية ، وغير المسمى عند قوم ، ونفسه عند آخرين . و[قال] الشيخ [الأشعرى الاسم إما المسمى] نفسه كالله أو غيره كالرزاق أوْ لاَ [نفسه ولا غيره] كالعليم . وقد يؤخذ [الاسم] من الذات ففرع تعلقها[٢] ، ومن الجزء فيمتنع [عليه تعالى] ، ومن الوصف حقيقياً أو إضافياً أو سلبياً ، ومن الفعل . وقد تركب[٣] [الاسماء] ثنائياً وأكثر . والتسمية توقيفية

[السمعيات]

النبوة : النبى لغةً الطريق والشىء المرتفع ، وعرفا من قال له الله أرسلتك ونحوه . [وقال] الحكماء [النبى شخص] مطلع على الغيب تطيعه هيولى العناصر ويرى الملائكة مصورة ويسمع كلامهم وحياً ، ولمثله تنقاد الهمم المختلفة فيتم التعاون وينتظم المعاش والمعاد ، فيجب عقلا .

المعجزة : والمعجزة ما قصد به إظهار صدق المدعى أنه رسول الله تعالى ، وشُرِطَ أن يكون فعلا لله أو قائماً مقامه خارقاً للعادة ، يتعذر معارضته ، ظاهراً

---

(١) في الأصل تعوض ، وفي الشرح تعويض وفى المواقف تعريض

(٢) فى الأصل تعلقها وهو تحريف . والمراد بقوله ففرع تعقلها أن إطلاق الاسم المأخوذ من الذات فرع مسألة هل تدرك ذاته تعالى أولا تدرك فمن جوز تعقل ذاته تعالى جوز إطلاق هذا النوع من الاسم عليه

(٣) معنى تركب الاسماء هنا أن يجمع الاسم بين صفة فعلية وأخرى سلبية أو بين صفات حقيقيه وأضافية وسلبية معاً

مع دعوى النبوة ، موافقاً لها غير مكذب لها . ولا بأس لمن يحي فيكذّب ولو مات [المكذّب] عقيبه مقارناً أو متأخراً . والمتقدم [من الخارق للعادة على الدعوى يسمى] كرامات ككلام عيسى عليه السلام [فى المهد] : وقال القاضى كان [عيسى] نبياً [فى صباه لقوله] وجعلنى نبياً ، وقد أوجد الله الشرائط فى الطفل .

وهو [أى المعجز] فعل المختار . [وقالت] الفلاسفة [المعجز] إما تركٌ كالقوت [يترك] برهة لانجذاب النفس إلى عالم القدس فتكف عن التحليل كفى المرض ، أو قول كالأخبار بالغيب يقع له فى اليقظة كالرؤيا ، أو فعل لا تفى به مُنّةٌ(١) [غيره] بأن تتصرف نفسه بقوتها فى مادة العناصر سيما فيما يناسب مزاجه كفى بدنه .

[فى إثبات نبوة محمد عليه السلام]

ويثبت نبوة محمد عليه السلام الدعوى منه ، والمعجزة على وفقها ؛ وأظهَرُها القرآن : تحدى به ولم يعارض وإلا نقل ، والاحتمالات ضرورية الانتفاء . وله [معجزات] أخر تواتر المشترك بينها . وأنه [أى إظهار المعجز على يد النبى] تصديق عادة لا أنا نقيسه بالشاهد (٢) و [صدقه عليه السلام] يؤكده أحواله وأخبار الأنبياء عنه .

[من قال إن فى العقل مندوحة عن البعثة]

قال البراهمة العقل كاف إذ ما قبح ترك ؛ وما حسن فعل ؛ وإلا يحكم [العقل] اتبع الحاجة للاحتياط . فأن سُلِّمَ حكم العقل (٣٢) فأن الشرع يفصِّل

---

(١) المنة بالضم القوة وقيل من الأضداد

(٢) رد على من قال إن حصول المعجز لا يمكن لمن لم يشاهده

ما يعطيه ويعطى ما يقصر عنه ؛ وإذ العقول متفاوتة متخالفة ممنوة بالشهوة والغضب فلابد من شرع عام ينقاد له الكل .

وقيل فى الشرائع ما لا يوافق الحكمة : قلنا ممنوع ، بل يقصر عنه العقل ولا حكم له .

[أقوال أخرى فى المعجزات]

وقيل تجويز خرق العادة سفسطة ، ومنع ، و [يقال لهم إن ما ذكرتموه] مشترك [الألزام] . و [قالت] السمنية التواتر لا يفيد العلم إذ يجوز الكذب على كل [من أهل التواتر] فكذا الكل ؛ وإذ [حكم] كل طبقة [من الرواة] كما قبلها توجد قطعاً . قلنا يفيده ضرورة للعلم بالبلاد النائيه والأشخاص الماضية [وهو مكتسب بالتواتر] .

و [قالت] اليهود لا نسخ لأنه بَدَاء[1] و [أجيب بأنه] لعَلَّه للمصلحة بدت إن وجبت [المصلحة فى الأحكام وهى عندنا لا تجب] ؛ ولأن موسى نفاه إذ لو أثبته تواتر ، وإلا [بأن سكت عن النفى والأثبات] لم يتكرر دينه ، ولعله [أثبته و] لم يتواتر لقلة الدواعى أو النقلة .

[عصمة الأنبياء]

والأنبياء معصومون عن الكفر والضلال والخطأ فى الفتوى والحكم إجماعاً وجوز الفضيلية المعصية وأنها كفر عندهم ؛ و [جوز] الروافض إظهاره [أى الكفر] تَقِيَّةً [عند خوف الهلاك] و [رد بأنه] يفضى إلى إخفاء الدعوة . [وجوز] الحشوية الكبائر عمداً ، و [جوزها] قوم سهواً والصغائر عمداً ؛ و [جوز] أصحابنا الصغائر سهواً . وقيل الوحى يمنع الكبائر والأصرار على

---

(١) فى القاموس بَدَا له فى الأمر بدواً وبداء وبداة نشأ له فيه رأى والمراد بقولهم بداء هنا ندم

الصغائر إلا نادراً . و [منع] المعتزلة ما يُنفرّ : (١) و [منع] الروافض [وقوع الذنب منهم] مطلقاً .

لنا [فى التدليل على عصمتهم وجوه] : لولا هذا حرّم اتّباعهم ، ورُدّت شهادتهم ، ووجب زجرهم ، وضوعف عقابهم ، ولم ينالوا عهده [تعالى] (٢) ، وكانوا من حزب الشيطان ، ولم يكونوا مخلصين . والقصص الموهمة (٣) [صدور الذنب عنهم إما يقال فيها إنها] قبل الوحى أو [إنها من قبيل] ترك الأولى ، أو [إنها] صغائر ولها محامل أو مؤول .

وإنها [أى العصمة عند الحكماء] ملكة تمنع الفجور وهى [أى هذه الملكة تحصل بالعلم] بمثالب المعاصى ومناقب الطاعات وتتأكد بتتابع الوحى ؛ والاعتراض [على ما يصدر عنهم من الصغائر] بالسهو وترك الأَوْلَى . وقيل امتناع الذنب [من النبى إنما هو] لخاصة فى نفسه أو بدنه ؛ ويكذبه [أن النبى يتعلق به] المدح والتكليف . و [يكذبه أيضاً قوله] « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ . » وعصمة الملائكة تنافيها [لـ] قولهم « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ؛ وإذ فيه [فى قولهم] غيبة وعجب ورجم بالظن وإنكار على الله تعالى . و [الوجه الثانى] أن إبليس منهم للاستثناء (٤) وتناول الأمر [إياه] (٥)

وللمثبت [لعصمة الملائكة الآيات] « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون

---

(١) فى الأصل ما يتنفر وهو تحريف

(٢) إشارة إلى قوله تعالى « لا ينال عهدى الظالمين »

(٣) فى الأصل الموهومة وهو خطأ

(٤) يشير إلى قوله تعالى « فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس »

(٥) يشير إلى الأمر اوارد فى قوله تعالى « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » ولو لم يتناوله الأمر لما ذم ولعن

ما يؤمرون » : « يسبحون الليل والنهار لا يفترون » : « يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ».

[تفضيل الأنبياء على الملائكة]

وفضلهم على الملائكة العلوية أكثر أصحابنا والشيعة و [أهل] الملل لـ [قوله تعالى] « اسجدوا لآدم » ، و [قوله « أرأيتك هذا الذى] كرّمت على » ؛ [وهذا يدل على] نفى الاحتمالات ؛ ولـ [قوله] « وعلم آدم الأسماء » مع [قوله] « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . وإذ عبادتهم أشق لأنها مع الشهوة والغضب ولأنه [أى البشر] يتركب من طبيعة بهيمية وعقل ملكى ؛ ومن غلَّب طبيعته فهو شر من البهائم : « أولئك كالأنعام بل هم أضل» . فمن غلَّب عقله فهو خير من الملائكة . والحكماء والمعتزلة و [أبو عبد الله] الحليمى عكسوا (٣٣) لأنهم أرواح علوية مبرأة قوية نورانية ؛ ولنحو [قوله] لا أقول لكم إنى ملك ، [وقوله] « إلا أن تكونا ملكين » ؛ [وقوله] « ولا الملائكة المقربون » ؛ [وقوله] « ومن عنده لا يستكبرون » ؛ ولأن المعلم والرسول أفضل [من المتعلم والمرسل إليه] ؛ ولاطراد تقديم ذكرهم .

[الكرامات]

والكرامات جائزة كقصة مريم وآصف [بن برخيا] وأصحاب الكهف ، ولم يكن [شىء من هذه] معجزاً لفقد شرط [1] . ومنعها الحليمى والمعتزلة غير أبى الحسين . وإنما تتميز عن المعجزة بالتحدى .

---

(١) وهو اقتران الدعوى بالتحدى

[المعاد]

ثم يجوز إعادة المعدوم ؛ إذ لا يمتنع لذاته و [لا لأجل] لوازمه . والوجود واحد فلا يَرِدُ أن العوْدَ أخص ، وإلا جاز الانقلاب من الامتناع إلى الوجوب ؛ بل هو [أى العود] أهون عليه ، وله المثل الأعلى إذ استفاد [المعدوم] ملكة [الاتصاف بالوجود] .

ومنعه الحكماء والكرامية ضرورة ؛ ولأنه لا يمتاز عن مثله المستأنف معه [الذى قد يخلقه الله مستأنفاً] ، ومنع [عدم التمايز بين المعاد والمستأنف ؛ بل يتمايزان] كالمبتدأ معه [أى مع المبتدأ] ، ويتمايزان بالهوية ؛ ولأنه يعاد بوقته فمبتدأ ، ومنع [هذا] إذ الوقت ليس من المشخصات ، وإن أنكرتَ لم يلزمنى جوابك لأنى غير القائل [١] ؛ كيف والمبتدأ ما لم يُعَدْ وقته .

[حشر الأجساد]

وحشر الأجساد أثبته المليّون للعلم [٢] ، والقدرة ، وخبر الصادق . وتعاد الأجزاء الأصلية لا تتبدل ؛ فلا يَرِدُ أكل الأنسان إنساناً [٣] . ولا يجب الغرض [من الحشر] ؛ ولا يتعين الألذاذ [غرضاً] . ويمتنع أنه [أى الألذاذ] دفع الألم

---

(١) يشير إلى قصة لابن سينا مع تلميذ له أصرَّ على أن الوقت من العوارض المشخصة للأجسام فقال له ابن سينا إن كان الأمر على ما تزعم فلا يلزمنى جوابك لأنى غير من كان يباحثك وأنت غير من كان يباحثنى .

(٢) أى لعلم الله بأجزاء الأجسام

(٣) هذه إشارة إلى من أنكر حشر الأجساد وقال لو أكل إنسان إنساناً حتى صار المأكول جزءاً من الآكل فهل تعاد الأجزاء فيهما وهو محال أو فى أحدهما فلا يكون الأنسان معاداً بعينه .

إذ [اللذة] الأخروية مشابهة [للدنيوية] صورة لا حقيقة . ولم يثبت إعدام الأجزاء ، والتفريق إهلاك (١) .

وقال الحكماء النفس لاتفنى ، وإلا فللبسيط قوة وفعل ؛ وهى إما جاهلة فتألم به أبداً ، أو لها هيئات رديئة فألى أن تزول فتلتذ بكمالها . وقيل (٢) الكاملة [تتجرد عن الأبدان] ، وأما الناقصة فتردد فى الأبدان . فا [لتردد فى الأجسام] الأنسانية نسخ ، و [فى] الحيوانية مسخ ، و [فى] النباتية رسخ ، و [فى] الجمادية فسخ . و [النفوس] المتصاعدة قد تتخلص [من الأبدان كلها] وقد تتعلق ببعض السماويات .

[الجنة والنار]

والجنة والنار مخلوقتان [الآن] عندنا وعند الجبائى وأبى الحسين لقصة آدم و[لقوله تعالى] أعدت . وأنكره أكثر المعتزلة فعباد عقلا ، وأبو هاشم سمعاً (٣) . ويجوز الخرق [على الأفلاك] (٤) . و [يجوز أيضاً وجود] عالم آخر . و [قوله] « أكلها دائم » أى بدلا [فأذا فنى منه شىء جىء ببدله] . و [قوله] « كل شىء هالك » أى فى حد ذاته ، أو [أن الجنة والنار] يعدمان آناً [ثم تعودان] . [وقوله] « عرضها السموات » أى كعرضها للامتناع والتصريح [فى آية أخرى وهى« عرضها كعرض السموات والأرض »] .

---

(١) يشير إلى من استدل على الأعدام بقوله تعالى « كل شىء هالك إلا وجهه » ورد بأن الحاصل التفريق لا الأعدام والتفريق إهلاك .

(٢) وهو قول أصحاب التناسخ

(٣) استدل بمثل قوله تعالى « أكلها دائم » وقوله « كل شىء هالك إلا وجهه » .

(٤) رد على قول أبى هاشم بأن الجنة والنار لو وجدتا وأما فى عالم الأفلاك وهو باطل لأن الأفلاك لا تقبل الخرق والالتئام فلا يخالطها شىء من الكائنات الفاسدات .

[فروع للمعتزلة على أصلهم فى حكم العقل]

ثم أوجبت البصرية [من المعتزلة] الثواب ، إذ التكاليف الشاقة لنفعنا لانتفاء سائر الأقسام . ومنع الغرض [كما تقدم] . و [أوجب] المعتزلة والخوارج عقاب صاحب الكبيرة لئلا يلزم الخلف فى وعيده ؛ ولا يعطى [هذا الدليل] الوجوب . ولا تقرير [فى حالة منع وجوب العقاب] ولا إغراء . قالوا ويخلد [فى النار لقوله] « خالداً فيها » ، وهو [أى الخلود] المكث الطويل . و [أما قوله « وإن الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين و] ما هم عنها بغائبين » [فالفجار فيه ما فسره بقوله] أى الكاملون فى الفجور ، [وهم الكفار لقوله] وأولئك هم الكفرة الفجرة . أو يخص بآيات تدل على اختصاص العذاب بالكفار ، وبه قال مُقاتل [1] والمرجئة .

وقال أصحابنا الثواب فضل وَعَدَ به فيفى به [من غير وجوب] إذ الخلف نقص . والعقاب عدل أوعد به ، والعفو فضل . ويخلد الكافر إجماعا . وتناهى القوة الجسمانية (٣٤) ممنوع ، ودوام الاحراق لا ينافى الحياة إذ لا تشترط البنية والاعتدال . ويخلق [الله] فيه قوة كالسمندر [2] . وفناء الرطوبة بالنار غير واجب إذ يبدل . ولذا [يخلد فى النار الكافر] المبالغ فى اجتهاده خلافا للجاحظ والعنبرى . ولا يخلد غيره لقوله تعالى « ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » وقال عليه السلام « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة » . واستحقاقه للعقاب ومنافاته للثواب ممنوعان .

---

(١) مقاتل بن سليمان من المفسرين .

(٢) وهم يقولون إنه حيوان مأواه النار خلق الله فيه قوة خاصة فلا يتأذى بها

[الأحباط]

فبطل الأحباط (١) كـ [كما هو رأى] جمهور المعتزلة و [بطل إحباط الطاعات أو المعاصى السابقة] بقدره [أى بقدر المتأخر] كـ [مذهب] أبى على [الجبائى] ؛ و [الأحباط] بالموازنة كـ [مذهب] ابنه [أبى هاشم] ؛ وإلا وجدا مع العدم أو عاد المغلوب غالبا .

واتفقوا أنه لا يتساوى الثواب والعقاب وإلا انتفيا . فالجبائى [قال محال] عقلا ؛ و [قال] ابنه [محال] سمعاً . وقد تناسب (٢) وجهته راجحة إذ الحسنة بعشر أمثالها وسبعمائة ويضاعف ؛ ولعموم الرحمة وخصوص الغضب .

وهو عفوٌ [أى الله] بالاجماع ، فللكبائر قبل التوبة خلاف للمعتزلة ، إذ غيرهم [أى غير أهل الكبائر] لا يجب عقابه ؛ أو يمتنع [عقابه] عندهم [كصاحب الصغائر مطلقاً والكبائر بعد التوبة] ؛ ولقوله [تعالى] « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ؛ [وقوله] « إن الله يغفر الذنوب جميعاً » ؛ [وقوله] « ويعفو عن كثير » ؛ [وقوله] « إن الله لذو مغفرة للناس على ظلمهم » .

والشفاعة لهم [لأهل الكبائر] للحديث (٣) ؛ ولـ [قوله تعالى] « استغفر لذنبك وللمؤمنين » . وقالوا [أى المعتزلة الشفاعة] لزيادة الثواب لـ [قوله تعالى] « لا تجزى نفس عن نفس شيئاً » ، و [قوله] « ولا تنفعها شفاعة » ، [وهذا عام فى شفاعة النبى وغيره] و [الجواب] لا عموم له أعيانا وأزمانا .

والتوبة ندم على معصية من حيث هى معصية مع عزم [التائب] ألا يعود إليه [أى الذنب] إذا قدر ومنعه أبو هاشم فى الزانى المجبوب (٤) ؛ ونقض

---

(١) الأحباط الأفساد والأهدار والمراد هنا إفساد الطاعات بالمعاصي.

(٢) فى أحد المخطوطين الآخرين تناب

(٣) وهو قوله عليه السلام « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى »

(٤) أى الذى زنى ثم جب فتاب وعزم ألا يعود .

[دليله] بمرض مخيف [فأن التوبة فيه مقبولة إجماعا] . ولا يجب الخروج عن المظلمة ، و [لا] ألا يعاود [الذنب الذى تاب عنه] ، ولا] [أن يستديم الندم خلافا للمعتزلة . وفى [التوبة] المؤقتة والمفصلة [1] خلاف ، وأوجبوا على الله قبولها ، والظاهر أنها طاعة للأمر .

وعذاب القبر حق [لقوله تعالى] « النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة » ، و [قوله] « أمتنا اثنتين وأحيينا اثنتين » . وأما [قوله « لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة [الأولى] » فلأهل الجنة : أى فيها فلا ينقطع نعيمهم .

وكذا سائر السمعيات مما أخبر به الصادق وهو ممكن .

[مبحث الأيمان]

والأيمان لغة التصديق ، وشرعا تصديق الرسول فيما علم بمجيئه به ضرورة لاقترانه بالعمل الصالح وضده ، ولنحو [قوله تعالى] « كتب فى قلوبهم الأيمان » . [وقالت] الكرامية [الأيمان هو] الكلمتان [2] [لأنه] تواتر القناعة بهما ؛ ويلزمهم كفر من منعه عنهما مانع . [وقالت] المعتزلة وبعض الخوارج [هو] الأعمال ، و [قال] أكثر السلف الثلاثة [3] لقوله [عليه السلام] الأيمان بضع وسبعون شعبة ، والمراد بشعبة قطعا . وهل يزيد [الأيمان] وينقص ، قيل فرع ذلك . والحق نعم [أى يقبل الزيادة والنقص] ، وكذا التفصيل لتفاوته قوة وتفصيلا ، وعليه النصوص [القرآنية] [4] .

---

(١) التوبة المفصلة هى أن يتوب الانسان عن شىء دون شىء .

(٢) أى كلمتا الشهادة

(٣) المرد التصديق بالقلب والأقرار باللسان والعمل .

(٤) كقوله تعالى « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً » .

والكفر خلافه . وقال الخوارج كل معصية [كفر] ; و [قال] المعتزلة ما دل على الجهل بالله ورسوله . وإلا فمنقسم إلى ما يخرج إلى منزلة بين المنزلتين [الأيمان والكفر] كالزنا . و [إلى] غيره ككشف العورة .

[مبحث الأمامة]

ثم الأمامة (٣٥) : قيل رياسة عامة فى الدين والدنيا ; ويرد [هذا التعريف] فى النبوة فهى خلافة الرسول فى إقامة الدين بحيث يجب اتباعه على كافة الأمم . ويجب النصب سمعاً لأنه رفع ضرر مظنون فيجب إجماعا . و [أجيب [١] بأن] ضرره أقل و [أنه] مرجوح [بالنسبة إلى الضرر اللازم من ترك نصبه] . و [قالت] المعتزلة والزيدية [نصب الأمام واجب] عقلا لأنه مقطوع الأصل [٢] ; ونمنع الكبرى . و [قالت] الأمامية والاسماعيلية [نصب الأمام واجب] على الله لأنه لطف ; وإن سلِّم فبظاهر [٣] ولم يوجبه الخوارج لأنه يثير الفتنة . ومنهم من فصَّل بين حال الأمن والفتنة على مذهبين .

ويندفع [ما قالوه من أن نصبه يثير الفتنة] بتقديم الأعلم فالأورع فالأسن . وأهلها [٤] مجتهد فى الأصول والفروع ، وذو رأى ، شجاع . وقيل لا تشترط لأنها لم توجد : نعم عدل عاقل بالغ ذكر إجماعا ; قرشى للحديث [٥] ; أجمعوا عليه . ومنعه الخوارج وبعض المعتزلة لقولة [عليه السلام] السمع والطاعة ولو عبداً حبشياً .

---

(١) هذا رد على من قال إن فى نصب الأمام أضراراً .

(٢) يريدون أن أصل دفع المضرة واجب قطعاً فكذلك المضرة المظنونة الموقعة من عدم تنصيب الأمام.

(٣) أى وأن سلم اللطف فيحصل بأمام ظاهر لا بباطن كما يقول الأمامية والاسماعيلية .

(٤) أى من هم أهل للأمامة .

(٥) وهو قوله عليه السلام الأئمة من قريش .

ولا تشترط الهاشمية خلافا للشيعة ، ولا العلم بجميع مسائل الدين خلافا للأمامية ، ولا المعجزات [خلافا] للغلاة . [وإنما لم تشترط هذه الشروط الثلاثة] لخلافة أبى بكر ، ولا يجب له ما ذكر اتفاقا ؛ ولا العصمة لذلك ، وشرطها الأمامية والاسماعيلية إذ الحاجة [إلى الأمام إما] للتعليم ، أو لجواز الخطأ [على غيره] [1] . ومنع [كون الحاجة إليه لأحدهما] . [واشترطت العصمة أيضاً لقوله تعالى] « ولا ينال عهدى الظالمين » [وغير المعصوم ظالم فلا يناله عهد الأمامة] ؛ و [أجيب بأن هذه الآية] توجب العدالة [لا العصمة] .

[فيما تثبت به الامامة]

فأنها [أى الأمامة] تثبت بالنص ولو من [الأمام] السابق بالأجماع اتفاقا ؛ و [تثبت أيضاً] بالبيعة مع الاستعلاء ، ومنعها الشيعة و [الجواب أن أن يقال لهم] هى [أى البيعة] علامة لنيابة الله ورسوله نصباها [دليلا] . فلا يرد [ما ذكروا من] أنهم [2] لا تصرف لهم فى الغير كالشاهد والحاكم ؛ و [أُجِيبَ بأننا] نمنع عدم انعقاد القضاء بهما سيما عند عدم الأمام . وإذا قدم الأفضل فلا فيه .

وقال الزيدية بخروج [كل] فاطمى عالم [3] بالسيف فتعدد [4]

[الأمام بعد رسول الله ومباحث أخرى فى الأمامة]

والأمام بعد رسول الله أبو بكر خلافا للشيعة لعدم النص الجلى وإلا تواتر

---

(١) للتعليم رأى الملاحدة ، ولجواز الخطأ رأى الأمامية .

(٢) أى أهل البيعة .

(٣) فى الأصل يعامل وهو تحريف .

(٤) أي فبذلك يمكن أن تتعدد الأئمه فى الصقع الواحد وهو مخالف للأجماع . أما الزيدية فقالوا بأمامة كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخى خرج بالأمامة وأوجبوا طاعته سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين

ومنع [به] غيره كما منع [أبو بكر] الأنصار بآحاد [١] . والأجماع على غيره [وهو أبو بكر] اتفاقا . وقضاء عادة الرسول [عليه السلام] بالنص فيه [أى فى الأمام] كا [ستخلاف] عليٍّ على المدينة لخروجه [عليه السلام إلى الغزوات وللشفقة حتى علَّمهم آداب الاستنجاء ممنوع [٢] : وللأجماع على [إمامة] أحد الثلاثه [٣] ولم ينازعاه كمعاوية . وينفيه [أى ينفى عدم منازعة على لأبى بكر] العصمة [٤] والعادة . والظواهر كـ [قوله] « إنما وليكم الله » . . . . . الخ وآية المباهلة [٥] . وخبر الغدير والطير [٦] معارضة بنحو [قوله تعالى] « ليستخلفنهم » . . [الخ] . [وقول النبي عليه السلام] الخلافة من بعدى ثلاثون [سنة] : [وقوله] اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر وبه ثبتت [خلافة أبى بكر] وبالأجماع [أيضاً] . والأمامة لعمر بنص أبى بكر : ولعثمان وعليٍّ بالتبعية .

والأفضل ، أى الأكثر ثواباً عند الله على الترتيب وعند الشيعة عليٌّ : ومحاربوه كفرة ، وفى مخالفيه خلاف . والمسألة [أى مسألة التفضيل] ظنية : والنصوص متعارضة .

ولهم فى سَوْق الأمامة فى أولاده شعبٌ .

---

(١) وهو قوله عليه السلام الأئمة من قريش

(٢) يشير إلى ما احتج به الشيعة فى إمامة على من أنه كان من عادة النبي عليه السلام استخلاف عليٍّ على المدينة ومن أنه عليه السلام أشفق بأمته من أن يتركها بغير إمام ينص على إمامته .

(٣) وهم أبو بكر وعلى والعباس فأن الأجماع منعقد على أحقيتهم فى الأمامة .

(٤) فأن عدم المنازعة مع إمكانها مخل بالعصمة وهى شرط اشترطته الشيعة فى الأمام

(٥) وهى قوله تعالى « تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم » الخ .

(٦) وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم أحضر القوم بعد حجة الوداع بغدير خم بالجحفة بين مكة والمدينة وقال لهم ألست أولى بكم من أنفسكم قالوا بلى ، قال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه الخ . وحديث الطاير هو قول النبي حين أهدى اليه طائر مشوى اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك يأكل معى هذا الطاير فأتى على وأكل معه الطائر

وقيل [1] لا تجوز أمامة المفضول لأنه قبيح عقلا ، وقيل [2] تجوز إذ لعله أصلح ، وقيل لا [تجوز] ما لم تثر الفتنة . ويجب تعظيم الكل [أى كل الصحابة] والكف عنهم لأن الله أثنى عليهم ورضى عنهم . والرسول أحبهم [كما] دل الكتاب (٣٦) والحديث . ومآثرهم لا تنكر ، [و] للمطاعن والفتن محامل ؛ وأنكرها [3] الهشامية مكابرة ، ومنهم من سكت عنها ، فأن أراد [الساكت] أنه [أمر] لا يعنيه [الخوض فيه] فلا بأس به . والعمرية خطّئوا الفريقين ، والواصلية [4] أحدهما . [والرأى الذى عليه] الجمهور [أن المخطئين] هم قتلة عثمان ومحاربو عليٍّ لأمامتهما .

[خاتمة]

والأمر بالمعروف واجب ، والنهى عن المنكر من فروض الكفايات ؛ وهو من الفروع عندنا ، وإنما يجب إذا ظن القبول ، و [ظن] أنه لا يثير الفتنة بلا تجسس لقوله تعالى « ولا تجسسوا » [وقوله] « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة » : وأسوة بالرسول ، جعلنا الله ممن اتبع الهدى واهتدى به فهدى ، وإنه ولى الهداية .

تم جواهر الكلام تماما بفضل الله

---

(١) وهو قول الأمامية

(٢) وهو قول الأكثرين .

(٣) أى أنكروا الفتن والحروب التى وقعت بين الصحابة كوقعة الجمل وصفين الخ

(٤) العمرية أصحاب عمرو بن عبيد ، والواصلية اصحاب واصل بن عطاء

فهرس أسماء الرجال والمذاهب الواردة فى هذا الكتاب

حرف الألف

حرف البـاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف الكاف

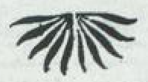
حرف الميم

حرف النـــون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء



الخطأ والصواب

خطا	ص	س	صواب
ذ	١٤٣	١٣	إذ
راد	١٧٢	١	أراد
لا متياز	٢٠٠	١	لا امتياز
—	٢٠١	٨	[

المسألة الآرية : نشأتها وأطوارها

محمد عبد المنعم الشرقاوى

يعتبر القرن التاسع عشر من أزهى عصور البحث العلمى إذ وسع نشاط الباحثين والمفكرين مختلف العلوم والفنون وخاصة ما يتعلق منها بدراسة الأجناس البشرية ومواطنها الأصلية وكيفية انتشارها وطرق هجرتها . وقد أنتج هذا النشاط الفكرى العظيم ظهور مسألة « الجنس الآرى والموطن الأصلى الذى خرج منه » وقد تطور بحث هذا الموضوع وتشعبت نواحى دراسته حتى أصبحت « المسألة الآرية » أهم ظاهرة عامه فى جميع أبحاث ودراسات علماء الأجناس البشرية فى القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر . وسيتناول هذا البحث دراسة الموضوعات الآتية :—

(١) نشأة الفكرة الآرية وتعليل انتشارها وذيوعها فى الأوساط العلمية
(٢) الآراء الخاصة بأرجاع الآريين الى موطن أصلى أسيوى
(٣) انتقال ميدان البحث عن الموطن الآرى الأصلى من أسيا الى أوربا
(٤) اختلاف آراء علماء الأجناس فيما يختص بميزات الجنس الآرى
(٥) الرأى الغالب فى الوقت الحاضر

—(١)—

بدأ اهتمام العلماء الاوربيين بدراسة اللغــات السنسكرتية والزندية 'Sanscrit & Zend' منذ أواخر القرن الثامن عشر حين أشار وليم جونس 'William Jones' سنة ١٧٨٦ بوجود بعض أوجه شبه بين كل من اللغات

السنسكرتية واليونانية واللاتينيـة والجرمانية والـكلتية وأنه أن صح هذا فلابد أن يكون اصل هذه اللغات المتعددة واحداً ، وقد وافقه على هذا الفرض هيجل Hegel

وبفضل أبحاث بوب Bopp التى اعتمد فيها على نتائج دراسة أجرومية كل لغة ومقارنة بعضها ببعض تقدم البحث فى هذا الموضوع كثيراً وتتلخص نتائج أبحاث بوب فى أنه وضع اللغات الزندية والسلافية (الصقلبية) والألبانية والأرمينية ضمن مجموعة اللغات التى اطلق عليها اسم « المجموعة الهنـدية الجرمانية اللغوية » والتى كان يعتبرها تشمل اليونانية والإيطالية والـكلتية والتيوتونية والسلافية واللتوانية والالبانية وبعبارة أخرى تضم جميع اللغات الاوربية ماعدا لغة الباسك 'Basque' والفن 'Finn' والمجر 'Magyar' والاتراك العثمانيين . وكان يعتقد بوب وجود ثلاث مجموعات اسيوية شبيهة بنظائرها السابقة الذكر فى اوربا وهى : — (١) المجموعة الهندية ويدخل فيها اربعة عشرة لغة هنـدية حديثة مشتقة من أصل سنسكرتى (٢) المجموعة الايرانية ويدخل فيها الزندية والفارسية والأفغانية والبلوخستانية والـكردية (٣) المجموعة الأرمينية وهذهاعتبرها وسطاً بين اليونانية والأيرانية .

وقد حار العلماء بادىء ذى بدء فى اختيار مصطلح يطلق على هذه المجموعة اللغوية العظيمة [1] وفـكروا فى استعمال يافثى 'Japhetic' على منوال لفظى حامى 'Hamitic' وسامى 'Semitic' ولـكن اعترض الباحثون على ذلك بقولهم أن مثل هذا الاستعمال قد يعطى فـكرة أن الأصل هنا يافث وهذا غير صحيح وقد وجه مثل هذا الاعتراض حين اقترح البعض لفظ « قوقازى » إذ قيل أن استعماله ربما ترتب عليه إندماج الناحية اللغوية فى الناحية الجنسية . كذلك كان الاعتراض حين أريد اطلاق لفظ « سنسكرتى » لأن هذا معنـاه تسويد اسم مجموعة لغوية خاصـة على باقى

المجموعات اللغوية الأخرى . وكان نصيب استعمال الفاظ مبهمة اخرى مثل « هندية جرمانية » أو « هندية أوربية » لا يختلف عن نظائره فى المحاولات السابقة ولو أن التسمية الأولى التى جاء بها بوب انتشرت كثيراً وما زالت سائدة فى المانيا رغم اعتراض الفرنسيين بقولهم لماذا نعتبر الجرمانى أصلا لجميع اللغات الأوربية ؟ ومثل هذا الاعتراض يجعل استعمال « هندية أوربية » أمراً غير مرغوب فيه لأنه ليس كل الأوربيين والهنود يتكلمون لغات تدخل ضمن هذه المجموعة .

وأول من استعمل لفظ « آرى » هو الاستاذ ماكس ملر ''Max Müller'' ولكن لم تسلم هذه المحاولة من الأعتراض أيضاً لانه إذا كانت التسمية السنسكرتية قد لقيت اعتراضاً لأن العلماء كانوا يطلقونها عادة على القسم الأسيوى من هذه المجموعة اللغوية ونعنى « اللغات الهندية والأيرانية » فمن الطبيعى أن يثير استعمال لفظ آرى الاعتراض من كل جانب لأنه قد يعطى فكرة خاطئة عن الموطن الأصلى لهذه اللغات إذ قد يتبادر إلى الذهن أن إقليم أريانا 'Ariana' الذى ورد ذكره كثيراً فى المؤلفات القديمة والذى قيل عنه إنه هو الواقع حول منطقة هرات 'Herat' كان الموطن الاصلى للغات الآرية . ومع هذا الاعتراض جرى استعمال هذا اللفظ وقبله الأنجليز والالمان بل والفرنسيون أيضاً

ولم تكد تعرف إشارة الاستاذ بوب إلى أوجه الشبه العديدة بين عدد عظيم من اللغات الأوربية وبعض اللغات الأسيوية حتى أعقبها ظهور روح جديدة قوامها فرض « إن أصل الأجناس التى تتكلم هذه اللغات المتشابهة لابد أنه واحد» وظاهر أن أساس هذا الفرض اتخاذ وحدة اللغة أو تشابهها بين هذه الأجناس المتباينة قاعدة سار عليها كثير من الباحثين الذين فرضوا أن الوحدة الجنسية لابد تتبع الوحدة اللغوية .

وأول من عمل لترويج هذه الفكرة الجديدة الأستاذ ماكس ملر [٢] إذ أنه أضاف الى بحثه الخاص فى اللغات الآرية دراسة ما سماه « الجنس الآرى » وذكر أنه فى وقت ما فى الماضى كان أجداد الهنود والفارسيين والأغريق والرومان والسلاف (الصقالية) والكلت 'Celts' والجرمان يعيشون فى بيئة طبيعية واحدة وقد بنى فرضه هذا على أساس أنه قبل أن تنتشر اللغات الآرية والأجناس الآرية من هذه البيئة الأصلية التى يزعم أنها كانت مرتفعات أواسط آسيا كان يسودها لغة لا هى سنسكرتية ولا هى يونانية أو جرمانية ولكنها كانت تضم أصول كل ما تفرع منها من اللغات [٣] وقد انتشرت آراء ماكس ملر فى اثبات الوحدة اللغوية والوحدة الجنسية بين هذه الشعوب بفضل ما كان له من المكانة العلمية الرفيعة .

غير أن آراءه الجنسية كان نصيبها المعارضة القوية من جانب كثير من العلماء الانجليز والفرنسيين حتى الألمانيين أيضاً إذ قاموا من ناحيتهم بتفنيد هذه الفكرة الحديثة الخاطئة . لأنه يصعب على الباحث أن يقبل ويسلم بأن مرتفعات آواسط آسيا تسمح لسكانها الأقدمين بالنمو والأزدياد المطرد بحيث ترسل شعباً جنسية مختلفة متباينة إلى اقصى الغرب [٤] وفضلا عن ذلك فان الخطأ فى مثل هذا الفرض واضح لأن اختلاف اللغة ليس معناه اختلاف الجنس والعكس صحيح أيضاً والبراهين على ذلك كثيرة ووفيرة . وقد اصبحت هذه الحقيقة ركناً هاماً فى جميع نواحى الدراسات الجنسية .

وقد عنى الباحثون الفرنسيون بدحض نظرية وحدة الجنس على أساس وحدة اللغة ومن أعظم هؤلاء أثراً الاستاذ بروكا 'Broca' الذى أثبت أنه فى العصور التاريخية كثيراً ما غيرت الأجناس لغاتها بدون أن يطرأ عليها أى تغيير جنسى هام وندد بالخطأ الفاحش الذى ينجم عن اتخاذ اللغة أساساً رئيسياً فى الدراسات الجنسية . ولكن مع هذا ظل هؤلاء الذين يتحدثون عن اللغات

الآرية يتكلمون أيضاً عن الجنس الآرى ويكثرون من الجدل والنقاش حول موضوع الموطن الأصلى لهذا الجنس (٦).

ويلوح أن حصر الجهود العلمية فى هذه الدائرة الوهمية قد سببه ذيوع فكرة الوحدة الجنسية مع أنه ليس هناك ما يؤيدها والرأى الغالب الذى يسود الآن جميع الأوساط العلمية البحته ينفى وجود شىء باسم الجنس الآرى نفياً باتاً ولو أنه يعتقد بوجود اللغات الآرية وكان يجمل بالباحثين والمفكرين أن يعملوا على توجيه المجهودات التى بذلت فى سبيل البحث عن أصل الأجناس الآريةإلى ناحية أخرى يكون الغرض منها البحث عن العلاقات والروابط الجنسية التى تربط الشعوب التى تتكلم لغات آرية بعضها ببعض. كذلك كان يجب أن يتطور البحث فى أصل الأجناس الآرية بحيث يقتصر على السعى الى معرفة « أى الأجناس وأى البيئات يمكن اعتبارها المهد الأول الذى نشأت فيه الآرية وما هى مميزات تلك البيئة وهذا الجنس الذى يمكن اعتباره بعد هذا أقدم عناصر هذه المجموعة »

ويرى توبنار 'Topinard' أنه بعد أن أصبح ثابتاً ومقبولا أن أوربا كانت مسكونة مدى التاريخ البشرى وجب أن نفرض أن الآريين الذين جاءوا من آسيا لم يحضروا معهم سوى لغاتهم وحضاراتهم وربما كانوا يعرفون شيئاً بسيطاً عن طرق استخدام المعادن. أما فيما يتعلق بموضوع دمائهم فيرى أنها اختفت أو أنها لم تبق على الأقل نقية أو ظاهرة ويضرب لذلك مثلا حال الفرنسيين الذين يجب اعتبارهم آريين فقط من الناحية اللغوية أما من الناحية الجنسية فهم عبارة عن خليط من أجناس أوربا الرئيسيه (٧).

— (٢) —

هكذا ظل علماء القرن الماضى فى جدلهم ومحاوراتهم وتعددت تبعاً لذلك الفروض والنظريات الخاصة بموطن الجنس الآرى وقد بلغ من شطط بعضهم

فى أواخر هذا القرن أن اعتبروا المسألة مفروغاً منها وكأنه ثبت فى نظرهم بالبرهان القاطع أنها أصبحت حقيقيه ثابته ملموسة حتى إذا ما طرح مثل هذا السؤال «أين يوجد الموطن الأصلى للجنس الآرى» على بساط البحث كانت الأجابة على الفور» يجب أن نبحث عنه فى أواسط آسيا وخصوصاً بالقرب من من منابع نهرى سيحون وجيحون». ويهمنا أن نتتبع الخطوات التى وصل بها الباحثون الى هذه النتيجة ويجدر بنا أيضاً أن نتلمس نواحى الضعف فى هذه الأبحاث مما كان داعياً الى نقضها ودحضها فيما بعد حتى زالت هذه الفكرة واختفت وأضحت اهميتها تاريخية محضة.

قد كانت آراء أشر 'Usher' الخاصة بأصل الأجناس البشرية تسود جميع الدوائر العلمية فى أوائل القرن الماضى وكان أشر يرجع بأقدم الأجناس البشرية الى سنة ٤٠٠٤ ق.م. وقد ظلت هذه الآراء سائدة حتى بعد منتصف القرن الماضى وكان يقبلها المشتغلون بالعلم فى ذلك الوقت كأنها حقائق ثابته ومن بين هذه الآراء «فرض اللغة العبرية أقدم لغة تكلم بها البشر [٨] وأن أصل اللغات الأوربية لابد يرجع إلى يافث الذى اخذ يهجر موطنه فى سهول شينار 'Shinar' حوالى سنة ٢٢٤٧ ق.م. وظاهر أن أساس هذه الآراء يقوم على فرض أن الجنس البشرى ظهر ونشأ فى آسيا منذ وقت غير بعيد وأن الاختلاف بين لغات الاجناس البشرية سببه «شدة الارتباك والتعقيد التى امتازت بها منطقة بابل» وقد بقيت هذه الآراء سائدة لدرجة ما حتى سنة ١٨٨٤ وقبلها كثير من مشاهير الباحثين أمثال Kennedy و Mommsen إلا أن الأخير مع جزمه بصحتها كان يرى وجوب تعديلها لأنه كان يعتقد أن الافضل هو اتخاذ وادى الفرات مهداً أصلياً للجنس الهندى الجرمانى [١٠] وقد وافقه على هذا الرأى الدكتور هيل [١١] Hale سنة ١٨٨٨

أما أدلنج Adelung الذى يعتبر بحق أول من عنى بدراسة فقه اللغات ومقارنتها بعضها ببعض فقد اعتبر سهول كشمير الموطن الأصلى لجنس البشرى وكان يجزم بأن هذه المنطقة هى الجنة التى ورد ذكرها فى الكتب السماوية . ثم ذهب الى ابعد من ذلك حين قال « بما أن الجنس البشرى نشأ وترعرع فى الشرق فلابد أن الشعوب التى تسكن أقصى غرب أوربا مثل الشعوب الكلتية والايبيرية 'Iberian' كانت أول من هاجر وترك الموطن الاصلى » ولكن بعد دراسة مميزات اللغة الزندية ومعرفة عظم قدمها ووثيق ارتباطها باللغات السنسكرتية أصبح من المستحيل قبول آراء أدلنج فيما يتعلق بسهول كشمير إذ كيف يتصور الأنسان أن الهنود والأيرانيين كانوا فى وقت ما مجتمعين سوياً ويشغلون بالاشتراك مثل هذا الأقليم فى شمال الهند ؟ ولماذا أعقب ذلك نزوح الهنود وتوغلهم فى الداخل الى سهول بنجاب .

وقد كان رود Rhode أول من فرض أن وسط آسيا كان الموطن الأصلى للجنس الهندى الأوربى وقد ظل هذا الفرض قائماً نحو نصف قرن ولكن بعد أن تقدم البحث وتبينت ضرورة توسيع المدى التاريخى اللازم لترقى اللغات الآرية وتكوين مميزاتها التى جعلتها تختلف بعضها عن بعض أصبح واجباً ادخال تغيير على أساس هذه النظرية . ومع ذلك ظلت باقية بفضل أبحاث شليجل Schlegel ، بوت Pott وإلى هذا الأخير وإلى مجهوداته وطرق بحثه يرجع الفضل فى استمرار قبولها وتداولها بين العلماء الأوربيين . ويلاحظ أن تعضيد بوت لهذه النظرية يقوم على أساس فلكى محض لأنه كان يعتقد « أن انتقال الثقافات تابع لانتقال الشمس » وأنه فى آسيا وليس فى أى أقليم آخر « ترعرعت العناصر البشرية وكونت لنفسها لغاتها التى تتكلمها » وقد أوصلته أبحاثه الخاصة إلى فرض أن الموطن الأصلى للجنس الهندى الأوربى كان ذلك الأقليم الذى ترويه مياه نهرى سيحون وجيحون وغيرهما من الأنهار النابعة

فى جبال الهملايا والتى تجرى الى الشمال أما حده الشرقى فكان بحر قزوين [١٢] ولقد لقى هذا الفرض تعضيداً وقبولا عند كلابرث 'Klaproth' ؟ ورتر Ritter اللذين اخذا يعملان على تأكيده بأبحاثهم الخاصة بتتبع تاريخ اسماء الامم الأوربية وإرجاعها الى أصولها التى زعما أنها تمثل أسماء قبائل كانت تعيش خارج حدود الصين وورد ذكرها فى كتابات المؤرخين الصينيين القدماء . ولما أعلن لاسن 'Lassen' فى سنة ١٨٤٧ قبوله لنظرية بوت كان هذا داعياً الى رواجها وانتشارها وقد بنى قبوله لها على أساس « أن الشعوب التى تتكلم اللغات السنسكرتية لابد أنها وصلت إلى اقليم بنجاب آتية من الشمال الغربى ومخترقه أقليم كابل 'Cabul' ويستند لاسن الى العرف السائد بين أهل الأفستا Avesta الذين يذكرون أنهم جاءوا إلى مناطقهم الحالية من اقليمهم الأصلى الذى كانوا يسكنونه عند سفوح جبال بلورتاج ومستاج 'Belurtag & Mustag' وأنه قبل ان يتفرقوا شعباً كانت الجماعات الهندية الايرانية 'Indo-Iranian' تعيش عيشة رعوية وتسكن الأقليم الواقع بين نهرى سيحون وجيحون ولكن بعد أن اثبتت الأبحاث اللغوية أن الانفصال بين اللغتين الهندية والأيرانية ليس قديماً كما يعتقد أهل الأفستا بل حدث فى العصور المتأخرة يصبح فرض اعتبار هذا الأقليم موطناً أصلياً للجنس الهندى الأيرانى غيرجدير بالقبول .

أما جرم 'Grimm' فأعلن قبوله لنظرية بوت سنة ١٨٤٨ على أساس أن شعوب اوربا تمثل هجرات جنسية قديمة آتية من آسيا ولكنه حار فى تعليل أسباب هذه المهاجرة المتكرزة وعجز عن تفسير هذه الظاهرة وكان يعتقد أن الشعوب التى وصلت فى هجرتها الى اقصى الغرب لابد أنها كانت أقدم الشعب التى انفصلت عن الأصل المشترك [١٣] . وفى سنة ١٨٥٩ جاء ماكس ملر 'Max Müller' يعلن قبوله لنظرية جرم وبخاصة فيما يتعلق بتتابع الهجرات البشرية بدون سبب معروف ملموس . وذكر « أن الاتجاه الرئيسى فى مهاجرة

الشعوب الآرية كان دائما نحو الشمال الغربى » ويلوح أنه يصعب على الباحث أن يفسر أو يعلل لماذا ولأى سبب هاجرت هذه الجماعات الرعوية من اماكنها الأصلية فى وسط آسيا قاصدة شواطىء وجزر أوربا . ويعترف ماكس ملر بهذه الصعوبة ولذلك يقول « وليس يهمنا ولا يعنينا معرفة هذا الدافع ونوعه ومبلغ أثره فى هجرة هذه الجماعات ولكن يمكننا أن نستنتج ونتلمس وجه الشبه بين هذه الدوافع وبين نظائرها التى حملت العناصر الكلتية عبر وسط قارة أمريكا الشمالية نحو إقليم البرارى أو الى شواطىء المحيط الباسفيكى (١٤) .

و يمكننا أن نفرض اكثر من دافع واحد لحدوث مثل هذه الهجرات ولو أنه من المتعذر تعيين أحدها والقول بأنه كان أهم أسباب المهاجرة المتكررة التى ذكرها ماكس ملر . فقد يكون ضغط ازدياد السكان على موارد البيئة الجغرافية وقد يكون الضغط من الخلف وقد يكون تغير الجو وحدوث جفاف أو قلة محسوسة فى كمية الأمطار وهذا الفرض الأخير قد لقى فى السنوات الأخيرة قبولا لدى غالبية العلماء بفضل أبحاث هنتنجتن 'E. Huntington' ومن شايعه من الباحثين .

ولم تسلم آراء ماكس ملر من المعارضة الشديدة وقابلها كثير من الباحثين بفتور واعتراض فمثلا اعترض هوتنى 'Whitney' وجاهر بأنه يشك فى قيمة النتائج التى وصل اليها ملر وخاصة ما ذكره عن مهاجرة الآريين الى شواطىء أوربا وجزرها وأعقب ذلك بالقول بأن ماكس ملر قد بنى رأيه على أساس تلك الصورة الجغرافية التى جاء بها كولباخ 'Kaulbach' والتى تصور انتشار وتوزيع الأجناس البشرية على وجه العموم من نقطة اعتبرها برج بابل (١٥) Tower of Babel.

أما بكتيه Pictet (١٦) فنشر فى الجزء الأول من مؤلفه نظريته الخاصة بتتابع الهجرات الآرية من وسط آسيا . وقد فرض مجىء اليونانيين والايطاليين عن طريق يقع جنوبى بحر قزوين ماراً بآسيا الصغرى ثم الى بلاد اليونان وشبه

جزيرة ايطاليا واعتبر وصول الكلت 'Celt' أو الألبيين عن طريق يقع جنوب جنوب بحر قزوين أيضاً ولكنه كان يخترق بلاد القوقاز الى شمال البحر الاسود ومن ثم بواسطة نهر الدانوب (الطونه) إلى أقصى غرب أوربا . كذلك فرض فيما يتعلق بمجيء العناصر السلافية (الصقالبة) والعناصر التيوتونية أنها جاءت عن طريق شمال بحر قزوين الى جنوب روسيا ومراعى الاستبس الغنية الخصبة .

ويظهر أن بكتيه قد اعتمد فى فروضه هذه على أساس نتائج دراساته اللغوية وخاصة ما كان يتعلق منها بأسماء النباتات والحيوانات التى ظن أنها كانت موجودة ومعروفة لدى جميع هذه الأجناس وظاهر أن مثل هذا الأساس ضعيف ولا يحتمل المناقشة ومع ذلك يجب أن يشكر بكتيه على نظريته لأنها على الأقل تعطى فكرة ما عن الطرق الجغرافية التى يحتمل أن هذه الأجناس قد اتخذتها فى هجرتها الى مواطنها الحالية .

وفى سنة ١٨٦٢ ظهرت آراء شليخر 'Schleicher' الخاصة بتتابع هجرات الأجناس الآرية من مواطنها الأصلية فى الشرق . وقد ذكر أن الموطن الأصلى للجنس الهندى الجرمانى كان مرتفعات آسيا الوسطى وأن الأجناس السلافية والتيوتونية بدأت المهاجرة نحو الغرب ثم تبعها مهاجرة الشعوب اليونانية والأيطالية والكلتية وبعد ذلك خرجت شعبة من الآريين الذين ظلوا فى آماكنهم ولم يهاجروا مع من هاجر وقصدت ناحية الجنوب الشرقى الى الهند كذلك هاجر الأيرانيون الى ناحية الجنوب الغربى .

وقد ساعد على انتشار هذه النظرية تأييد ماكس ملر لها كذلك وافق عليها پوت ولاسن وجرم وشليخر لأنها كانت تتفق فى ذلك الوقت مع نتائج الأبحاث اللغوية . ويمكن اعتبار سايس Sayce [١٧] من المؤيدين لها بدليل قوله « لابد أن أول ظهور للغات الآرية كان فى أواسط آسيا وأن أقدم المواطن الآرية كان

ذلك الأقليم الواقع بين منابع نهرى سيحون وجيحون » وقد كثر عدد المؤيدين لهذه النظرية ، وأخذ كل واحد من هؤلاء المؤيدين يعمل من ناحيته على تشجيعها وترويجها بمختلف الوسائل . ومع ذلك لم يدم هذا التأييد الذى قارب الأجماع طويلاحتى بدأ يظهر أن هناك من يعمل على تقويضها ومهاجمتها ولم تلبث هذه الحركة الجديدة طويلا حتى أمكنها أن تحدث أثراً ملموساً إذ أخذ الكثير من المؤيدين يرتدون عنها الواحد تلو الآخر فمثلا عاد سايس (١٨) إلى ترديد نظرية أخرى ترمى الى فرض اقليم بكتريانا 'Bactriana' الواقع على السفوح الغربية لجبال بلورتاج ومستاج 'Belurtag & Mustag' وبالقرب من منابع نهرى سيحون وجيحون كأنه أصلح موطن أصلى في نظره للأجناس الآرية .وكان سايس يعتقد أن البراهين المستمده من الدراسات اللغوية تؤيد هذا الفرض إذ أنه كان يعتبر اللغتين السنسكرتية والزندية من اللغات التى بقيت على حالتها القديمة بدون تغيير يذكر وعلى ذلك استنتج أنهما لابد أن يكونا بالقرب من الموطن الأصلى الذى خرجت منه الهجرات المتتابعة . وقد أضاف إلى قوله برهاناً جديداً إستمده من العرف المتداول عند أهل الأفستا الذين يعتقدون أن أول خلق للأنسان كان فى أقليم بكتريا . وعلى أساس نتائج دراساته اللغوية أصبح يعتقد أن الموطن الأصلى للآريين لابد أن يكون اقليما باردا بدليل أن الشجرتين الوحيدتين المعروفتين عند جميع الآريين شرقيين كانوا أو غربيين كانتا البتولا والصنوبر 'Birch & Pine' ولابد أن شتاء مثل هذا الموطن الأصلى كان يمتاز بظاهرة الجليد وفى النهاية يرى سايس أن هذا الموطن الأصلى كان بالقرب من بحر آرال ذلك البحر الذى ورد ذكره كثيراً فى تاريخ وقصص الآريين الاقدمين .

وإذا سلمنا بصحة فرضه الخاص بقدم عهد كل من اللغتين السنسكرتية والزندية وجب علينا أن نقبل الفرض الآخر وهو أن مهد المجموعة الهندية الأيرانية اللغوية كان حتما مهد الآريين الأول . ولكن يصعب علينا قبول ذلك إذ أن

ظاهرة القدم التى تبدو على اللغتين السنسكرتية والزندية واضحة جلية هى نتيجة منطقية سببها أن هاتين اللغتين قد درستا دراسة شاملة اكثر من غيرهما وأنه اذا ما درست جميع اللغات الآرية لابد أن تكون النتيجة غير ما يعتقد سايس وهناك اللغة اللتوانية التى تبدو للباحث أعظم قدماً من كل اللغات الآرية الأخرى ولماذا لا يتخذ هذا القدم أساساً لفرض جديد يعتبر أقليم لتوانيا مهد الآريين القدماء ؟

ويلوح أن الاعتماد على المقارنة فى الدراسات اللغوية لا يؤدى الى نتائج عامة فى كل حالة لأنه اذا جاز لنا أن نستنتج شيئاً على أساس معرفة بعض اسماء الاشجار المشتركة فى جميع اللغات الآرية فلماذا لا نستنتج أيضاً اشياء على أساس وجود أو عدم وجود بعض اسماء الحيوانات فى اللغات الآرية أوربية كانت أو اسيوية كما هو الحال فى اسمى الجمل والحمار اللذين يعدان من أهم حيوانات أواسط آسيا ومع ذلك فانهما غير معروفين فى اللغات الآرية القديمة .

ويحق لنا أن نتساءل « لماذا قبل كثير من العلماء فكرة الجنس الآرى وظلوا يتناقشون حول الموطن الأصلى الذى نشأ فيه وحول تتابع الهجرات الآرية المختلفة مع أن الاساس الذى بنيت عليه هذه الفكرة ضعيف ولا يحتمل المناقشة » ويلوح أن السبب فى ذلك يرجع الى شيوع البحث حول نشأة اللغات الآرية والى الخلط بين المسائل الجنسية والمسائل اللغوية ولهذا تجد أن الكثير من العلماء لم يترددوا فى قبول هذه الفكرة وراحوا بدورهم يبحثون عن الموطن الأصلى للجنس الآرى و يفرضون النظريات والاحتمالات المختلفة للهجرات الآرية (١٩) رغم العقبات العديدة التى تعترض الفكرة وتنقضها من اساسها . وكانت غالبية المفكرين والباحثين تكاد تجمع على ان آسيا هى الموطن الأصلى المنشود وقد بنى هذا الاعتقاد على اساس ان آسيا فى نظرهم هى مهد الجنس البشرى وانه يوجد فيها اقدم اللغات الآرية ونعنى اللغة السنسكرتية والزندية .

— (٣) —

وقد استمرت هذه الافكار ردحاً من الزمن وهى تكاد تعتبر حقائق مسلماً بصحتها ثم اخذت الابحاث الجديدة من النواحى الجيولوجية والجنسية والاثرية تحدث اثرها وخاصة بعد ان ثبت ان عمر الانسان على سطح الأرض اقدم مما كانوا يعتقدون واقدم من العرف المتداول عند الأقدمين الذين ما كانوا يرجعون الى الوراء اكثر من فرضهم ان الآريين من سلالة يافث . اضف إلى ذلك ان علماء الأجناس قد اثبتوا بالبرهان القاطع ان هؤلاء الذين يتكلمون اللغات الآرية لا ينتمون جميعاً إلى جنس واحد بل إلى عدة اجناس متباينة وان اجناس أوربا على وجه الخصوص قد بقيت فى مناطقها منذ العصر الحجرى الحديث .

إذا كانت الابحاث الجيولوجية والجنسية قد قطعت بقدم ظهور الانسان فى أوربا وأن هذه السكنى كانت مستمرة الحلقات فكيف يصح لنا أن نقبل ذلك الفرض القديم القائل بتتابع خروج الهجرات الآرية من أواسط آسيا . وإذا سلمنا بأن الأجناس الحاضرة التى تسكن أوربا هى سلالة الاقوام الذين كانوا يسكنونها فى العصر الحجرى الحديث والذين تملأ آلاتهم وصناعاتهم الحجرية متاحف العالم ، وجب علينا إن نسأل أنفسنا « ما الذى حدث لهؤلاء الاقوام الاقدمين » والجواب على هذا السؤال لا يترك مجالا للشك إذ أن هؤلاء الاقوام استمروا يسكنون القارة منذ اقدم العصور وأن اجناس أوربا الرئيسية فى الوقت الحاضر هى من سلالة هؤلاء الذين كانوا يسكنونها فى العصر الحجرى الحديث بل يمكننا أيضاً إرجاعهم إلى أجدادهم الذين سبقوهم فى أواخر العصر الحجرى القديم على اقل تقدير .

وأول من قام بنقض فكرة الأصل الأسيوى للآريين هو لاثام Latham[٢٠] إذ نادى فى سنة ١٨٥١ بوجوب التفكير فى أوربا وبحثها بقصد الوصول إلى

أصل الآريين الأول . «وأن مثل هذا العمل أجدى وأنفع من الذهاب إلى مجاهل آسيا» وقد بنى لاثام رأيه على أساسين رئيسين أحدهما أن اللغة اللتوانية ترتبط ارتباطاً وثيقاً باللغات السنسكرتية ويبدو عليها القدم بشكل واضح لا يقل تأكيداً فى الرجوع إلى الماضى البعيد عن اللغة السنسكرتية ذاتها . أما الثانى فهو فرضه أن اللغة السنسكرتية قد وصلت الى الهند من موطنها الاصلى فى أوربا وهذا فى نظره أفضل من القول بأن الكلتية والجرمانية واللتوانية والسلافية واليونانية واللاتينية جاءت كلها من آسيا لأن جميع أبحاثه لم تهده إلى ما يؤيد ذلك الزعم الذى يرتكن على الفرض بدون برهان على ان انتشار الأجناس البشرية كان من موطن اصلى فى آسيا وان اقدم الحضارات البشرية نشأ وترعرع فى الشرق .

وقد ذهب لاثام يتلمس برهاناً جديداً يؤيد وجهة نظره الخاصة بموطن أصلى أوربى فذكر أن معظم الآريين يسكن أوربا على حين أن الأقلية المكونة من جماعات منعزلة متفرقة تسكن آسيا . وعلى أساس هذه الملاحظة أخذ ينادى بأن الأقرب الى العقل هو فرض «أن الكتلة الصغيرة شعبة من الكتلة الكبيرة الموجودة فى أوربا وأنها انسلخت عنها لسبب ما ووصل بها المطاف الى هذه الجهات النائية من آسيا» وهل يقبل العقل أن يسلم بصحة فرض يزعم أن الكتلة الكبيرة تشعبت من الصغيرة ثم تركتها وهاجرت حتى وصلت الى أماكنها الحالية ، وقد أضاف الى هذا قوله أنه «إذا أرجعنا الأوربيين الآريين إلى آسيا وجب علينا على هذا الأساس أن نرجع الألمان إلى انجلترا مع أنه ثابت أن انجلترا استمدت العناصر الأنجلوسكسونية من موطنها القديم فى ألمانيا ثم ختم دفاعه عن وجهة نظره بقوله «توجد كتلتان أو مجموعتان من الآريين احداهما متناسقة التركيب ولا تشغل سوى مساحة صغيرة والأخرى عظيمة تشغل مساحة واسعة وتمتاز بعدم التجانس فى تركيب عناصرها التى تتكون منها» . أليس من المعقول أن نفرض أن المجموعة الصغيرة المتجانسة تفرعت

من المجموعة الكبيرة المتباينة العناصر ؟ وهل يمكن قبول فرض يرمى إلى أن الكبرى تفرعت من الصغرى ؟ وقد استشهد على رأيه بالقول بأنه « إذا وجدت أسرة فى كندا مثلا تحمل لقباً خاصاً وظهر بعد ذلك أن هناك قبيلة تحمل نفس اللقب فى شمال سكتلند فما الذى يرجحه العقل ؟ هل الأصوب فرض مهاجرة الأسرة التى تحمل هذا اللقب من سكتلند إلى كندا أو أن هذه القبيلة الموجودة فى سكتلند هى التى هاجرت من كندا وتركت وراءها أسرة واحدة تحمل لقبها (٢١) ؟

وقد أثبت الباحثون اللغويون وجود رابطة لغوية متينة بين اللغة السلافية واللتوانية وأن اللتوانية تربطها بالتيوتونية رابطة قوية . كذلك ثبت وجود علاقة وثيقة بين التيوتونية والكلتية وبين الكلتية واللاتينية و بين اللاتينية واليونانية وبين اليونانية والهندية الايرانية وأخيراً بين الهندية الايرانية والسلافية .

وعلى ذلك يمكن القول بأن المجموعة الآرية تتركب من سبع حلقات منها ست فى أوربا أما السابعة وهى الهندية الأيرانية فموجودة فى آسيا ولو أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً باللغات الآرية الأوربية وعلى الأخص باليونانية والسلافية . وهناك فرضان :— (١) إما أن تكون اللغات الآرية قد تأصلت فى أوربا وأن حلقاتها الست تمثل شعبها وفروعها فى نواحى قارة أوربا المختلفة وأن الحلقة السابعة وهى الهندية الأيرانية انفصلت عن موطنها الأصلى وهاجرت الى موطنها الحالى فى آسيا (٢) وإما أن اللغات الآرية نشأت وترعرعت فى آسيا ثم هاجرت حلقاتها الست إلى مناطقها الحالية فى أوربا وهى محافظة أثناء هجراتها على علاقاتها وروابطها بحيث بقى الجار فى الموطن الأصلى جاراً أيضاً فى الموطن الجديد . وهنا نسأل أنفسنا أيهما أفضل وأقرب الى العقل ؟ ذلك الذى يقول بهجرة فردية واحدة لجماعة من الجماعات التى عرف عنها أنها كانت رعوية كثيرة الترحال والانتقال حتى عصور متأخرة أو ذلك الذى يفرض حدوث هجرات متباينة لستة شعوب

مختلفة فى ستة أوقات أو عصور مختلفة مع أنه لا يوجد أى برهان يقطع بأن هذه الشعوب غير أصلية فى مناطقها الحالية .

ولم تسلم آراء لاثام رغم قوة الحجج والبراهين التى استند اليها من المعارضة الشديدة القاسية لأن فكرة الموطن الأصلى الأسيوى كانت قد تأصلت فى الأذهان وأصبح من العسير تبديلها والتنازل عنها ولهذا قابلها بعض العلماء بالسخرية العنيفة فمثلا كتب هين 'Hehn' سنة ١٨٧٤ يقول « وقد حدث أنه ظهر فى انجلترا ذلك الموطن الأصلى للمخبولين و المعتوهين أحد هؤلاء المجانين الذى أخذ يدعو الى أن الموطن الأصلى للجنس الآرى هو أوربا » ومضت مدة قبل أن يظهر أثر آراء لاثام حتى جاء 'Whitney' يؤيدها ويدعو اليها ويطلب الكف والتنازل عن الفكرة القديمة الخاصة بالموطن الآرى الأسيوى وأنكر الكثير من البراهين التى اعتمد عليها أنصار آسيا مثل الاعتماد على عرف وقصص الأفستا وتصور خروج الآريين على شكل هجرات متتابعة واستعمال الأسس اللغوية أو التاريخية أو القصصية فى مثل هذا البحث الجنسى لأنها فى نظره غير كافية ولا تؤدى الى نتائج علمية صحيحة . وقد أحدثت حملة هوتنى أثراً عظيما لأنها على الأقل مهدت السبيل وهيأت العقول للتغيير الجديد .

أما فك 'Fick' وبنفى 'Benfey' فأخذا يدعوان الى نظرية أخرى تعتمد فى أساسها على دراسة المفردات والألفاظ المشتركة بين جميع اللغات الآرية لاعتقادهما بأن هذا العمل ربما هداهما بطريق أصح إلى الموطن الأصلى الذى كان يسكنه الآريون قبل أن يتفرقوا جماعات وشعباً وقد ذكر أن معرفة الآريين القدماء بأسماء الحيوانات مثل الدب والذئب وبعض الأشجار مثل الزان والبتولا 'Beech & Birch' تشير الى المنطقة المعتدلة عامة والى أوربا خاصة وأن عدم معرفة معظم اللغات الآرية الأوربية لأسماء عدد من أهم حيوانات آسيا مثل السبع والنمر والجمل ومن الأشجار مثل النخيل لا يتفق مع نظرية تتابع الهجرات

الآرية من موطن أصلى أسيوى قيل أنه كان يقع إلى شرق بحر قزوين . ويعتقد بنفى أن من الخطأ الاعتماد على الأبحاث اللغوية فقط وأنه يجب استخدام جميع نتائج الأبحاث الأخرى مثل الجيولوجيا ودراسة الآثار وبقايا الأجناس للوصول الى رأى صحيح . وقد أجمل آراءه فى هذا الموضوع بقوله : بعد أن ثبت أن الأنسان قد سكن أوربا من أقدم العصور البشرية وجب أن نرفض رفضاً باتاً تلك الفكرة القديمة التى كانت تزعم هجرة الآريين من آسيا » .

وقد جاء جريجر 'Greiger' بعد ذلك يؤيد آراء بنفى ولو أنه خالفه فى مسألة المكان الذى رآه أفضل من غيره لأن يفرضه موطناً أصلياً للجنس الآرى وقد كان بنفى يرى أن هذا الموطن الأصلى كان يقع فى شمال البحر الأسود على حين أن جريجر أخذ يبحث عنه فى وسط وغرب المانيا معتمداً فى ذلك السعى على دراسة أسماء الأشجار المعروفة عند أقدم اللغات الآرية . واستنتج جريجر من أبحاثه أن الآريين القدماء قبل أن يتفرقوا كانوا يسكنون إقليما شمالياً ذا جو بارد لأنه وجد اسم شجرة البتولا 'Birch' معروفا عند جميع اللغات الآرية ولأن الحبوب التى كانوا يعرفونها هى الشعير والشيلم وليست القمح مثلا وعلى ذلك حدد إقليمه الأصلى من الناحية الجغرافية بأنه كان يقع إلى شمال مرتفعات الألب وذكر أنه ولو أن حد زراعة القمح قد تقدم الآن الى هذه المنطقة إلا أنه يذكر لتعليل ذلك . أن الأنسان الحالى قد تمكن من تغيير التوزيع الطبيعى للغلات الزراعية بطرقه ووسائله العديدة وأنه فى تحديده الذى ذكره إنما يقصد الحالة منذ الاف السنين . ويذكر علاوة على ذلك أنه ربما كان هناك تغيرات مناخية أثرت فى التوزيع الحالى بحيث جعلته يختلف عن الحالة أيام الآريين القدماء . ومن البراهين التى ساقها للتدليـــل على صحة نظريته قوله بأن الآريين القدماء كانوا يعرفون شجر النيلة البرية 'Woad' ومنافعه وطرق استعماله وكانوا يعرفون الثلج والجليد وأنه يوجد فى كل اللغات الآرية أسماء لكل من فصلين الشتاء والربيع

وليس لكل من الصيف والخريف . وكل هذه الاعتبارات تشير ضمناً الى أن الموطن الأصلى أقرب ما يكون الى الأقاليم الشمالية المعتدلة الباردة . وختم جريجر بقوله « يجب البحث عن الموطن الأصلى للآريين فى أوربا وليس فى آسيا لأن الفرض الثانى لا يقوم على براهين معقولة ولم يتقدم مؤيدوه بالحجج الكافية حتى نسلم معهم بتتابع خروج الهجرات الآرية من آسيا . » (٢٢)

ولم تسلم آراء جريجر من المعارضة إذ ندد بها بيترمان 'Pietrement' بقوله « يوجد فى آسيا أقاليم تتفق حيواناتها ونباتاتها مع نتائج أبحاث جريجر وضرب لذلك مثلا اقاليم بحيرة بالكاش أو منطقة جبال التاى 'Altai' ولكن يظهر أنه من السهل تفنيد معارضة بيترمان لأن الأقاليم التى ذكرها كانت ولا تزال من الجهات التى تسكنها الأجناس المغولية وأنه يتعذر إمكان فرض ظهور الآريين أولا فى هذه الجهات لأنه لا توجد أدلة يمكن تقديمها الدلالة على أن الآريين سكنوا هذه الجهات . كذلك يلوح أن طبيعة هذه البيئة الجغرافية لا تشجع على اتخاذها موطناً أصلياً للآريين إذ أنها ذات مناخ قارى • جفافها يجعل معيشة الأنسان فيها شاقة ومتعذرة

أما كونو 'Cuno' فجاء فى سنة ١٨٧١ يدعو إلى فكرة جديدة عن الآريين القدماء قبل أن يتفرقوا وقد فرض أنهم لم يكونوا جماعة صغيرة مستقرة بل عدداً من الجماعات الرعوية المتنقلة الكثيرة الأرتحال والتجوال وأنهم كانوا يشغلون منطقة واسعة الأرجاء ثم أعقب ذلك بقوله « إن تطور اللغة الآرية الأولى بمفرداتها وأجروميتها استغرق آلاف السنين وأن الأقسام والفروع التى انقسمت اليها اللغة الآرية الأصلية بعد ذلك كانت نتيجة لانقسام الآريين القدماء شعباً وجماعات متفرقة كل منها يسكن بيئة جغرافية خاصة لها مميزاتها وكان لكل منها أثر خاص تبعاً لذلك » . ويتصور كونو « أن هذه البيئة الجغرافية القديمة كانت سهلا منبسطاً فسيحاً لا تعترضه الجبال ولا تخترقه الصحارى المجدبة ولا تغطيه الغابات الكثيفة وأنه كان معتدل المناخ وأن جميع الظروف كانت تسمح لساكنيه

بأن يعيشوا حياة مزدهرة وأن موارد البيئة كانت وفيرة لدرجة تسمح لعدد السكان أن يتكاثر ويزداد بالتدريج » .

ويعتقد بعد ذلك أن ظهور الاختلافات اللغوية وتطورها كان نتيجة التباين الطبيعي بين أجزاء هذه المنطقة الواسعة وأن هذا هو اصل تكوين الأقسام الآرية المعروفة . ولا يرى كونو إقليما تنطبق عليه هذه الشروط السالفة الذكر في جميع أنحاء العالم القديم سوى السهل الأوربى العظيم الذى يبدأ من جبال أورال فى الشرق ويمتد نحو الغرب إلى شواطىء المحيط الأطلسى . ويظن أنه وجد فى هذا السهل الفسيح المعتدل المناخ موطنه الآرى الأصلى الذى ينشده ومما شجعه على هذا الفرض أن نتائج الأبحاث الجنسية قد أثبتت بالبرهان القاطع أن هذا الأقليم كان يسكنه منذ بدء التاريخ البشرى أجناس الكلت والتيوتونيين واللتوانيين والصقالبة التى يعتبرها أجناس أصلية قديمة وليست دخيلة حديثة فى هذه المنطقة ثم فرض بعد ذلك أن الأجناس الأيطالية واليونانية انتشرت خلف مرتفعات أوربا الوسطى وأن الأجناس الهندية الأيرانية رحلت وهاجرت بقطعانها وحيواناتها الى جهة الشرق وأخذت تخضع فى طريقها وتختلط فى أثناء مهاجراتها بالأجناس غير الآرية التى قابلتها فى سبيلها (٢٣) .

ويمكن للباحث أن يعترض على رأى كونو بالقول بأن مراعى وسط آسيا التى تمتد من بحر قزوين فى الغرب لمسافة تزيد على الف ميل نحو الشرق تشبه فى مظاهرها الجغرافية العامة ما يشترطه كونو من الشروط والمميزات لموطن الآريين الأول ولكن يظهر ولو أن هناك بعض مظاهر متشابهة أنه توجد اختلافات عظيمة من حيث المناخ والتربة وعظم اتساع الأقاليم وبعده عن المناطق التى يسكنها الآريون فى الوقت الحاضر . وهذا يشجع على تفضيل السهل الأوربى على نظيره الأسيوى كموطن أصلى للجنس الآرى . وقد اعتمد كونو فى فرضه على نتائج الأبحاث التى قام بها علماء الأجناس والآثار واللغات القديمة .

وقد أدخل فى بحثه عنصراً جديداً إذ ذكر أنه « ليس من الضرورى أن ينتشر الجنس كما تنتشر اللغـة أو أن توزيع الجنس لا بد يتبع انتشار اللغـة » وضرب لذلك الأمثلة العديدة التى تثبت أن سعة انتشار اللغات الآرية نتيجة منطقية لكثرة الغزو والفتح وما ترتب عليهما من اخضاع شعوب جديدة متباينة واضافتها الى المحيط الآرى الأصلى : فالأسبانيون مثلا يعتبرون فى الوقت الحاضر ضمن الأجناس اللاتينية مع أن الواقع ونفس الأمر أنه لا يوجد فى الاسبانيين سوى نسبة ضئيلة جداً من الدم الرومانى . ومثل ذلك يمكن قوله عن فرنسا وبلجيكا ورومانيا تلك الأقاليم التى تسودها فى الوقت الحاضر لغات لاتينية أو لغات مأخوذة عن اللاتينية مع أن الدم الرومانى فيها ضئيل للغاية بل وفى بعضها معدوم بتاتاً . وفى النهاية يتساءل كونو عن مبلغ الشبه فى الدم الذى يجرى فى عروق التيوتونيين والهنود والكلت والفارسيين من جهة وبين الروسيين والاسبانيين واللتوانيين مثلا من جهة أخرى مع أن جميع هؤلاء من الناحية اللغوية يتكلمون لغات يرتبط بعضها ببعض بصلة القرابة وتدخل جميعها ضمن ما يسمى « المجموعة الآرية اللغوية » . من كل هذا استنتج كونو أن امتداد وانتشار اللغات الآرية جنوباً وشرقاً جاء نتيجة لكثرة الفتح والغزو من جانب الآريين أو نتيجة لاتساع محيط دائرة الحضارة الآرية حتى أخذت تشمل وتضم اليها حضارات الأجناس المتاخمة لها وأنه بعد ذلك التعليل يسقط كل اعتراض على نظرية فرض « أن السهل الأوربى العظيم كان الموطن الأصلى الذى نشأ فيه الجنس الآرى » . ويظهر أنه كان يجدر بكونو فى مقام تعليل الاختلافات الجوهرية بين الأقسام الآرية اللغوية أن يذكر أن هذا الاختلاف ربما كان نتيجة من نتائج العزلة الجغرافية أو لعدم مقدرة الأجناس غير الآرية التى فتحها الآريون وأخضعوها على إجادة اللغة المفروضة عليهم

هذا ملخص آراء كونو ويكفيه فخراً أنه عمل وتمكن من القضاء على الفكرة القديمة التى كانت ترمى الى أن الدم الآرى يتبع اللغة الآرية حيثما وجدت .

أما شمدت Schmidt فقام من جانبه فى سنة ١٨٧٢ بالقضاء على نظرية تتابع هجرات الأجناس الآرية من الشرق ومما ذكره أنه « إذا سلمنا بأن الشعوب الآرية من الكلت والتيوتونيين واللتوانيين والسلافيين واللاتينيين واليونانيين جاءت كلها الواحد تلو الآخر من الموطن الآرى الأصلى وأنها هاجرت فرادى أو جماعات من وسط آسيا قاصدة أوربا لتتخذ منها وطناً ثانياً وجب أن يكون ممكناً استنباط أصول هذه اللغات وتحديد درجة اختلاطها أو تقاربها ومعرفة أوقات انفصالها وانسلاخها عن الاصل القديم » وقد أجهد العلماء اللغويون أنفسهم بقصد الوصول الى هذه الحقائق ولكن ابحاثهم لم تأت بالنتائج المنتظرة ولم تتفق النتائج التى وصل اليها هؤلاء العلماء حين مقارنة بعضها بالبعض الآخر وقد أدى هذا الاختلاف الى إحياء فكرة كان بعض العلماء ينادى بها وهى أنه « لا توجد مجموعة آرية لغوية فى الوقت الحاضر وما كان فى الماضى مثل هذه المجموعة اللغوية » . ولم يكن شمدت من أنصار هذه الفكرة بل كان يرى أنه « فى وقت ما فى الماضى البعيد ظلت اللغة الآرية القديمة فى موطنها الجغرافى بدون أن يطرأ عليها ما يدعوها الى الانتقال والارتحال ثم حدث بعد ذلك أن ظهرت فى بعض نواحى هذه البيئة الجغرافية اختلافات وانقسامات لغوية جديدة ولم تلبث أن انتشرت هذه كأمواج البحر الى مختلف الجهات » ويمكننا تشبيه رأى شمدت فيما يتعلق بطريقة انقسام واختلاف اللغات برأى دارون Darwin فيما يتعلق بأصل الأنواع . وقد قضت نظرية شمدت على النظرية القديمة الخاصة بتتابع الانفصال والارتحال والمهاجرة من الشرق لأنه كان يعتقد أن الاختلاف اللغوى نشأ أولا فى المناطق التى ظهر فيها فى وقت كانت فيه الشعوب الآرية تسكن مناطق أصح ما يقال عنها أنها كانت لا تختلف كثيراً عن مناطقها فى الوقت الحاضر .

وقد لقيت آراء شمدت قبولا عند كثير من العلماء أمثال بنكا Penka ولسكين Leskie وهؤلاء أخذوا يدعون لها بطرق ووسائل شتى وقد عنى هؤلاء بنوع خاص بالدعوة لبعض النتائج الجديدة التي من أهمها أنه :—

(١) لا يوجد جنس خاص يمكن أن يطلق عليه بحق اسم الجنس الآرى

(٢) أنه يوجد مجال عظيم للشك فى أنه كان هناك لغة آرية أصلية

وفى سنة ١٨٨٠ جاء دلبرك Delbrück برأى جديد ملخصه أنه « قبل أن يتم تكوين لغة آرية أصلية انقسمت هذه اللغة شعباً متعدده ثم تطور كل منها تطوراً خاصاً بمرور الزمن الطويل »

ويجوز لنا أن نعتبر سنة ١٨٧١ حداً فاصلاً بين عهدين مختلفين فى بحث هذه المسألة :—

(١) قبل تلك السنة كان الرأى السائد عند الجميع هو رأى الوطن الأسيوى وكان من الحماقة فى نظر الغالبية أن تذكر شيئاً يخالف ذلك الأجماع

(٢) لكن بعد تلك السنة أصبحت مسألة الموطن الأصلى كرة يتقاذفها العلماء فيما بينهم طوراً الى آسيا وطوراً الى أوربا ولكل من هذين الطرفين أتباع وأنصار يعملون ويجتهدون لنصرة آرائهم .

ويلوح أن نظرية الموطن الأوربى كانت تجتذب لنفسها أنصاراً من سنة الى أخرى على حين كانت نظرية الموطن الأسيوى تفقد أنصارها بالتدريج وبالأحرى أخذت تختفى رويداً رويداً

وقد ظهر فى هذه المعركة العنيفة رأى جديد جاء به هيفر Höfer الذى أخذ يزعم أن بما « أن أقدم مظاهر اللغات الآرية تتمثل فى كتابى الأفستاورج فيدا Avesta & Rig Veda فيحسن أن نبحث عن الموطن الأصلى للآريين فى الأقاليم الذى توجد فيه اللغات السنسكرتية والزندية » ولكن يظهر أن قيمة هذا الرأى

ضئيلة إذ أن مسألة القدم لم يبت فيها بالضبط كما ذكر هوتنى الذى يقول إنه يوجد من بين اللغات الآرية فى الوقت الحاضر فروع مثل الأيسلندية واللتوانية تظهر عليها مسحة القدم بدرجة تفوق حالة الأكراد والأرمن

أما بيترمان فعاد الى احياء فكرة الأعتماد على النتائج الجغرافية التى يمكن استنباطها من دراسة كتاب الأفستا ولكن إن صح هذا فيما يتعلق بهجرات الأيرانيين المتأخرة فانه يتعذر تطبيق هذه النتائج وأمثالها على هجرات الشعوب الآرية الأخرى حتى على الهجرات القديمة للايرانيين أنفسهم . ولا تختلف آراء بيترمان عن آراء كيبرت وهين لأنهما اعتبرا آسيا موطناً أصلياً لجميع الأجناس الرئيسية وأنه أصبح ممكناً تتبع معظم الهجرات الجنسية العظيمة التى خرجت من الشرق الى الغرب وعلى ذلك يرفضان فكرة مهاجرة الأجناس الآرية فى الزمن القديم من الغرب الى الشرق ويتساءل هين بعد ذلك « أيهما أقرب الى العقل : أن تفرض أن أقدم الآريين جنساً ولغة نشئوا وترعرعوا فى غابات ومستنقعات المانيا أو أن نبحث عنهم فى الهند وفى بكتريا Bactria.

ويلوح أن أقوى الحجج والبراهين التى جاء بها أنصار فكرة الموطن الأسيوى هى تلك التى قدمها همل Hommel وأمثاله على أساس وجود علاقة قديمة بين اللغات السامية واللغات الآرية القديمة ومتى سلمنا بأن اللغات السامية نشأت أولا فى آسيا وهذا الفرض معقول ومقبول عند غالبية العلماء وإذا ثبت وجود هذه العلاقات بالبرهان الذى لا يقبل الشك أصبح فى الأمكان فرض أن الموطنين الأصليين لهاتين المجموعتين اللغويتين كانا متاخمين أو متقاربين ولقد أجهد هؤلاء العلماء أنفسهم فى البحث عن الكلمات المشتركة والأصول المتشابهة ولكن برغم هذه المجهودات العظيمة لم يقابل العلماء نتائج هذه الدراسة إلا بكل تحفظ لأن مجرد وجود بعض كلمات أو قواعد متشابهة لا يصح قبوله أساساً لحكم جنسى . هذا ولما كان جنس البحر الابيض المتوسط يمت بصلة قوية الى الجنس الحامى أو

جنس البربر ولما كان هؤلاء مرتبطين من الناحية اللغوية باللغات السامية فلا يبعد أن تتأثر لغة الآريين الأوربيين باحتكاكها ومجاورتها للحاميين والبربر وأن الألفاظ الدخيلة هي التي قربتها من المجموعة اللغوية السامية . ولكن ظل أنصار الموطن الأوربي يتقدمون الى كسب الموقعة بخطوات ثابتة كلما ضعف شأن أنصار الموطن الأسيوى وقد اعترف بذلك فردريك ملر Frederich Muller سنة ١٨٧٣ حين أعلن قبوله وتأييده لنظريتى بنفى وجريجر المبنيستين على أساس تشابه أسماء الحيوانات والنباتات عند معظم شعب المجموعة الآرية اللغوية كذلك قام شبيجل Spiegel من ناحية أخرى بدحض النتائج المستنبطة من كتاب الأفستا وأعلن أن التفكير السليم لا يمكن أن يقبلها ويسلم بصحتها وزاد على هذا قول وليمس M. Williams بأن اقليما شاهق الارتفاع جافاً أو قليل الأمطار ضئيل الخيرات عديم الجاذبية للجنس البشرى بوجه عام لا يمكن أن يربى أجناساً متعددة فى أوقات مختلفة بحيث يتبع ذلك خروج هجرات متوالية كما يتصور أصحاب فكرة الموطن الأسيوى . على أنه إذا صحت فكرتهم فأين آثار مثل هذه الأجناس ولماذا لم يترك هؤلاء وراءهم ما يدل على أنهم سكنوا هذه البيئة . وختم كلامه بقبوله لنظرية الموطن الأوربى الذى يفرضه داخل المنطقة الواقعة بين خطى عرض ٤٥ ، ٦٠ شمالا ويعلل هذا التحديد بقوله أن فى مثل هذا الأقليم الذى يراه مناسباً لتطور الجنس الآرى القديم نجد جميع الظروف الجغرافية تشجع على الانتشار والتوسع الى الشرق والى الغرب ولا يبعد أن مثل هذا التوسع هو الذى أطلق عليه خطأ أنه كان على شكل هجرات متوالية مع أنه فى الحقيقة كان توسعاً ولم يتخذ شكل مهاجره مطلقاً و يفرض أيضاً أن الجنس الآرى القديم كان يوسع دائرته بالتدريج لأنه كان يضم الى محيطه من آن لآخر أجناساً جديدة وهذا يعلل ظهور الاختلافات اللغوية العديدة التى هى فى الواقع نتائج اضافة بيئات جغرافية جديدة الى الدائرة الأصلية الآرية . وقد ساعدت هذه البيئات الجغرافية

المتباينة وقلة وجود آداب لغويه مدونة فى ذلك الوقت على ظهور لغات متميزة مختلفة ولو أنها ربما كانت ترجع اصلا الى جذع واحد ويظهر أن شبيجل قد نجح لدرجة عظيمة فى تعليل اسباب سعة الانتشار والتنوع .

أما بوشا Poscha فاعلن رأيه فى سنة ١٨٧٨ الذى بناه على أساس دراسة الأجناس والذى لا يختلف كثيراً عن الفكرة التى جاء بها بنكا Penka ويتلخص رأيهما فى أنه يجب الا يترك الامر للعلماء اللغويين يفعلون ما يشاءون بل يجب أن يصحح علماء الأجناس والآثار اخطاء هؤلاء. ونادى بوشا بأنه ربما يكون هناك ما يمكن تسميته بمجموعة لغات آرية ولكنه جزم بعدم وجود ما يمكن أن يسمى جنساً آرياً ، وأنه لا يصح الاعتماد على اللغة حين يراد تقسيم الأجناس لأنها قاعدة واهية ولا تصلح للعمل فى مثل هذا الموضوع الجنسى البحت بدليل أن اللغات الآرية يتكلمها اقوام يختلفون فيما بينهم من الناحية الجنسية . ويعتقد بوشا أن هناك جنساً واحداً يحق له أن يطلق على نفسه أنه آرى جنساً ولغة وهذا هو الجنس الجرمانى الذى يمتاز بطول القامة وزرقة العينين وشقرة البشرة والرأس المستطيلة واللحية الغزيرة . ويرى بوشا أن بقايا هذا الجنس موجودة فى مقابر الالمانى Allemannic المنتشرة فى جنوب المانيا والتى يرجعها علماء الأجناس الى العصر الحجرى الحديث . ولكن لم يقبل العلماء نظريته الخاصة بنشأة الجنس الآرى فى مستنقعات ركتنو Rokitno بين بريبت Pripet ونهرى بريسينا Berisina ودنيبر Dnieper ويظهر أن ما دعا بوشا الى هذا الفرض هو قله المادة الملونة فى البشرة ولهذا السبب اعتبرها موطناً للجنس الأبيض عامه . كذلك بسبب ما يبدو على اللغة اللتوانية من مظاهر الشيخوخة اعتقد بوشا أن اللتوانيين يمثلون بقية باقية من الجنس الآرى الأصلى القديم .

وأهم ما يمكن الاعتراض به على آراء بوشا هو أن مستنقع ركتنو ليس بعظيم المساحة بحيث يسمح بأن يتخذ موطنا لأقوام عدة ويبعد أن تتصور الجنس

الآرى الذى قيل عنه إنه نشيط وقوى قد تربى وترعرع فى مثل هذا الأقليم الذى هو غير صحى وغير جذاب وجميع ظروفه تجعل الحياة البشريه فيه شاقة ومتعذرة كذلك هناك فرق عظيم بين ظاهرة قلة المادة الملونه التى تكثر عند سكان هذا المستنقع وبين شقرة البشرة كما تتمثل فى الجنس الشمالى مثلا لأن الحالة الأولى يمكن أن نسميها حالة عارضة على حين أن الثانية اصلية و راثية . ويظهر أن هذه البيئة لا تلائم حياة الآريين الأول الذين يظن أنهم كانوا رعاة ينتقلون من جهة الى أخرى ولا يعقل أن بيئة المستنقعات تصلح لهذا النوع من المعيشة

وقد قويت فكرة الموطن الأوربى بعد أن أعلن لندنشمدت Lindenschmidt فى سنة ١٨٨٠ قبوله للفكرة وأخذ يدعو لها ويعمل على نشرها ورواجها ومن رأيه أنه يجب أن نطرح جانباً فكرة مهاجرة الآريين من آسيا لأنها لا تزيد على كونها خرافة من خرافات الماضى التى ضللت العلماء وأضاعت وقتهم وجهودهم ويعتقد أيضاً وقد سبقه فى هذا الاعتقاد بنفى أن عدم وجود اسماء آرية قديمة لكل من الفيل والسبع والنمر ينقض نظرية الموطن الأسيوى من أساسها كذلك ناقش رأى هين الخاص بتوافق الغزو والمهاجرة مع ظاهرة حركة الشمس من الشرق الى الغرب وقد اضاف الى هذه الآراء قوله « إن آرى أوربا يمثلون عناصر نشيطه ويبعد فى نظره أن مثل هؤلاء قد نشئوا وترعرعوا فى آسيا وأن من يدرس انتشار القوط وأهل سكندناوه والنرمان Norman والاسكتلنديين والانجليز والالمان والهولنديين الذين غزوا وفتحوا جنوب أوربا واستعمروا واستوطنوا أمريكا واستراليا واخضعوا لأنفسهم اجزاء واسعة فى كل من آسيا وافريقيه لا يسعه الا أن يقول ان شمال اوربا فقط هو خير بيئة للجنس الآرى النشيط كما نعرفه الان ولا بأس من قياس الماضى على الحاضر ولهذا يفضل البحث عن الموطن الآرى الاصلى فى أوربا وليس فى آسيا »

أما فليجير Fligier فجاء فى سنة ١٨٨١ يكرر ما ذكره كونو ولكنه خالفه بعد ذلك فى تحديد الموطن الأصلى الآرى لأنه أخذ يدعو الى وجوب البحث عنه فى شرق أوربا ولكن تجددت روح النقاش والجدل بعد ظهور آراء بنكا وشرادر Schrader (٢٤) وقد اعتمد الأول فى جميع نتائجه على دراساته الجنسية الواسعة النطاق وأيد ما ذكره پوشا وقلل كثيراً من الاعتماد على الأسس اللغوية أما الثانى فيلوح أنه بحث الموضوع جيداً ولم يترك ناحية الا وطرقها

وأول النتائج التى وصل اليها بنكا هى أن الدم الآرى لا يوجد دائماً حيث تسود اللغات الآرية » . واثبت بالبرهان القاطع أن الشعوب التى تتكلم الآرية ترجع اصلا الى أجناس مختلفة متميزة بعضها عن بعض ولو أنه يتصور أن الآريين القدماء كانوا اصلا يمثلون جنساً واحداً فقط ثم يفرض بعد ذلك :—

(١) إما أن الاجناس المختلفة ظهرت وتميزت بعضها عن بعض بعد أن انقسمت الآرية القديمة الى فروعها اللغوية المتعددة

(٢) أو أن اللغة الآرية اصبحت لغة أجناس مختلفة ومنها ما لا يجرى فى دمه الدم الآرى

ويلوح أن الفرض الأول بعيد الاحتمال بدليل ما هو ثابت من استمرار الحالة الجنسية فى جميع حالات التغيير اللغوى ويظهر ذلك بوضوح اذا درسنا حالة اليهود أو المصريين مثلا ولهذا السبب يصبح الفرض الثانى اكثر احتمالا وأقرب الى العقل لأن البراهين التى تثبت عدم تأثر الحالة الجنسية بعد التغييرات اللغوية كثيرة ومتعددة وليس هناك شك فى أن اللغة قابلة للتغيير بسهولة بعكس الجنس الذى يبقى فى العادة ثابتاً لدرجة عظيمة . ويعتقد بنكا أن أنقى الدماء الآرية موجودة فى اسكندناوة حيث يقطن الجنس الشمالى كذلك يتمثل الدم الآرى فى الجرمانيين الشماليين الذين نشروا سلطانهم ونفوذهم ولغتهم فى الشرق وفى الجنوب

وفى الغرب وأن سبب قلة ظهور الدماء الآرية فى شعوب وسط وجنوب أوربا هو أن هذه الشعوب المختلطة تتطور بالتدريج نحو الرجوع الى جنس خاص من الأجناس الأصلية التى أخذت عنها ويعلل بعد ذلك كثرة الدماء الآرية فى شمال أوربا بأنها راجعة الى أن الجنس الشمالى يتكاثر ويزداد فى المناخ المعتدل البارد ولكن هذا الأزدياد يقل بالتدريج فى خطوط العرض السفلى حيث المناخ دفىء أو حار ويكون مصيرها الاختفاء فى هذه البيئات التى لا تناسبها ويضرب مثلا لذلك حالة كل من ايطاليا واسبانيا إذ يقول « إن دماء القوط الذين جاءوا من حوض بحر بلطيق قد اختفت تقريبا على حين أنها باقية ثابتة فى السويد وشمال المانيا وانجلترا وتعليل هذا الاختفاء مناخى محض لأن المناخ البارد ساعد على حفظها والابقاء عليها ومثل ذلك القول ينطبق على اختفاء الدماء الآرية بدرجات متفاوتة فى كل من الهند وأيران واليونان وايطاليا وفرنسا وجنوب المانيا واسبانيا وفى كل هذه الأقاليم قضى المناخ على الدماء الآرية التى لم يبق من آثارها ومما يدل عليها سوى اللغات الآرية التى تسودها .

ويظهر أن بنكا قد اضعف نظريته المعقولة بفرضه أن اسكندناوة كانت الموطن الأصلى للجنس الآرى إذ كيف يمكن أن نقبل أن مساحتها الصغيرة تسمح بنشأة جنس وافر العدد مع أن جهاتها الصالحة للسكنى محدودة للغاية لأن الغابات تغطى معظم أودية السويد والنرويج على حين أن باقى شبه الجزيرة قارس المناخ بسبب ارتفاعه وقليل الحياة النباتية لأن الأرض يكسوها الجليد جزءا من السنة وجميع هذه الظروف لا تتفق مع معيشة أقوام عرف عنهم أنهم كانوا رعاة كثيرى الارتحال والانتقال فى الأدوار الأولى من تاريخهم وهناك ملاحظة أخرى جديرة بالذكر وهى أن الأودية المنعزلة التى هى من أهم مظاهر البيئات الجبلية المرتفعة من أعظم العوامل التى تساعد على تباين اللغات واختلاف تطورها على حين أن السهول الفسيحة التى يسكنها الرعاة

يسودها عادة وحدة لغوية ظاهرة وخير مثال لذلك حالة كل من سويسرا وبلاد القوقاز حيث يتكلم سكان الأودية المتجاورة لغات متباينة وعلى العكس من ذلك نجد لغة واحدة تسود مساحات عظيمة كما هو الحال فى سهول مراعى أواسط آسيا ولهذا كان يجدر ببنكا أن يتبع رأى كونو ويفرض مثله أن السهل الأوربى المتوسط العظيم كان الموطن الأصلى للآريين وكان فى إمكانه فى الوقت نفسه أن يفرض خروج الهجرات المتعددة من هذا الموطن الأصلى الى الأقاليم المجاورة. وهناك اعتراض آخر ليس من السهل الأجابة عليه وهو لماذا فرض بنكا أن سكان اسكندناوة وشمال المانيا وانجلترا هم خير ممثل للآريين القدماء ؟ ولماذا لم يفرض أن الجنس الكلتى وليس التيوتونى هو خير ممثل للجنس الآرى القديم ؟

وقد عكف شرادر على دراسة كتابات من سبقه من العلماء وحللها واستفاد من اخطاء غيره وتوسل الى الوصول الى نتائجه التى نادى بها ودعا اليها بنتائج ابحاث اللغويين وعلماء الأجناس والآثار القديمة ولقد بدأ بحثه لموضوع الموطن الآرى الأصلى بفرض ثبوت نقطتين هامتين رئيسيتين وهما : —

(١) منذ عصور ما قبل التاريخ كان يسكن الآريون أوربا وكان الآريون الأسيويون يسكنون اقليم سيحون وجيحون (٢) وانه فيما يتعلق بالآريين الأوربيين لا يوجد الدليل المقنع على أنهم جاءوا نتيجة لهجرة من الشرق بل هناك من الأدلة ما يؤيد أنهم كانوا ينتشرون من منطقتهم التى يظن أنها كانت تقع الى شمال مرتفعات الألب وخاصة نحو الشرق والجنوب الشرقى

ويرى شرادر أن حدود هذا الموطن الأصلى تتفق مع حدود منطقة نمو شجرة الزان Beech التى يعتبر أنها لا تجود شرق الخط الواصل بين بلاد القرم وكونجزبرج ويفرض أيضاً أن موطن الأجناس اللاتينية واليونانية والتيوتونية

التى تعرف اسم هذه الشجرة من التيوتونيين كان شرقى هذا الخط . وأن الآريين قبل أن يتفرقوا كانوا يسكنون السهل الأوربى المتوسط العظيم . أما فيما يتعلق بالجماعات التى تتكلم اللغات السنسكرتية فيرى شرادر أنها دخلت الهند عن طريق الشمال الغربى بعد أن تركت مواطنها فى شمال الهملايا بالقرب من حوض سيحون وجيحون . لكن يظهر أن شرادر لم يحدد موقفه بالضبط بالنسبة الى نقطة هامة وهى « هل جاء الآريون الأوربيون من آسيا أو أن الاريين الأسيويين يرجعون أصلا الى أوربا ؟ » ولهذا نجده يترك التحديد ويجيب على هذه النقطة بأن يطرح على بساط البحث ست نقط أخرى :—

(١) أما الفكرة القديمة التى ترمى الى اعتبار آسيا الموطن الآرى الأصلى على أساس مظاهر القدم التى تبدو على اللغات الهندية الأيرانية فيجب رفضها إذ يلوح أنه يوجد من بين اللغات الأوربية الآرية لغات تفوق فى مظاهر القدم والشيخوخة نظائرها السنسكرتية والزندية

(٢) أن النتائج التى وصل اليها الباحثون اللغويون عن حالة اللغات القديمة فى العصور البعيدة القديمة لا يمكن اعتبارها قاطعة ويروق فى نظره اعتبار الأقاليم الشمالية موطناً للآريين القدماء ويعتمد فى هذا على أن مسميات الجليد والثلج شائعة بين جميع اللغات الآرية التى ما كانت تعرف تقسيم السنة الا الى فصلين أو ثلاثة على أكثر تقدير . وأن الشعوب الشمالية النشيطه هى خير من يمثل الآريين القدماء

(٣) يلوح له أن الآريين القدماء قبل أن يتفرقوا كانوا يشغلون مساحة واسعة وأنهم كانوا رعاة أو أقرب ما يكونون الى تلك الحياة وأن نظام حياتهم كان يتطلب مساحة عظيمة من الأرض ليرعوا حيواناتهم على أعشابها وإذا ما فرضنا أنهم كانو يعيشون على الصيد وجمع القوت من الطبيعة فلا بد أن منطقتهم

كانت أعظم اتساعاً من نظيرتها فى الحالة الرعوية ويعتقد أن الآريين الذين كانوا يسكنون هذه المنطقة الفسيحة كانوا يتكلمون لغة واحدة ومثلهم هذا مثل الأجناس التركية التترية التى لا تختلف حالتها كثيراً عن حالة الآريين القدماء حين بلغت هذه الأجناس أعظم اتساع لها وانتشرت بين التركستان والمحيط الأطلسى

(٤) من الصعب وضع حدود فاصلة بين الشعب والفروع الأوربية والأسيوية من المجموعة الآرية . وهناك بضع أجناس ولغات أوربية خاصة تربطها علاقات وثيقة بآسيا كما هو الحال فى العلاقات المتينة التى تربط الهندية الأيرانية باليونانية بدليل تشابه أسماء أنواع الأسلحة والمسميات المتعلقة بالزراعة

(٥) أن درجة الحضارة التى وصل اليها الآريون قبل أن يتفرقوا تجعل من الممكن فرض أنهم كانوا يسكنون اوربا منذ عصور اقدم بكثير من عصر انقسامهم اللغوى .

(٦) أن هجرات الأجناس الآرية كما يستدل من التاريخ والعرف والقصص كانت تتجه نحو الجنوب أو نحو الشرق وعلى ذلك يمكن أن نفرض وصول شعوب آرية الى غرب آسيا مثل الأرمن الذين يرتبطون لغوياً بكثير من اللغات الأوربية وأنه لا يوجد دليل قاطع على أن الآريين هاجروا من الشرق الى الغرب

وظاهر من بحث هذه النقط الست التى ختم بها شرادر آراءه أن مسألة البحث عن الموطن الأصلى الآرى فى آسيا أو فى أوربا لا يمكن الاجابة عليها بما يقنع الجميع مع أن يؤكد فساد الفكرة التى تفرض آسيا موطناً للآريين القدماء[٢٥] ويغلب عليه تفضيل فكرة الاقتصار على بحث الموطن الأصلى فى أوربا

ومن أهم مظاهر بحث هذا الموضوع تجدد نشاط المناقشة والمحاورة كلما ظهر فى عالم البحث رأى أو فرض جديد وقد ترتب على ظهور آراء بنكا وشرادر أن

عدداً من انصار فكرة الموطن الآرى الأسيوى ومن أكثر الناس تحبيذاً وتشجيعاً لها امثال سايس Sayce وشرادر وهذا الأخير كان أولا من الموافقين عليها ثم ثار عليها أخذ يرتد عنها وفى الوقت نفسه قويت النظرية الأوربية بانضمام كثير من العلماء اليها ولكن مع ذلك ظلت فكرة أرجاع الآريين الى آسيا تعلو تارة وتنخفض أخرى تبعاً لمجهودات انصارها الذين لم يرجعهم أو يردهم عنها ما ثبت بالبرهان فيما يتعلق بسكنى أوربا منذ أقدم عصور التاريخ البشرى وأنه يبعد أن هؤلاء السكان كانوا نتيجة لهجرة من آسيا لأن البقايا الجنسية وآثار الحضارات الحجرية القديمة التى عثر عليها فى مختلف جهات أوربا تدل على أن هذه السكنى قديمة العهد جداً وترجع الى زمن أقدم بكثير من الوقت الذى يفرضه اصحاب النظرية الأسيوية لبدء هجرات الآريين من آسيا ويلوح أن تطور الحضارات الحجرية القديمة وتعاقبها واستمرارها فى كثير من جهات اوربا يمكن أن يقوم شاهداً على أن أوربا فى ذلك الوقت لم تكن مستعمرة لآسيا من الناحية الجنسية. ويعتقد دى مرتييه De Martillet أن التطور فى حضارات العصر الحجرى القديم حتى عصر الحضارة السولترية Solutrean لم يتأثر مطلقاً بمؤثرات خارجية. ورغم كل هذا ظل شليجل يؤكد أن الآريين جاءوا من الهند واستقروا بعد ذلك فى أوربا وبقى لنك Link على اعتقاده أن الآريين جاءوا من آسيا من منطقة يظنها جورجيا Georgia فى بلاد القوقاز كذلك اصر بكتيه وانصاره على أن الآريين الأوربيين جاءوا من اقاليم بكتريا

أما شك T. Scheck فاعلن أن البحث عن الموطن الأصلى الآرى يجب الا يخرج عن دائرة شرق أوربا ولكن لوهر Loeher كان يفضل البحث عنه فى المانيا ذاتها وقد أجهد دى هالوى O. De Halloy الجيولوجى البلجيكى نفسه للبرهنة على أن الآريين الأسيويين ليسوا سوى اوربيين عائدين(٢٦) وذكر أن أوربا بدلا من أن تأخذ وتستلم عناصر مهاجرة اليها من آسيا كانت هى التى ترسل الى

آسيا الغزاة الفاتحين أو المهاجرين المسالمين الذين يبحثون عن وطن جديد يستقرون فيه بدليل أن جميع اعمال الغزو التى تركت آثارها باقية كانت من الغرب الى الشرق واستعان هالوى ايضاً بنتائج الدراسات الجنسية الحديثة التى تثبت أن العناصر الشقراء كانت تسكن أوربا من اقدم العصور وأن هذه العناصر الشقراء لم تظهر فى آسيا الا فى فترات متقطعة وفى جهات محدودة ولم تكن هذه العناصر فى آسيا تمثل الأغلبية بل كانت عادة أقلية ضئيلة. وقد لقيت آراء دى هالوى قبولا عند الكثير من العلماء وانضم اليها عدد من اللغويين والجيولوجيين والأثريين وعلماء الأجناس وأخذوا يدعون اليها بكل الوسائل الممكنة ويذكرون أن البحث عن الموطن الأصلى فى آسيا لا طائل تحته ولن يأتى بنتيجة ما على حين أن البحث عن هذا الموطن فى أوربا تشير اليه جميع الظروف وتؤيده البراهين والحجج وخاصة بعد أن ثبت أنه عندما اتصلت الحضارات الأوربية بالحضارات الأسيوية كانت الأولى قديمة العهد ومضى على تطورها فى أوربا ذاتها آلاف السنين. ويرى أصحاب هذا الرأى أن كثيراً من الآثار الحجرية القديمة فى أوربا اقدم عهداً من نظائرها التى وجدت فى الهند أو ايران مثلا وأن كشف المعادن ومعرفة طرق استخدامها والاستفادة منها انتقلا الى أوربا من مراكز ظهورهما الأولى قبل أن يشعر بهما كثير من البيئات الأسيوية المختلفة

أما روير C. Royer فأخذ من جانبه يدعو إلى أن اللغة الآرية نشأت وتطورت فى أوربا ومن أوربا تقدمت الى الشرق الأدنى عن طريق بلاد القوقاز ثم انتقلت من هذه الأخيرة الى فارس والهند ويؤكد روير لأنصاره أن اللغات الآرية من خلق الأجناس الأوربية الشقراء وأنه اذا كانت العناصر السمراء تتكلمها فأنها اخذتها وتعلمتها من المهاجرين أو الفاتحين من العناصر الشقراء. وقد بقى رأى بنفى Benfey الذى بناه على دراساته اللغوية قائماً رغم اعتراض الكثيرين على قوله « إن الموطن الأصلى للغات الآرية وللأجناس الآرية وللحضارات الارية

كان الاقليم الواقع بين الطونة الأدنى وبحر قزوين »

وقد ضعفت الفكرة الاسيوية ايما ضعف بعد أن ثبت أن حروف الهجاية الهندية مأخوذة عن اليونانية والأرامية وأن الافستا لا ترجع الى عصر اقدم من القرن الثالث الميلادى وأن أغنية الفيداس Vedas التى كان يظن أنها ترجع الى فجر التاريخ البشرى إنما ترجع الى الألف الأولى قبل الميلاد وأنها ظهرت فى قالب شعرى مهذب بعد تاريخ ظهورها الأول بنحو ١٢٠٠ سنه[٢٧] ومع ذلك بقى من انصار قارة آسيا عامة ماكس ملر وأجفلفى Ujfa Ivy ومورس Morris واتباعهم يبحثون و ينقبون عن البراهين والحجج التى تؤيد وجهة نظرهم مهما كلفهم ذلك واستمر اتباع شليجل وبوت ولاسن وبكتيه على تصميمهم وعنادهم وتأكيدهم بان أواسط آسيا خاصة كانت الموطن الأصلى للآريين وكانت آراء هين وميير E. Meyer لا تخرج فى مغزاها عن الدائرة الأسيوية . ويجدر بنا أن نذكر ان معظم انصار آسيا كانوا من اللغويين الذين بنوا نظريتهم على اساس دراسة ومقارنة اللغات بعضها ببعض ومع ذلك فقد ظهر من بين صفوفهم من كان يرى العكس مثل ف . ملر وشرادر وبنكا وبوشا وغيرهم ويلحظ ان الاختلافات بين هؤلاء قليلة وان الجميع يتخذ اوربا ميدان بحثه عن الموطن الأصلى فمثلا ف . ملر يوافق على رأى كونو الخاص باتخاذ وسط أوربا الموطن الأصلى . كذلك يتفق فتسك Witsce مع بنكا فى فرضه الخاص باسكندناوة عامة وجنوب السويد والنرويج خاصة . أما شرادر فيضعه فى جنوب روسيا الأوربية بالقرب من الحوض الأوسط للفلجا على حين أن كوسنا Kossinna وهرت Hirt يفرضان من ناحيتهما جنوب بحر بلطيق عامه والمانيا خاصة . وقد كان كونو اكثر تعميما من سائر زملائه لأنه اتخذ الموطن الآرى الأصلى جميع الأقليم الممتد من شواطىء البحر الأسود الى سهول فرنسا الشمالية ومن جبال أورال الى المحيط الاطلسى ولكن كوبن Koeppen كان يرى غرب أوربا فقط مع أن لاثام Latham كان يفرض أوربا على وجه العموم

هكذا كان شأن الخلاف بين الباحثين اللغويين وغيرهم ممن اتخذوا دراسة اللغات أساساً لنظرياتهم الخاصة بموضوع موطن الجنس الآرى . واذا جاز لنا أن نغفر لهؤلاء خطأهم وركوبهم متن الشطط فى الخلط بين الأمور اللغوية والجنسية فأننا نعجز عن تعليل انصراف بعض مشاهير علماء الأجناس فى البحث عن هذا الموطن الأصلى المزعوم وكأن مسألة الجنس الآرى قد اصبحت حقيقة يسلم بها الجميع مع أنها فى الواقع لم تتعد الفرض النظرى الذى لم يثبت بعد ولهذا السبب اشترك فى بحث هذا الموضوع كثير من علماء الأجناس والتاريخ الطبيعى وأخذ كل منهم يدعو الى ناحية خاصة فمثلا نجد فرشو Virchow يصر على موطن أصلى للجنس الآرى فى الشرق ويقابل هذا الاصرار بما يشبه التأكيد توبنار Topinard وأعوانه إذ ذهبوا الى وجوب البحث عن هذا الموطن فى أوربا .

أما هكسلى Huxley فكان يفرض موطنه الأصلى فى الاقليم الواقع بين جبال أورال وبحر الشمال وهذا يخالف رأى بيترمان Pietrement الذى أخذ ينقب عن هذا الموطن فى جنوب غرب سيبريا على حين كان روير Royer يدعو الى البحث عنه على حافة حوض الدانوب وكان هين Hehn يرغى ويزبد إذا قام أحد يذكر رأياً يخرج بالموطن الأصلى عن حدود آسيا . أما دى كلابرت Klaproth فكان يرى أن شمال أوربا على وجه العموم أصلح مكان للموطن الأصلى الآرى ولم يقف الأختلاف بينهم عند هذا الحد بل عاد بعض علماء الاجناس الى احياء بعض فروض اللغويين عن الموطن الأصلى بعد أن درست واختفت بظهور آراء أجدر بالعناية والبحث فمثلا احييت فكرة فرض اقليم بكتريا مع أنه ثابت أن أقليم بكتريا هذا اقليم خرافى ولم يوجد أقليم ما تنطبق عليه تلك الأوصاف التى جاءت بها خيالات وتصورات أصحاب هذا الزعم والتى لو تحققت لجعلته أقرب شيء الى الجنة المفروضة . وظل البعض الاخر يدعو الى هضاب البامير Pamir ويعتبرها الموطن الأصلى وأنه منها انتشر الآريون الى مختلف الجهات

مع أن من يدرس حالة هذه الهضاب من جميع نواحى الجغرافية البشرية يتضح له صعوبة أو استحالة قبول فرض مثل هذا لأنها جهات فقيرة غير جذابة وقليلة أو منتشرة السكان وجميع ظروفها لا تشجع عن الاستقرار ولا تسمح بتربية جنس وفير العدد يمكنه أن يرسل هجراته مرة بعد أخرى كما يعتقد هؤلاء .

— (٤) —

ومما يجدر ملاحظته أنه فى الوقت الذى كان فيه العلماء منقسمين على أنفسهم فى بحث موضوع الموطن الأصلى الآرى كان غيرهم منهمكا فى بحث مظاهر حياة هؤلاء الآريين القدماء كأنه ثبت ثبوتاً لاشك فيه وجود ما يمكن أن نسميه الجنس الآرى القديم وأن موطنه الأصلى قد أمكن تحديده بالبرهان القاطع . وذهب هؤلاء يجهدون أنفسهم فى البحث وذكروا شيئاً كثيراً عما سموه نظمهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بل عمد بعضهم بعد ذلك الى ذكر مميزاتهم الجنسية حتى اخلاقهم وميولهم وعلومهم تناولتها أقلام الكتاب مع أنه يوجد الكثيرون ممن يؤكدون أن ما يسمى بالجنس الآرى لم يكن له وجود على الاطلاق ومن هؤلاء بريل Bréal الذى درس الأفستا ولم يجد فيها ما يمكن اتخاذه دليلا جغرافياً أو تاريخياً على وجود جنس خاص للآريين القدماء[٢٨] . كذلك اجتمعت كلمة رود Rhode وهوج Haug على نتيجة لا تختلف كثيراً عن نظرية بريل . أما ريلى Riply فقام من جانبه بتوجيه الأنظار الى خطأ الخلط بين المسائل اللغوية البحته وبين الدراسات الجنسية وأوضح أوجه الخطأ فى آراء مختلف العلماء الذين أخذوا يذيعون على الناس آراءهم عن مميزات الآريين القدماء من الناحية الجنسية

أما هكسلى ويوشا فكانا يريان أن الآريين القدماء كانوا طويلى القامة شقر البشرة ذوى رءوس مستطيلة وأجسام نامية صحيحة وكان تيلور I. Taylor يفرض ان الآريين القدماء لا يختلفون عن الكلت وأنهم من ذوى الرءوس المستطيلة

وأن أجسامهم كانت نامية عظيمة وكان بكتيه يعتقد أن الآريين كانوا جنساً نشيطا قوياً يعنى بامور الزراعة والرعى على حين أن شرادر كان يتصور أنهم كانوا قوماً متأخرين جهلاء وأنهم لم يعرفوا من المعادن واستعمالها سوى القليل ويظن أن أقصى ما عرفوه هو النحاس

أما كترفاج Quatrefage فكان يقسم الآريين قسمين :—

(١) ذوى الرءوس المستطيلة (٢) ذوى الرءوس المستديره

وكان تيلر Tylor وتيلر Taylor وكوبن Koeppen يعتقدون أن الآريين وجنس الفن Finn من أصل واحد على حين أن كريمر Kremer وهمل Hommel وغيرهما يفرضون أن الآريين القدماء نشئوا فى اقليم الجزيرة أو ما جاوره وظن البعض أنهم نشئوا فى اقليم سيجون وجيحون وأنهم كانوا يعيشون جنباً الى جنب مع الأجناس السامية ولذلك لم يكونوا يختلفون عن الساميين فى مميزاتهم الجنسية الا قليلا

وقد وصف جوبنو Gobineau وأنصاره الآريين بأنهم كانوا طوال القامة شقر البشرة مستطيلى الرءوس بعكس سرجى Sergi الذى يعتقد بأنهم كانوا قصار القامة سمر البشرة

أما اجفلفى فبعد رجوعه من رحلاته المتعددة الى الجهات التى كان يظن أنها تحتوى على أنقى العناصر التى تمثل الآريين القدماء أخذ يدعو الى أنه يوجد بين الآريين الأشقر والأسمر والطويل والقصير ومستدير الرأس ومستطيلها وذكر فى النهاية أنه يصعب على الباحث أن يحدد بالضبط أى هذه المظاهر منفردة أو مجتمعة يمثل مميزات الآريين القدماء . هذا وقد ذهب البعض الى قول إن الآريين القدماء يرجعون أصلا الى الجنس السامى وكان شك Scheck يرى أن الحضارات الآرية مأخوذة أو منقولة عن الفن Finn والتتار ويظن كوفمن Kauffmann

أن الآريين هم الذين قاموا بحضارات أوربا فى كل من العصر الحجرى القديم والعصر الحجرى الحديث

وتتلخص آراء فايست Feist فيما يتعلق بالمميزات الجنسية فى قوله « إذا سلمنا بأن هذه الشعوب الهندية الأوربية جاءت من موطن أصلى فى الشمال ولا بد من ترك تحديد هذا الموطن بالضبط أمكننا أيضاً أن نفرض أنهم كانوا شقر البشرة وأن هذه الشقرة ما زالت موجودة عند ممثلى هذا الجنس الذين يوجدون فى الأقاليم الجنوبيةمثل الأستيز Ossetes فى بلاد القوقاز وعند أكراد هضاب أرمينيا وايران وعند جماعات التاجيك Tajik الذين يسكنون هضاب البامير الغربية وختم كلامه بالقول . « إنه لا يمكن اخراج ذوى الرءوس المستديرة من عداد الآريين القدماء لأن الآرى الأصلى فى نظره لم يكن مطلقاً جنساً نقياً ولكنه كان عبارة عن مجموعة أجناس مختلطة » . وقد وافق دى ميشيلس De Michelis على رأى فايست لأنه كان يرى أن الآريين كانوا عبارة عن أجناس متعددة مختلطة وأن حالتهم فى عصور ما قبل التاريخ من ناحية الترتيب الجنسى ما كانت تختلف عن حالة الشخص الانجليزى أو الفرنسى فى الوقت الحاضر أى أنهم كانوا يمثلون خليطاً من أجناس مختلفة ومتميزة [٢٩]

وإذا ما يممنا شطر ناحية أخرى من نواحى البحث المتعلق بأثر الآريين وهجراتهم ونتائج ذلك فى حضارات الشعوب الأوربية المختلفة وجدنا أنفسنا أمام تضارب واضح فى الآراء فهناك من يعتقد أن اللغات الآرية والحضارات الآرية كان يجىء بها أقوام طوال القامة شقر البشرة مستديرو الرءوس وهناك مدرسة غالية Gallic تؤكد أن الجنس الألبى أو الكلتى Celt هو صاحب الفضل لأنه الممثل الحقيقى للآريين القدماء [٣٠] وممن أيدوا هذا الرأى هكسلى Huxley الذى قال أن الكلت هم أنقى وأصلح الممثلين للآرى الأصلى القديم وأن الأجناس الأخرى لا ترجع أصلا الى الجنس الآرى وانما صبغت بعد ذلك بالصبغة الآرية

فى العصور المتأخرة. ولكن يظهر أن هذه المدرسة الغالية قد فقدت الكثير من أنصارها وأخذت تختفى بالتدريج لأن أنصار المدرسة الأولى تضاعف عددهم ورجحت كفتهم وقد استمدوا براهينهم من مختلف العلوم فذكروا مثلا أنه ورد فى كتب الشرق المقدسة «أن خيار الناس كانوا شقر البشرة وهكذا كان الآريون فى نظرهم وانضم اليهم ولسر Wilser ولاپوج Lapouje وغيرهم ممن كانوا يعتقدون أن الآريين كانوا شقر البشرة طوال القامة مستطيلى الرءوس وجذبوا بعد ذلك الى صفوفهم عدداً من اللغويين المشهورين أمثال سايس وريس وشافهوزن Schaffhausen وغيرهم ممن اعتمد عليهم بنكا فى أبحاثه ونظرياته. ولم يذهب كين Keane الى أبعد من القول بأنه يرجح أن الاريين كانوا شقر البشرة أما ريناخ Reinach فردد ما سبق أن صرح به فرشو من أن ما يسمى بالجنس الآرى حديث خرافة وأن هذا القول مجرد وهم سرى على العقول حتى جعلها تتصور جنساً لم يكن له وجود على الأطلاق. ومع كل ذلك ظل أنصار الجنس الآرى يرددون آراءهم حتى فى أوائل هذا القرن فمثلا كتب ميير Meyer فى سنة ١٩٠٩ يقول «إن تطور الأجناس الارية ولغاتها وحضارتها لا بد قد استغرق زمناً طويلا وأنه حين الكلام على وقت تشعبهم وتفرقهم وهجراتهم من الموطن الأصلى يجب أن نرجع كثيراً الى الوراء حتى العصور القديمة البعيدة» ويرجح ميير أن ظهور الأجناس الارية الأولى كان فى أواخر العصر الحجرى القديم وفى الوقت الذى بدأ فيه الأنسان استخدام النحاس فى أغراضه المختلفة وأن خروج الهجرات الآرية الرئيسية بدأ فى أواسط الألف الثالث قبل الميلاد واستمرت هذه الهجرات الواحدة تلو الأخرى حتى أواسط الألف الثانى قبل الميلاد وما كاد يبدأ الألف الأول قبل الميلاد حتى كانت هناك أقاليم تسكنها شعوب آرية تتكلم لغاتها الآرية ولو أنها متباعدة بعضها عن بعض ومستقلة ومتميزة أيضاً واستمرت

هذه الهجرات حتى انتشر الاريون فى الأقاليم التى تركوا آثارهم فيها أو التى ظلوا يسكنونها حتى الوقت الحاضر .(٣١)

أما جيلز Giles فلم يحدد موقفه بالنسبة لمميزات الاريين من الناحية الجنسية واكتفى بأن فرض «أن الأقليم السهلى المتسع الذى يمتد فى أوربا شمال جبال الألب وامتدادها فى الكربات وفى آسيا شمال جبال هندوكوش والذى يمتاز بقلة الحواجز الجغرافية الطبيعية التى تمنع أو تفصل أجزاءه بعضها عن بعض الامر الذى يشجع على انتقال الشعوب من أقليم الى آخر بدون كبير صعوبة كان الموطن الذى ظهرت فيه هذه الشعوب الآرية وكونت فيه لنفسها لغاتها الخاصة بها»(٣٢)

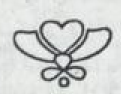
— (٥) —

ويلوح من بحث آراء علماء الأجناس أنهم لم يتفقوا فيما بينهم بل أن هذه الآراء وهذه الأوصاف تكاد تكون متعارضة وليس من السهل قبول هذه الآراء أو رفضها لكثرة ما بذله كل فريق للتدليل على صحة رأيه ونقض رأى غيره ويجد الأنسان نفسه أمام مشكلة معقدة خلقها هؤلاء العلماء خلقاً صناعياً بحتاً لأنه فى الحقيقة ليس هناك ما يثبت وجود ما يمكن تسميته بالجنس الآرى واذا كان الأمر كذلك أصبحت هذه الأوصاف وهذه المميزات لا تختلف عن بعضها من حيث قيمتها لأن أساسها لم يثبت بعد ولم يسلم الجميع بوجوده . ويمكن القول إن خطأ واضحاً قد وقع فيه هؤلاء الذين صرفوا جهودهم فى البحث عن مميزات الجنس الأصلى الذى أخذت عنه الشعوب الارية وكل ما هناك وكل ما يمكن أن نسلم بصحته هو وجود مجموعة من اللغات الآرية ولكن ذلك يجب ألا يعنى أنه كان هناك جنس آرى حتى نأخذ فى البحث عن أوصافه ومميزاته. وسبب هذا الخطا واضح ظاهر لأنه بنى على افتراض تعدد اللغات قاعدة لتعدد الأجناس وقد أثبتت الأبحاث بما لا يقبل الشك فساد هذا الرأى ولنضرب مثلا انتشار اللغة اللاتينية

فى بلاد الغال ومع ذلك لم يصبح جميع أهل بلاد الغال رومانيين من الناحية الجنسية وهناك أمثلة يتعذر إيرادها هنا تثبت وجود شعوب اتخذت لنفسها لغات جديدة إما طوعاً أو كرهاً بدون أن يطرأ على تركيبها الجنسى أى تغيير يذكر.

لهذا كله يجدر بنا أن نقصر لفظة آرى للدلالة فقط على العلاقة التى تربط فروع هذه المجموعة اللغوية بعضها ببعض وأن استعمالها فى المسائل الجنسية كان خطأ شائعاً ويجب وضع حد له وهل يسوغ بعد ذلك أن نظل نذكر الجنس الآرى أو الموطن الأصلى الآرى مع أن العالم لم يشهد مطلقاً ظهور مثل هذا الجنس

ويرى جنثر Günther [٣٣] أن خير وسيلة للخروج من هذا المأزق هو « أن نهمل هذا اللفظ حتى يختفى تماماً من الأوساط العلمية التى تخرج عن نطاق البحث اللغوى الصرف » ويتساءل هرتمن Hartmann [٣٤] بنوع من الدهشة المشفوعة بالسخرية حين يشدد النكير على استعمال هذا اللفظ فيقول « هل يظل الباحثون فى خطئهم وظلامهم يتحدثون عن الجنس الآرى والموطن الآرى وكلاهما وليد اختراع وهمى لا يقوم على أساس ».



المراجع

(١) (a) Jean Finot "Race prejudice" London 1906 p.p. 229.230.
(b) Riply "Races of Europe" 1900 p.p. 453-454.
(c) G. Taylor Environment and Race "Oxford University Press 1927 p.p. 161-163+183.

(٢) Max Müller "Lectures on the science of languages" London 1861.

(٣) Ibid p.p. 211-212.

(٤) Max Müller "Survey of languages" p.p. 28-30.

(٥) (a) Broca "La Linguistique et l'anthropologie" Paris p.p. 258-260.
(b) Riply "Races of Europe" p.p. 16-18+453-454.

(٦) (a) Rawlinson "Origin of nations" p.p. 175.177.
(b) G. Taylor "Indo Aryan Races" London 1916.

(٧) (a) Topinard "L'anthropologie" p.p. 444-446.
(b) J. Finot "Race prejudice" London 1906 p. 224.

(٨) Gill "Antiquity of Hebrew" p.p. 43-44.

(٩) (a) Kennedy "Researches into the origin and affinity of the principal language of Europe and Asia.
(b) Cook "Origins of religion and language" p.p. 313-315.

(١٠) Mommsen "Romische Geschichte" vol. I p. 30.

(١١) Hales paper read before the Anthropological Section of the American Association for the advancement of science 1888.

(١٢) I. Taylor "Contemporary Science" Edited by H. Ellis "The Aryans" p.p. 9-10.

(١٣) Grimm "Deutsche Sprache" pp. 6+162.

(١٤) M. Müller "History of Ancient Sanscrit literature" 1859.

(١٥) Whitney "Oriental and linguistic Studies" p.p. 94-96.

(١٦) Pictet "Les origines Indo-Européennes ou les Aryens Primitifs" vol. I.

(١٧) Sayce "Principles of Philology" 1814. p.p. 99-102.

(١٨) Sayce "Science of languages" vol. II. p. 123.

(١٩) Keane "Man past and present." 1920. p. 503.

(٢٠) Ibid. p.p. 503-504.

(٢١) I. Taylor in "Contemporary Science" etc. p.p. 20-23.

(٢٢) J. Finot "Race prejudice" 1906. p. 224.

(٢٣) I. Taylor in Contemporary Series, etc. p.p. 29-30.

(٢٤) (a) Keane "Man, past and present" 1920. p. 503.
(b) J. Finot "Race prejudice p.p. 224-225.
(c) Penka: "Origines Ariaca" Wien 1883 & "Die Herkunft der Arier" Wien 1886.
(d) Schrader "Sprach vergleichung und Urgeschichte" Jena 1883.

(٢٥) J. Finot "Race prejudice" 1906. p.p. 224-225.

(٢٦) Ibid. p. 223.

(٢٧) Full discussion in:
(a) Bergaigne "La religion Vedique." Paris.
(b) R. Chanda "Indo Aryan Races". London Part. I.

(٢٨) After J. Finot "Race prejudice" p. 225.

(٢٩) (a) Retzuis "The so-called North European Race of Mankind" J. R. Anth. Inst. vol. 39. 1909. p. 304.
(b) Burkitt 'Our forerunners" p. 143.

(٣٠) (a) Keane "Man, past and present" 1920 p.p. 503-504.
(b) Riply "Races of Europe" 1900. p. 456.

(٣١) (a) Rostotzoff "History of Ancient World" Oxford 1931. p. 39.
(b) Schneider "A history of world Civilisation." p. 33.

(٣٢) Giles in Encyc. Britt. 1911. "The Indo Europeans."

(٣٣) Hans Günther "Racial Elements of European History". London. p. 257.

(٣٤) After J. Finot "Race prejudice." 1906. p. 221.

حفاير عصر ما قبل التاريخ فى المعادى

الموسم الرابع (١٩٣٤)

مصطفى عامر

بدأ الموسم الرابع لحفاير عصر ما قبل التاريخ فى المعادى تحت اشراف الاستاذ مصطفى عامر فى ٢٧ يناير وانتهى فى ١٦ ابريل سنة ١٩٣٤ . وقد تم حفر منطقة واسعة تزيد مساحتها على ٤٠٠٠ متر مربعاً كما عملت مجسات عديدة فى المنطقة الصحراوية المجاورة لمكان الحفر . وقد تبين من البحث أن الآثار التى تمثل حضارة المعادى تمتد شمالا الى مسافة ابعد مما كنا نظن فى اول الأمر . وقد اصبحنا نعتقد الآن أن تلك الآثار انما هى لمدينة كبيرة وليست لقرية صغيرة . واذا كان ما تم حفره الآن يزيد على ثلاثة افدنة ونصف فدان ، فلا تزال هناك منطقة كبيرة اعظم اتساعا من هذه ، لابد من فحصها والتنقيب فيها فى المواسم المقبلة

وقد وجهنا نشاطنا فى هذا الموسم الى المنطقة الغربية التى خربها السباخون فى الماضى والتى لم تنل من عنايتنا فى المواسم السابقة الا القليل . وجاء اختبارنا لهذا المكان موفقاً كل التوفيق اذ استطعنا أن نحصل على معلومات كثيرة ذات اهمية لا تقدر .

فقد عثرنا على عدد من القدور الكبيرة المعدة للخزن ووجدنا فيها بعض الحبوب والمواد الغذائية الأخرى وعدداً من الآنية الحجرية والخزفية . وشاهدنا فى القسم الجنوبى من المنطقة مخازن كبيرة يزيد عمقها فى بعض الحالات على مترين ، وهى محفورة فى التربة الرملية الجافة . وقد كسيت جدران احداها بنوع من السلة يمنع عنها الرطوبة . وفى القسم الشمالى وجدنا عدداً من المواقد الكبيرة يدل حجمها وازدحامها فى تلك الجهة على أنها كانت مواقد عامة ولم تكن خاصة بمساكن معينة .

وقد وجدنا عدداً كبيراً من هياكل عظمية لاطفال ولدوا امواتاً قبل تمام تكوينهم وقد دفن بعضهم فى قدور والبعض الآخر فى التراب . على أن اهم استكشاف للبعثة فى هذا الموسم هو العثور على قبر كالقبور المعروفة فى مصر فى عصر ما قبل التاريخ . وهذا القبر هو اول قبر من نوعه فى المعادى ومن هنا كانت اهميته ، التى ترجع كذلك الى وجوده ضمن المنطقة المعدة للسكنى . وقد كان استكشافه فى آخر الموسم وقرب انتهاء العمل ، ولهذا كان املنا كبيراً فى أن نتمكن فى الشتاء القادم من العثور على مقابر اخرى مثله . والهيكل العظمى فى تلك المقبرة هو لأنثى بالغة ، دفنت فى حفرة بيضية الشكل ، وهى منثنية كما كانت العادة فى تلك العصور ، يتجه رأسها نحو الجنوب ووجهها نحو الغرب . ومع العظام البالية ، وجدا أناءان من الفخار المعروف فى المعادى وقطعة من لوح من الحجر الجيرى واشياء اخرى اقل من تلك اهمية ، وقد وضع فوق الهيكل العظمى قطعة من فضة كبيرة كغطاء له . ولهذا الاستكشاف اهمية خاصة على الرغم من أن المقبرة هى الوحيدة من نوعها للآن . فمن الناحيه الانثربولوجية وجد أن الجمجمة اكبر حجما واكثر امتلاء من الجماجم المعروفة فى الصعيد والتى ينتمى اصحابها للعصر السابق للأسرات . وهى من اجل هذا كانت اكثر اتصالا بالجماجم البشرية التى نعرفها فى مرمدة بنى سلامة فى غرب الدلتا ، والتى دل فحصها على أن الدلتا فى عصر ما قبل التاريخ كان يسكنها فى الغالب عناصر جنسية تختلف نوعا ما عن الأجناس الأولى المعروفة فى الصعيد .

وقد جمعنا من آلات الصوان فى هذا الموسم ما لا حصر له ، ومن بينها مجموعة من المدى والمكاشط جميلة الشكل متقنة الصنع . كما عثرنا على بضع آلات مشغولة السطحين بينها عدد من نصال السهام . ومن الاشياء التى تستحق الذكر العثور على فأس من حجر اسود وعلى فأس اخرى من النحاس ؛ وكلاهما من الاشياء الجديدة التى لم نعثر عليها من قبل . ولقد كان اعتقادنا

منذ اول موسم حضرنا فيه ان سكان المعادى الاقدمين كانوا يعرفون وكانوا يستخدمون الفؤوس النحاسية ، ولكننا لم نكن نملك الدليل المادى على ذلك حتى كان العثور على تلك الفأس أخيراً . وهناك بجانب الآلات التى ذكرناها عدد من الآلات المصنوعة من العظام ومن الصخر البللورى الطبيعى ، والأخيرة فى العادة على شيء كبير من الجمال .

وأما الأدوات الحجرية فتشمل عدداً كبيراً من آنية من الحجر الجيرى من بينها إناء له مقابض صغيرة ، ثم ثلاثة آنية جميلة من حجر البازلت الأسود وكأس دقيقة الصنع من نفس هذا الصخر . وقد عثرنا كذلك على هاون حجرى كبير الحجم وعلى بعض الأرحاء التى تستخدم فى طحن الغلال . وهناك من الألواح المصنوعة من الحجر الجيرى مجموعة كاملة ، لا تزال الألوان الأصلية ، ما بين الخضراء والحمراء والسوداء ، عالقة بسطوحها الملساء الى وقتنا هذا . ولدينا كذلك قطع من ألواح مصنوعة من الاردواز وهى شبيهة بالألواح المعروفة فى الصعيد .

والآنية الخزفية كثيرة العدد ، فقد جمعنا منها مائة إناء وعشرة ، كلها كاملة وتمثل أنواعاً مختلفة . هذا فضلا عن القدور الكبيرة المستعملة للخزن . ومن تلك الآنية الخزفية عدد يميل لونه الى البياض ولمعظمه مقابض ، وهو نوع على ما نعتقد من أصل غير مصرى . وأما الآنية المزدانة بالألوان فلم نعثر منها إلا على قطع صغيرة ، غير أن المجموعة التى لدينا تزداد من موسم الى آخر ، واليها تضاف باستمرار قطع تمثل أنواع جديدة . ومن بين ما عثرنا عليه هذا العام منها قطعتان تستحقان الذكر : إحداهما جزء من إناء مستطيل مزدان سطحه بألوان حمراء على طلاء رمادى يميل الى الاصفرار ، والقطعة الثانية هى لاناء من النوع الأحمر المعروف بقاعدته المستديرة وقد نقش سطحه بنقش أسود .

أما أدوات الزينة فتشمل مقداراً من الخرز المختلفة اللون والحجم ، وقلائد من الحجر الجيرى ومجموعة من الأصداف البحرية .

وإنه ليتبين مما تقدم أننا قد عثرنا حقيقة فى هذا الموسم على أشياء كثيرة جديدة فى نوعها ، ولبعضها قيمة علمية كبيرة . ولقد زاد ما لمنطقة المعادى من شأن بعد الاستكشاف غير المنتظر للمقبرة التى وصفناها . على أن هناك من المسائل ما يزال فى حاجة الى الدرس ، وكل رجائنا أن تساعدنا أعمال الحفر فى المستقبل على اجلاء ما غمض منها .



UNIVERSITY OF EGYPT

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS

VOL. II. PART 2.

DECEMBER 1934

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year,
in May and December. Price per copy 10 P.T. post free.
All communications are to be addressed
to the Hon. Sec. of the Editorial Board, Mr. Shafik Ghorbal,
Faculty, of Arts, Giza, Egypt.

TABLE OF CONTENTS:

The European Section:

Page

PAPERS CONTRIBUTED:

NOTES:

The Arabic Section:

ON EGYPT

A Discourse by P. AELIUS ARISTIDES of Smyrna

Translated by W. G. WADDELL.

INTRODUCTION

This pseudo-scientific disquisition on the Nile is the last treatment in antiquity of a subject of which Herodotus gives the earliest extant discussion in Book II. of his History. Many writers between these two had dealt with the perpetual marvel of the Nile, and Aristides doubtless borrowed most of his material from predecessors, adding some details from his personal knowledge of Egypt. The writings of Aristides have suffered neglect; they are so little regarded nowadays that the author of a recent book on Aristides begins by apologising for having devoted so lengthy a study to him. There is no modern translation of the works of Aristides; but a Latin version was made by Norrmann in 1688, and was added by Samuel Jebb to his edition of 1722-30. The following attempt to render this rather difficult text in English has been purposely made as literal as is compatible with English idiom; but sometimes only a paraphrase will express the meaning of the original.

***

Publius Aelius Aristides of Smyrna was born in 117 A.D., not at Smyrna, but at Hadrianutherae in Mysia: his father Eudaemon, a priest of Zeus, was originally of Smyrna, and Aristides himself resided for many years there in order to have the benefit of its medicinal baths. Although he had poor health from his boyhood, he was an apt and zealous student of rhetoric under the famous Herodes Atticus and other masters; and he gained world-wide renown as an orator. His travels embraced Rhodes, Egypt, Greece, and Italy; and but for his illness, they would have been still more extensive (§ 91). His malady, a palsy of the muscles, was a protracted one: it lasted 13 years. His six *Sacred Discourses* — one of the curiosities of ancient literature —

form a kind of diary of his illness and his recovery, and show especially how he travelled about in search of a cure, making incubation in such temples as the Asclepieum of Pergamum. Sophistic and religion were very closely associated in the 2nd century, but it seems strange to read of the orator's interviews with Asclepius and the god's eulogies of his oratory. Aristides spoke glowingly of the peace and security of the Roman Empire in his time (cf. § 91) : in 160 A.D. he wrote a Panegyric of Rome, — now perhaps the most frequently quoted part of his writings. When Marcus Aurelius visited Smyrna in 176, he summoned to his presence Aristides, now celebrated as an orator and philosopher. Two years later, when Smyrna was devastated by an earthquake, Aristides sent such a moving lament to the Emperor that, as Philostratus tells us, he repeatedly sighed and even wept, finally granting the restoration of the city in accordance with the suggestions of Aristides. In their gratitude the people of Smyrna bestowed upon Aristides the title of "Founder of Smyrna," and erected a bronze statue in his honour. Refusing all other rewards, Aristides became priest of Asclepius, an office which he held until his death (in 187 A.D. at the latest).

This brief account of the life of Aristides illustrates the orator's importance in his time: he was the Emperor's friend, honoured by Smyrna, the place of his adoption. In the eyes of the sophists of a later age Aristides was the ideal sophist: to be compared to "the divine Aristides" was the highest possible praise. We possess 53 discourses of Aristides, two of them being incomplete. The subjects are various — Hymns to Zeus, Serapis, and other deities; panegyrics on Rome, Smyrna, Cyzicus; Platonic Discourses; treatises on rhetorical and other subjects. Without by any means neglecting style, Aristides assigned more importance to thought than did the other rhetoricians of the 2nd. century, who aimed at a momentary impression attained by extempore speeches in a flashy style. To us his speeches suggest that he liked to hear himself talk, whether he had good matter or not. Indeed, the casual reader in these modern times is inclined to lay aside the work of Aristides as "long-winded oratory" — nothing but "Words, words, words," which often conceal a plentiful lack of knowledge; yet one may note that as a rule the words are well-chosen, the phrases often neatly-turned. Aristides is one of the most Attic of the writers of his time, — in fact, his devotion to Atticism rather than Asianism damaged his popularity; *

---

* The following distich by an unknown author refers, not to our

and he is sincere in his belief in the pre-eminent dignity and universal value of the art of oratory. Manifestly his work is woefully barren of ideas, but it is none the less valuable for the light it sheds upon his time and the society in which he lived.

The discourse *On Egypt* stands quite apart from the others: it is the only attempt on th part of Aristides to enter the domain of the natural sciences. Education at that time was founded on rhetoric; and since Aristides was himself without training in scientific thought, he must have relied mainly upon previous writings on the subject. He tells us (§ 57) that it was Herodotus who first inspired him with his love of Egypt. Thus he was prepared to be an enthusiastic and conscientious tourist when he travelled south about the middle of the 2nd. century. A visit to Egypt, the classic land of marvels, with its pyramids, Labyrinth, temples, vocal statue of Memnon, etc., was at that time fashionable, just as it is to-day. Alexandria was still, next to Rome, the greatest and most famous city in the world: it was renowned both for its opulence and for its literary achievements; and it was naturally proud, not only of its Museum, its Library, and its groups of scholars, but also of the splendour of its ancient monuments and of its harbour where ships of all nations traded. Alexandria had thus many attractions, especially for a lover of letters and of antiquity; and among other motives which may have combined to induce Aristides to visit Egypt, M. Boulanger has suggested that, as Egypt then exerted an irresistible attraction upon minds inclined to mysticism, Aristides may have gone there to seek a kind of religious initiation. So, in his life of Apollonius of Tyana (V. 24) Philostratus says that, as the people of Upper Egypt are intensely religious, they and the Alexandrines prayed Apollonius to visit their several societies. A year after his visit, Aristides eulogised Alexandria as "the great and noble city of Alexander in Egypt, embellishment of the Roman Empire, like a rich lady's necklace or bracelet among many other treasures" (*Or.* XXVI. 95). The *Panegyric on Rome* in which Aristides spoke thus of Alexandria, contains other allusions to Egypt and Egyptian traditions, thus giving evidence of the vividness of the

---

Aristides, but to a later rhetorician of the same name: "All hail, seven pupils of Aristides the rhetorician! — four walls and three benches." It is known, however, that Aristides of Smyrna was unpopular as a teacher of rhetoric; and it was because the couplet had become so commonly associated with him that a denial was felt to be necessary.

impressions made by his sojourn in the Nile valley. * During his 13-years illness he dreamed of Egypt (*Or.* XLIX. 3,4) : after sailing alone on a raft, he landed on Egyptian soil, and visited the schools of Alexandria to hear the boys reciting and singing some significant verses of his own.

In the course of his Egyptian tour Aristides would doubtless be resident in Alexandria for most of the time, and we may assume that he gave the Alexandrines opportunities to admire his oratorical skill. None of his extant speeches, however, can be positively dated to the period of his sojourn in Egypt, perhaps about 142 A.D. ; and the discourse *On Egypt* was not written until considerably later, at a date not now to be determined. The references in §§ 82, 88 to the Dead Sea support the assumption that Aristides visited Palestine and Syria : it has been suggested that, in returning from Egypt to Smyrna, he went to see the Lake of Asphalt or Dead Sea, making inquiries of the natives near by.

During his sojourn in Egypt which may have lasted about two years, Aristides had every opportunity to make thorough researches. He went up the Nile four times, he tells us, leaving nothing unexamined, and ascending as far as Philae which lay in the ancient Ethiopia. He was no idle tourist, but took many notes, either registering the dimensions of monuments if he found them recorded, or in default of these, taking exact measurements for himself. Before he wrote his account, however, these notes had been lost, as he is careful to explain : perhaps this is merely an excuse — one of the type which he uses elsewhere (e.g. § 91 but for illness he would have sailed to Cadiz and beyond, § 54 but for the danger of the attempt he would have tried to sound the depth of the Nile at the First Cataract).

In his friendly criticism of Herodotus Aristides points out the excessive credulity of the Father of History ; but he himself accepted

---

* Aristides seems to be the only writer who preserves from some unknown authority the following anecdote about the spoliation of Egypt under Cambyses. When the Persian king was plundering the resources of Egypt and pillaging her temples, a certain Egyptian, standing on the walls of Thebes, held out a clod of earth and a cup of Nile water, symbolising the fact that, so long as Cambyses could not transport or lay ravening hands upon Egypt herself and the River Nile, he had not taken the wealth of the Egyptians : while the soil of Egypt and the water of Nile remained, the same store of possessions would speedily be theirs again, and wealth would never fail Egypt (*Or.* XXVI. 86).

from the priests at least one tall story which he casually mentions as a matter of fact (§ 122), that the pyramids have their counterpart beneath the earth, stretching as far down as their summits rise into the air. In addition to recollections of his own travel and some observations which are perhaps original, his treatise contains a rather confused medley of geographical and meteorological information and some miscellaneous matter which is not always exactly stated. It must be suspected that his opinions are almost all borrowed from a treatise which is now no longer extant, except in extracts preserved in several places. In dealing with the Nile Herodotus had discussed theories put forward by such writers as Thales, Euthymenes, and Anaxagoras; and more than a century later, Aristotle had written more scientifically on this fascinating subject. His treatise laid the foundation of serious study of the Nile rising; and his example led the way for others, cf. the fragment of Anonymus de Nilo (preserved by Athenaeus, Dindorf Vol. I. pp. 163-167). Wilamowitz points out that Lucan in his epic poem, *Pharsalia*, uses the same learned material, which he doubtless borrowed chiefly from his uncle Seneca (see the footnotes appended to the present translation).

The discourse *On Egypt* is addressed to one person, — a friend whose name is not preserved —; but like the other works of Aristides, it takes the form of a public speech, using such rhetorical devices as apostrophe (e.g. of Euripides, Herodotus, Ephorus, Euthymenes), interjections, and numerous lively particles. Aristides discusses in detail the theories of Thales, Anaxagoras (as expressed by Euripides and Aeschylus), Herodotus, Ephorus, Euthymenes of Marseilles, Diogenes of Apollonia, Homer, and probably others. Aristides himself has no positive theory to put forward, and after carefully discarding all natural explanations of the Nile rising, particularly those which assigned it to rainfall and melted snow, he resorts to the supranatural, the divine act of Serapis, attributing the phenomenon to the great wisdom and solicitude of that deity. The Nile is the deputy or vice-gerent of Serapis upon earth. As Aristides himself says in criticising the account given by Herodotus, "on these topics the truth has not yet been told;" and the orator of Smyrna makes no contribution of his own towards solving the problem. It is typical of his art that in speaking of the river Nile, he likens the flow of his argument to a river (§ 124). If we find this reliance upon divinity a disappointing conclusion to what might have been a really scientific discussion of an interesting subject, let us bear in mind that Aristides himself describes his speech as "a casual or incidental address, merely

obiter dicta, pronounced without forethought, quite extempore." One may make excuse for Aristides that he was, at least on one occasion, suffering from ill health (§ 49) ; but that does not explain the complete absence of all interest in the religion and wisdom of the Egyptians. However, Aristides was content to take his cheaply acquired learning, dress it up with some of the results of his own inquiries, and by the aid of his fashionable style make the whole agreeable to the pampered taste of his audience. As Wilamowitz reminds us, this was something more than was achieved by the majority of rhetoricians of his age.

At some unknown date, probably towards the end of his life, certainly much later than the visit to Egypt, the Greeks in Egypt erected a statue in honour of Aristides. M. Boulanger conjectures that this was done about the time when Smyrna dedicated a statue to him, i.e. after 178 A.D. when he had obtained from Marcus Aurelius the help of the Roman government to reconstruct the town. Only the base of the Alexandrian statue remains (Dittenberger *O.G.I.S.* II. 709) : the inscription says that it was dedicated by the inhabitants of Alexandria and Hermopolis, the council of Antinoopolis, the Greeks of the Delta and the Thebaïd.

In spite of the interest of Aristides in Egypt, and the interest with which the Egyptians of his time must have heard and read his eulogies, no papyrus has as yet been identified as containing any part of the writings of Aristides.

***

The present translation is made from the Greek text of Bruno Keil (1898) : where there is a gap in the text, the words conjecturally inserted are enclosed thus « ».

The Greek text is also printed in two earlier editions: Aelii Aristidis Opera, W. Dindorf, 1829 ; and S. Jebb, 1722-30.

BOOKS OF REFERENCE.

A. Boulanger, *Aelius Aristide et la sophistique dans la province d'Asie*, 1923.

U. Wilamowitz, *Der Rhetor Aristeides* (*Sitz.-Bericht. Preuss. Akad. d. Wiss. Phil. -hist. Kl.*, 1925. 28. pp. 333-53).

A. Bauer, *Antike Ansichten über das jährliche Steigen des Nil*, in *Histor. Untersuch. A. Schaefer gewidmet*, 1882, pp. 70-97.

J. Partsch, *Des Aristoteles Buch über das Steigen des Nil.*

H. Diels, *Seneca und Lucan*, *Abhandl. der Berl. Akad.*, 1886.

A. Wiedemann, *Herodots Zweites Buch*, 1890.

In addition to the standard works on Ancient Geography (those of Bunbury, 1883; Tozer, 1897; and Berger, 1893), two recent publications may be mentioned: Cary and Warmington, *The Ancient Explorers*, 1929; E. H. Warmington, *Greek Geography*, 1934.

ON EGYPT

(1) Lately you questioned me about the Nile, and I made answer to you briefly and superficially: moreover, my remarks were curtailed by the interruptions of others. So I wish now to take up the subject and, after enlarging upon it, to present you with the whole account as though it were a fresh topic. This account too will be given in as brief a form as possible. I went indeed as far as Ethiopia, and I explored Egypt itself four times in all. I left nothing unexamined — pyramids, labyrinth, temples, canals, and if their dimensions were already recorded in writing, I adopted those, but when such were not available, with the help of the local priests and interpreters I made exact measurements myself. These, however, I was unable to preserve for you, since the notes which I had instructed my servants to make were destroyed; but I can at least solve this one little problem, "How does the Nile rise?" and "What is the reason why it behaves in the reverse manner [1] from all other rivers in reference to the seasons of the year?" (2) You remember, then, that even on the former occasion I answered at once that probably no one can say anything certain about the Nile, but that all talk wildly, some firmly maintaining their own opinions, others who are not at all convinced themselves, making pretence of knowledge in order to show off to the public and have the reputation of knowing something about obscure subjects. Thus I shall now explain to you, not the reason why this happens, but that it does not happen because of the reasons which are assigned by all in turn.

(3) I must mention some of the theories which Herodotus opposes and refutes. In the first place, it is not the etesian winds [2] that check the current of the river and bring about the inundation. For

---

[1] Cf. Herodotus II.19.3.

[2] See Herodotus II.20 (and Wiedemann p. 102) for the etesian theory, which was due to Thales. The etesian winds blow from the N.W.

if the cause lay with the etesian winds, it is of course perfectly clear that if they did not blow, the inundation would not take place. But this is far from being the case. Next, if the etesian winds, blowing to the South, reversed the flow of the Nile, surely the winds that blow to the North must have the same effect upon the rivers in those parts, — I mean the Tanaïs, the Phasis, and all the rivers near them in order. But many south winds and those that blow northwards from Libya continue regularly both summer and winter, and none of these rivers behaves in this way, — not the notable ones, at any rate. (4) Again, if some maintain that it is the continuity of the etesian winds that drives back the Nile, I waive the argument that the winds which I mentioned persist on countless occasions for no less a period; but I emphasise the fact that the Nile rises, not when the etesian winds are in the middle of their period nor when they are nearly ceasing — to give the maximum allowance of time —, but actually when they are beginning and often before they begin. Accordingly, the continuity of the winds cannot be the cause, for the river begins to rise before they blow. (5) Moreover, even the etesian winds do not blow directly into the mouth of the Nile, but against the eastern bank. Most of them are, of course, zephyrs, [3] and these blow from the west to the rising sun. It is not possible, then, for the Nile to be driven back by the etesian winds: if by them, why, pray, are not all the other rivers which flow in the same direction as the Nile, similarly affected? (6) Besides, the etesian explanation is now altogether a matter for ridicule. For if we are to accept this account, we must at once also believe that, when east winds blow, they hold up the Eridanus (Po) and all the rivers that enter the Ionian Sea from the same direction; that, when west winds blow, the Rhine flows back without issuing forth to the outer sea; and that the same effect is produced by north winds upon rivers rising in the south, and by south winds upon those rising in the north. Thus we shall assign to all rivers everywhere as a characteristic that peculiarity of which we are seeking the reason why it can happen in the case of one river only. And is it not extraordinary, or rather wholly oblivious, to inquire why the Nile is unique among rivers, and at the same time to show that they are all affected in the same way by the same forces? Moreover, if no other river is liable to the same effects, the explanation is false: if all rivers are affected, what need

[3] Lucan (X 239 ff.) also wrongly calls the etesian winds "Zephyrs" or west winds.

to say that the Nile is unique? Either the inquiry is unnecessary, or this is not the cause. (7) It is clear, however, that the Nile is not one of the least significant rivers, nor is it so tractable compared with all others that its mouths alone are controlled and changed by the winds. For when not even the smallest rivers are completely obstructed, but maintain their outflow, surely it is not natural that the Nile, which is able to flood the whole of Egypt, should be so obstructed, being mastered by the winds. We observe that sea-beaches and all lagoons and meres are so far from being affected by strong and constant winds that they do not to all appearance * leave their place. The waves dash upon them and retire, while the lagoons remain undisturbed. Yet it is easier to turn aside what stands on a level plain than to change the course of what is flowing downhill. (8) Moreover, it must not be said that the etesian winds strike most violently upon these regions. But whether one must postulate west winds or north winds or whatever they are, they strike with greater force and vehemence, naturally, upon what is nearer and over against them. As no one of these is affected in this way, surely it is not reasonable that the Nile should be unique, for, besides being very far distant from the starting-point of the etesian winds, it is so » excessive » in its flow of water. (9) Besides, this is an utterly impudent argument. For the Nile does not refrain from issuing into the sea merely because they claim that the etesian winds are responsible; but, since anyone who goes right to the mouths of the river will everywhere see it flowing strong while the etesian winds are blowing strong, this explanation must no longer be given by those who know even a little about the Nile, for it is an absurdity for those who do not see what lies at their feet to dispute about remote questions and to decide the obvious by reference to the obscure, instead of establishing the latter by the former, whenever possible. All the river-mouths, therefore, pour forth water whether the philosophers admit it or not — and this is attested by the eye, not by hearsay —; and the water flows on thus for no short period, nor for merely as long as many other rivers, but for as long as is reasonably adequate for the greatest of rivers, and moreover for a much longer time in summer than in winter. (10) I have myself heard from a man utterly incapable of falsehood — to quote the words of Demosthenes —,[4] from my comrade Dion, a master of affairs and of oratory, that

* Keil's conj. οὐδ' ὅσον φάνει is here accepted.

[4] Demosthenes *Olynthiac* 11.17.

one summer when he was sailing to Egypt, land was not yet in sight, and was too far off even to be guessed at: however, whether in urgent need or merely from a desire to show off to the passengers, the sailors drew pure drinking-water from a great depth. So far (he said) does the Nile flow out from the land above the actual sea. Yet if the water was being checked by the etesian winds there at the river-mouth, was it reasonable that those who were speeding to land amid the etesian winds should take Nile water in mid-ocean? (11) Mcreover, whenever the land is sufficiently irrigated, the lakes are again drained off into the sea by the Egyptians. How, then, could the water flow away, if the etesian winds hindered it? For it is impossible that, on the one hand, at the mouth just where the natural flow of the river has its greatest force, it should be confined by the opppsition of the winds, while on the other hand, where the river spreads out into lakes and loiters, its outflow at time of need should nowhere be hindered by the winds.

(12) But this explanation, just as in the case of special pleas, is « trivial » and weak: it is excluded by the fact that anyone may see the river flowing and, as I say, flowing with much greater turbulence as a rule in summer than in winter. If one had to utter expressly the reverse of the truth, a better example could not be found. (13) We must now examine another writer's explanation: he says — [5] "These are the fair, virgin streams * of Nile, which, instead of the drizzling rain of Zeus, waters the level plains of Egypt when the white snow has melted." How then, O sapient Euripides, does the Nile water the plains of Egypt when the white snow has melted? Where has the snow melted? In Scythia, is it? And what has that to do with the Nile? Well, in Ethiopia, or still farther away? Why, this is more ridiculous than ever! The Nile rises, to be sure, in the hottest regions of the earth, and flowing on into regions successively cooler — « from Ethiopia ** » which is practically the hottest land we know, into Egypt which is much cooler —, there at last it becomes familiar to us. How, then, is it possible for snow to fall in a land of this nature, especially such an amount of snow as to cause the Nile to rise? For, in a place where they say it is no

---

* Or "These are the streams of Nile with their beauteous nymphs"...

[5] Euripides *Helena* 1-3. The theory that the Nile flood comes from melting snow was held by Anaxagoras, although it is older than his time: it was the accepted belief of the Greeks in the 5th century B.C. (cf. § 15).

** According to Kaibel's conjecture.

longer possible to dwell because of the heat, what sort of snow is there likely to be, from which so great a stream may arise? (14) Why, this is just as if one were to contend that the craters of Etna are an efflux from ice, or as if one should attempt to say that snow heats and fire cools. For is it not tantamount to this to assume that there is snow in the very home of heat? « This is » as if the Nile rose among the Odrysians or the Bisaltians, [6] and not from the place which we cannot even name, except that as you sail up, you come to regions ever hotter and hotter, until you cannot endure it, « and everything is so scorched that even the inhabitants are black [7] ». (15) It seems, too, that Egyptians who have not left their country neither have seen snow, nor can they learn of it from another's description — I at any rate felt as thought I were relating some absurdity or another, and could not explain it: the nature of snow had to be learned like everything else that fully needed an interpreter for those of them who spoke no Greek —; but as for the dwellers in the region of the South, do they have more snow than heat? And what could be a more tragic blunder than this, even if Euripides or Aeschylus [8] himself should vouch for it? (16) At all events, the north of Egypt itself differs from the south more, it may be said, than another land differs from Egypt itself: so much hotter is the interior. In regard, therefore, to phenomena which never occur, and have never yet been said to occur, on the borders of Egypt fronting us or in the part of the sea which touches Egypt, is it reasonable to declare that these ever occur in the region of the south? — such a mass of ice and snow that the water from its melting is more than the normal volume of the river? (17) Winds from the south, too, we know, are the hottest of all winds; and the sun itself, when in

[6] These are tribes N. of Greece — the Odrysians in the valley of the Hebrus in Thrace: the Bisaltians at the mouth of the Strymon in Macedonia.

[7] Cf. Herodotus II.22.3.

[8] Besides the passage from the opening of the *Helena* (quoted in § 13), Euripides refers to this theory in *Frag.* 228, and Aeschylus in *Frag.* 300. Aristides mentions the name of Aeschylus without quoting his lines: Anonymus de Nilo quotes all three passages. Aristides probably drew his material from such a book as Anonymus de Nilo. Cf. Seneca *Nat. Quaest.* IV.2.17: " Anaxagoras says that from the mountain-slopes of Ethiopia melted snow is continually flowing down to the Nile. All the ancients shared the same belief, which is handed down by Aeschylus, Sophocles, and Euripides." (The reference is to Sophocles *Frag.* 97). Like Aristides, Lucan (X.219 ff.) rejects this theory.

the south, scorches the interior. But when we assume that in those parts there is such an abundance of that which belongs to extreme frost and rigorous weather and to our northern climate at its wintriest, shall we not be ashamed, if we are ourselves telling the tale, to be uttering impudent falsehoods, or if we believe the tales of others, to be easily deceived? For my part, I can almost say that snow is the one thing that cannot even be imported into this country to which its nature is hostile. (18) Nay more, we are all aware that snow is earnestly sought for in summer-time; but in Alexander's great city [9] you can find everything but this. Yet this city one can most truly call, in the phrase of Euripides, [10] the fringe of Egypt. Then does that which by decree of summer cannot even be imported into Egypt, swell the Nile in summer-time to so great a volume? Least of all, as it seems to me. In answer to Euripides and Aeschylus these arguments are perhaps not only adequate, but more than adequate, for refutation is so clear and obvious, and fully reveals the impossibility * ...., just as I said above, ... of the outflow.

(19) Let us now proceed to deal with the popular opinion [11] and the clever men who invented it. They say that, when the etesian winds blow, there is rain in the interior, the clouds driven from our quarter discharge there, and the Nile, being swollen with showers of rain, is naturally greater in summer than in winter. You must therefore learn the whole process of the rising of the Nile. (20) When the time is ripe, the Nile comes down « in flood, submerging all but » the high ground. It comes down without obvious increase, so that the eye does not detect the rush of water. Beginning with a few finger's breadths, it increases to such an extent that in about four months the flood at Memphis measures the usual 14 or 15 cubits; [12]

---

[9] This is of course Alexandria, referred to in § 33 as "the city on the coast."

* The text is here corrupt : "just as I said above" appears to be a gloss, referring to § 9 : this has ousted the true reading.

[10] Euripides *Frag.* 381 (from the *Theseus*).

[11] The "popular opinion" is discussed by Strabo 17.1.5.

[12] For the height of the Nile flood, cf. §§ 65, 115 infra, and see Wiedemann p. 78 (on Herodotus II.13). Pliny (*Hist. Nat.* V. 9) gives the effects of variation in the height of the flood: "The Nile's rising is gauged by a scale of measurements in wells. The regular increase is 16 cubits : a smaller flood than this does not irrigate all the fields, an ampler one hinders work by receding too slowly. The latter wastes the time for sowing, since the soil is sodden : the former prevents sowing, as the ground is parched. The province is concerned about both extremes.

and all the while the increase is unperceived, being indicated only by the flooding of ever more and more land. (21) Why do I mention this? Because they say that, just as our rivers swell as the result of rain in winter, so does the Nile from rain in summer. If, then, this were true, in the first place the river would of necessity be seen coming down forthwith in high flood. For just as when a stream rushes down over earth or solid rock, so the water from the rain-clouds speeds on, "over-arched," [13] on the top of the original stream. Why, then, does not this same thing happen in the case of the Nile? (22) For surely, in referring to the other rivers, we ought not at one and the same time both to use and to refrain from using the same evidence in the two cases.[14] For if it had happened thus on a single occasion, discussion was possible; but if the Nile always rises in this way, what can men say? (23) The first, therefore, and most weighty proof that the flood is not due to rain is just this fact which I am mentioning, — that the river does not move furiously, nor rapidly, nor in any casual way, but, as the Egyptians say, it labours [15] like anything else, and always its toil proceeds rationally. Next, when the rains cease, the great volume of the rivers too naturally subsides before long. (24) How then, by such reasoning shall we account for

---

At 12 cubits it experiences famine, at 13 hunger is still felt: 14 cubits bring cheerfulness, 15 ease, 16 joy." The last height, 16 cubits or 24 feet, is symbolised in the statue of Nilus set up by Vespasian in the Temple of Peace at Rome (now in the Vatican) by 16 children playing around and over the River-god. Cf. Philostratus *Imagines* 5: the same symbolical representation appears in the Nilus-type on coins of Alexandria.

[13] "Over-arched" or "in a convex mass": from Homer *Odyssey* XI.244.

[14] Cf. §§ 6, 24.

[15] Spiegelberg at one time compared the Egyptian *nw*, meaning (1), as a noun, the high flood of the Nile; (2), as a verb, to till the land; but he afterwards abandoned this explanation as being too uncertain. When invited to comment upon this, Professor Battiscombe Gunn of Queen's College, Oxford, wrote as follows: "The word *nwy* means 'water', and is used in Graeco-Roman times of the inundation of the Nile. Another word with the same consonants means 'to care for, concern oneself with', 'to pasture (flocks)', etc.; and in Graeco-Roman times it means also 'to bring the inundation', with a play on the first-mentioned word. But I am most doubtful whether Aristides had this in mind: whether he knew any Egyptian or not, it seems quite unnecessary to assume any play upon words here, and the reference seems to be merely to the regular 'labour' of the Nile in its annual process of fertilisation of the land."

the fact that the Nile is self-sufficient for so long? For while comparing it with other rivers, we treat it in another way as unlike and combine two of the greatest absurdities — having assumed that it is not like the other rivers, we endeavour to prove it like them, and again while assuming its similarity, we show that it is differently affected. (25) For if its full volume were made up in three or four days, or even, it may be, in twice as many days as that, and if this time were no small part of the whole period of the rising, this would perhaps have been an ingenious discovery. But what account based on rainfall explains how the Nile, increasing day by day, attains a period of about four months? (26) Moreover, even the rivers of our lands are not in full flood continuously during the winter: when rain falls, they rush on; when it ceases, they subside. Even during winter they continue increasing and decreasing by turns in proportion to the rain-storms. Then, if the Nile also rose from rain-fall, it ought not to keep up its floodtide unceasingly, nor always to go on from its original lowest level to its maximum and highest level. until it is at the full: it should in turn have its increase and its decrease irregular and variable. Thus it would not have been the rising of the Nile, as people call it: there would have been many risings, and again fallings during every summer, as the result of the rains. (27) Further, just as in winter a river's volume is not constant, so at times in summer, after rain it increases from its existing condition. If, then, these same effects were observed in the Nile with regard to both increase and decrease, the Nile would sometimes swell in winter, just as other rivers do in summer. Thus, as these would grow greater than usual, sometimes in summer, sometimes in winter, so would the Nile, except that its increase and decrease would differ from theirs throughout each season. But no one has ever yet heard of the Nile flooding in winter, [16] whereas one may observe our rivers growing greater than usual in summer if rains prevail: hence one must, if possible, seek some other cause of the rising. The rainfall theory does not in any way meet the case. (28) Not only, then, does the Nile increase by ordered stages, but it also subsides again in order; and it resumes its original form in scarcely less time than it took to rise to its full volume. And yet rivers augmented by rainfall nowhere are affected in this way, nor does any regularity characterise either of their changes: naturally so, since neither do the rains themselves show any regularity. (29) Therefore the fact that the Nile rises once a year, while the other rivers flood always

[16] Cf. Lucan X. 229: "the Nile does not swell in winter."

at random; the fact that it does not sink until it reaches its full flood, and having reached it, it then subsides; and the subsequent tranquillity of the river, forbid the belief that the cause rests with the rains. (30) To add a further point, when one goes beyond the Cataracts, one finds sand on both banks of the Nile. On the Libyan side [17] the sandbanks are altogether desert, so that in the event of showers of rain, there would be no likelihood that streams should form, since the sand absorbs the rain. All the other vast banks of sand which we know act in this way; for there will not be enough rain on the borders of Arabia and Egypt for the sands to admit a stream of water. Indeed, the sands on the Libyan bank are steep [18] on both sides, notably on the side remote from the river. In addition, there are two peculiar features: this sand-bank is immense compared with others which we know, and the river-bed is raised so high that it would be an astonishing phenomenon, even if the river flowed over hard ground. (31) Near Meroe, too, they say that rain falls; and if this were the cause of the rising, it would not surely escape the dwellers and observers there, nor would they themselves have inquired into the origin of the flood: it would have been obvious to them that the river swelled in their own land. It does not, therefore, nor can the Ethiopians hold that it does, for they cannot even say that rain falls in their land. At any rate, I have heard both statements from them: how then does the river rise from rainfall? (32) Again, in Lower Egypt there are often violent showers: inland, indeed, drizzling rain frequently falls from time to time, but on the seaboard heavy rain is customary; and this makes not even the slightest visible difference to the Nile. Yet is it likely that, while all the rain that falls in Egypt does not affect the river, but has the same fate as that which falls into the sea, — it is lost and leaves no trace —, on the other hand, it seems, from the secret places of the earth comes the river's increase, as if the Nile were playing a subtle trick, or were afraid to be revealed as owing its increase to this cause? This is ridiculous, but such is the argument of those who ascribe the cause to rainfall. (33) I wish now to give you a brief disquisition on clouds. When I was sailing up on my second voyage to the vertex [19] of Egypt, in the nome called Hermounthi [20]

[17] In ancient geography Egypt was merely the Nile valley, girt with hills; and it separated Arabia on the E. from Libya on the W. Cf. § 60.

[18] A steep bank admitting no tributaries: cf. § 81.

[19] Here, as in §§ 46, 66, the word κορυφή "head" is used of the southern extremity of Egypt: in § 79, as in Plato *Timaeus* 21 E, Strabo

in the Thebaïd I met an exile [21] from the city on the coast, a man called Draucus; [22] for a friend and comrade of his who was sailing with us introduced him on seeing him there. When it happened that his exile was revoked and he came to the seaboard, he visited me frequently, and I was naturally on intimate terms with him. (34) Thus on one occasion, late in the afternoon, we were strolling in the great avenue [23] with its colonnades, and strong etesian winds were blowing. So we gazed at the clouds, and someone near by remarked, "These are, of course, the Nile winds;" it was in some such way he named them. My friend burst out laughing; and when

---

17.1.24, it refers to the apex of the Delta. Professor Battiscombe Gunn comments: "I can find no Egyptian analogue for the use of κορυφή with reference to the apex of the Delta. For the southernmost part of Egypt proper, from Elephantine to Abydos, the term *tp-'sm*,' 'head of Upper Egypt', is indeed common; for the northern extremity of the country, the word *phww*, 'the (hinder) end', is sometimes used."

[20] "The usual form of this name in Greek is Hermonthis, following the pronunciation of Lower Egypt: Aristides pedantically keeps to the Upper Egyptian form." (Keil, from Spiegelberg). In Egyptian *per-montew* means "house of the god Montew"; and the modern name is Armant, 12 1/2 miles S. of Luxor. In the time of Aristides Hermônthis was the capital of a province. Cf. Strabo 17.1.47. Professor B. Gunn kindly writes at my request: "There is a Latin form 'Hermunthis', which is mentioned by Brugsch, but without reference. The Coptic form is Ermont in the dialects of both Upper and Lower Egypt. For some reason not clearly understood, Greek often renders an Egyptian short ŏ by ω, perhaps with reference to the quality rather than the quantity of the vowel. The Egyptian place-name is *'Iwn-Mntw, 'iwn* (?pillar) — city of the god Montu': as was first pointed out by M. Pierre Lacau, Egyptian *nm* often becomes *rm* in late times. Previously, 'Hermônthis' had been generally considered to come from *Pr-montw* (*Permont), 'House (=Temple) of Mont(u)', with loss of the initial *p* through confusion of the latter with the masculine definite article *p*, — a phenomenon which happened in a number of cases."

[21] An exile from Alexandria: for Thebes as a place of banishment, see Wiedemann p. 49.

[22] The name Draucus is found in Papyri (P. Ryl. 11.88.3 — ii/A.D., P. Oxy. XII. 1446 Intro. p. 126): in the epigrams of Martial (e.g. 1.96.12) the word implies an evil life.

[23] This is the main longitudinal street at Alexandria, running from the Canobic Gate or Gate of the Sun on the E. to the Gate of the Moon or Gate of the Necropolis on the W. — a magnificent boulevard 100 feet broad, flanked on both sides by colonnades. The modern Rosetta Street probably represents its site, at least in part.

I asked what he meant by that, he replied, "Don't you know that I spent three consecutive years at the "crown" of Egypt?" "Yes, I know," said I, "but what of that?" "All the long time of my sojourn, although I looked everywhere, I could see no cloud [24] there in summer — nothing but the sky, settled and calm as in a picture. And yet," he added, "I believe I see everything that can be seen. Well, I never saw a cloud, and yet you imagine that clouds are driven from here to discharge in the interior and swell the Nile." (35) At the time when I heard this, I was surprised and pleased; and now remembering it, I have reported it to you so that you may know that those who use this argument and put their trust in it are far from the truth, and that you may fully understand the behaviour of the Nile, — how that it is possibly the only river which is never long the same, but continues, in its rising and its falling, to flow regularly, or, if you prefer it, irregularly, day and night, for the most part similarly to the phases of the moon. (36) For when it begins the process of rising, ever adding increase after increase, it so advances, with augment upon augment, until it has reached its maximum; then when it has gathered all its waters together, like the orb of the moon it begins to decrease, turning back again as though presenting a second phase of the opposite character. So the second follows on. Often, too, there remains as much of the former period as is just perceptible. Thus, neither during the rising is the Nile long the same — for it is always increasing, until its full height is attained —, nor again, during its falling — for it is always decreasing, until it gives over. (37) Thus, you see, the phenomenon of the Nile appears to be something divine, unparalleled by any other river or stream; and if we seek the causes of this, let us also seek to explain the phenomena which I have mentioned — how it comes that one day was ordained to exceed another by a little, until the acme of increase is reached; then the length of the day decreases until it comes to its shortest, growing first of all less than it was, next, less too than the night; then night, receiving increase in turn, goes through these same changes, advancing and retiring by addition and

---

[24] Proclus (on Plato *Timaeus* 37 D) answers this criticism of Aristides: "It is no marvel if clouds are not seen at the Cataracts, for it is not from these that the Nile flows first, but from the Mountains of the Moon (so called from their height) and the clouds which gather on them, passing by the Cataracts and being caught by the mountains which are higher."

subtraction, until, as geometricians say,[25] it returns to the same point at which it started, always undergoing the same changes as the day, but inversely. (38) Moreover, if someone holds that for the most part this is manifest, and attributes it to the sun's progress, yet he will not, on the other hand, explain the regularity of its progress, nor the fact that these phenomena have been determined thus by necessity from the beginning, — for instance, if you care to take an example, that the changes are limited to periods of three months, that the whole of that long time is assigned to night and day, and that for the Sun God,[26] towards North and South, there are fixed boundaries which he may not overpass, — of none of these phenomena, assuredly, will our friend explain the cause, except in mere pretence. (39) And yet so much at least of the analogy is profitable. We see that the movement of the sun is twofold, to speak about the whole limits from which it is possible to reckon the length and the brevity of each period of time. But when this very admission is made about the Nile, that never yet so far has its source been discovered, nor its southern boundary, what possibility is there of seeking its cause or declaring the origin of its rising? But perhaps, not in the case of this river alone, as I said, but of other phenomena also, is it hard to discover the causes. (40) Besides all these arguments, I shall now give four proofs that neither the clouds nor the etesian winds swell the Nile; and I shall thus conclude my discussion of this subject. One proof is that the river often rises before the etesians come on; the second, that sometimes it does not rise at all, even when they have come: the third and the fourth proofs follow from these two — the third that the Nile is not at its maximum at the time when the etesians attain their maximum and bring up the greatest amount of cloud; and the fourth, a corollary of the first, that the river again is not lowest at the time when the winds begin to blow lightly, although it is reasonable that all these phenomena should be other than they now are, if the etesians controlled the flood, either by confining it at the river mouth or by swelling it with rain.

(41) Not to disparage utterly the judgment of Herodotus as altogether unworthy even of refutation, let us now consider his opinion on these matters. He says,[27] if I remember aright, that the sun,

---

[25] The phrase would be used of describing a circle.

[26] Aristides says simply "the god." Cf. Heraclitus *Frag.* 29: "the Sun shall not overpass his bounds."

[27] Herodotus II.24 f.: see Wiedemann p. 109. Aristides is correct in his criticism of Herodotus. Democritus held that the sun's course was

being driven out of its course by the storms of these regions, traverses the interior of Libya, and dissolves the water; and by so doing, makes the Nile smaller in winter than it is in summer. This is not an account of how the Nile rises, but a fabrication to explain its decrease: for it is universally admitted that the river is clearest in winter, and this being so, its increase must take place in summer, when it is both bigger and more turbid than usual. So long, therefore, as one does not explain the cause of the Nile's rising, our problem still remains. For the original and normal size of the river appears to be its winter volume. (42) Apart from this, if the difference due to the progress of the sun in winter were so great as to produce summer in that part of the world when it is winter here, and again to produce winter when it is summer with us, this explanation might perhaps be accepted. But as it is, no one denies that that region is not a little hotter in winter than our part of the world. There is, however, nothing to hinder the Sun from having less strength in Egypt also in winter than it has in summer. For we shall not hold, I suppose, that the sun is strong at the North and in the northward regions, while it withdraws from Egypt and Libya: rather, it burns there even hotter than before, hottest of all, I think, in Ethiopia, next to that, naturally in Egypt, most of all in the parts farthest south, then proportionately as one comes north, since in Scythia and in Pontus there is nothing to hinder the summer from being much cooler than our summer here, although the sun is riding in the north of the whole heavens. (43) And yet, if the seasons of the year corresponded inversely in these regions, then when the sun retired southwards and produced winter there, it would be summer in Egypt while the Nile flood was in abeyance, and in like manner when the sun returned northwards, the northerly regions would have an excess of heat, which appears to be far from the reality. (44) This is only natural; for the sun moves, I believe, towards the North, but does not, however, complete its movement there. Since, therefore, it is obvious that the Nile rises in summer, it is clearly impossible that il should be evaporated in winter. For if the sun were the cause, it would still more prevent the rising in summer-time, being then at its very strongest in those parts, so that the argument is self-refuted. If the sun evaporated the water in winter, it would still less permit flooding in summer; and if it does not evaporate it in winter, then

---

affected by storms: cf. Lucretius V. 639 f., where the sun is said to be thrust away by steady currents of air.

not for this reason is the Nile bigger in summer-time. (45) To allege that the sun is driven out of its course by storms seems to me to be like saying that the Nile is evaporated by the sun. But, my excellent historian, storms do not drive the sun out of its course — for they do not rise to the sun's region: rather, the sun, by retiring in its natural orbit, causes the winds to become cooler and more violent in character, — nor does the Nile contract its waters through being evaporated by the sun, as the River Xanthus [28] was scorched by Hephaestus.

(46) However, it is probable that Herodotus, who wrote excellently and in good taste, sometimes touched the truth in his account of Egypt and the Nile, — not that he always exaggerated, for there are, you know, certain details which he omitted, and yet they are more important than those which he described. These omissions there is no urgent need for me to mention at present, but rather the cases where his description is wide of the truth. For example, he says [29] that, a four-days' journey above Heliopolis, Egypt becomes broad again; yet the country is so confined to an ever narrowing space, and so much in a corner that the Nile flows over into Egypt between the two hills which have now converged. Such are the Cataracts, the descent of the river between the hills, — the vertex, as it were, of all Egypt — that when sailing on to the harbour at Elephantine,[30] you would conjecture that the channel is obstructed. So far is Egypt from being still broad, the channel of the Nile is now so narrow that you would say that the river is flowing beneath the cliff. Even before reaching Elephantine, — I do not know how many *schoeni* [31]

---

[28] In Homer *Iliad* XXI.361 ff., where Achilles is fighting with the River Xanthus or Scamander, the Fire-god Hephaestus scorched the water of Xanthus until it bubbled.

[29] Herodotus II.8.

[30] Elephantine is "Ivory town": several reasons have been suggested for the name — (a) because the Nubians brought their elephant tusks here for tribute or barter; (b) the whole district was known in antiquity as *Yebu*, or "Elephant Land", and the name was later restricted to the island and town of Elephantine; (c) because the shape of the island itself, or of the rocks rising out of the Nile near by, somewhat resembled an elephant. Professor Battiscombe Gunn adds: "The Egyptian name (*ꜣbw yêb*) for the island and town of Elephantine may have meant either 'elephant' or 'ivory', and explanations (a) and (b) are both current to-day. The actual derivation is quite uncertain."

[31] According to Herodotus II.6.1, the *schoenos* or "rope" was a length of 60 stades or furlongs.

before that, — you may see the hills so converging that there is nothing between them but the channel itself, and there Egypt has the same breadth as the river. (47) Again, if one should try to refute the rest of his tales, how great a task that would be to accomplish! Herodotus states [32] that in regard, forsooth, to the sources of the Nile. he was told by the treasurer [33] of the temple at Saïs that there were two hills between Syene and Elephantine; that between these hills there rose the springs of the Nile; and that half the water flowed southwards towards Ethiopia, the other half towards Egypt and the North. Yet Elephantine, — and he tells [34] us that he sailed as far as this, — lies, you may say, right at the cataracts of the Nile: its distance from them is about seven stades. I myself too sailed up there and viewed the place more carefully than there was any need for, as the saying is.[35] (48) If I must follow Herodotus himself and digress for pleasure's sake, apart from any necessity, by expanding the account beyond the subject in hand, my experience was as follows. When I approached the Tombs [36] where the Ethiopians have their garrison, I withdrew to some distance from the river-bank;[37] and after coming over to the harbour which is the first above the Cataracts, I went across to Philae. This is an island on the confines of Egypt and Ethiopia, of the same size as the town upon it. The Nile flows around it,leaving the island exactly in the middle. In returning, I went back by the same route from Philae, and I expected now at least to see the Cataracts. When I inquired of those who were taking me, they professed ignorance. (49) So, when I came again to Syene, which is divided from Elephantine by the Nile, although I was ill [38] and in low spirits, I begged the commandant [39] to send me back, giving me a light boat, for the purpose of viewing the Cataracts, and to send with me also men who would oblige the dwellers on the

---

[32] Herodotus II.28.1 : see Strabo's criticism (17.1.52), and the Commentary of How and Wells on Hdt. II.28.1.

[33] The scribe, clerk, or recorder of the treasures in the temple of Athene at Saïs.

[34] Herodotus II.29.1.

[35] This proverbial saying is otherwise unknown.

[36] The Rock Tombs are on the W. bank, N. of Elephantine. Strabo 17.1.48 says that Syene is on the frontier between Ethiopia and Egypt, with three (auxiliary) cohorts as a garrison; and he describes Philae as "a common settlement of Ethiopians and Egyptians" (17.1.49).

[37] For the Desert Route see Baedeker [8] p. 389; Strabo 17.1.50.

[38] See Intro p. 121, 122 for the illness of Aristides.

[39] The commandant of the Roman garrison of three cohorts at Syene.

island [40] of the Cataracts — these are sailors familiar with the river — to display to us the Cataracts themselves and the nautical feat, [41] whatever it might be. For I was told of it by the natives. The commandant replied that it was an extremely arduous journey, and he admired my resolution, adding that he himself had not ventured so far. He did not however completely refuse my request; but after endeavouring in vain to dissuade me, he finally consented, being in general friendly and willing to gratify me. (50) So I sailed up, and from the summit of the island which rises in mid-stream and gives a good view of the Cataracts on all sides, I saw the boatmen shooting over the cliffs in their accustomed way. Moreover, I conceived a desire myself to board the skiff and essay the voyage, not only on the same side where I saw them dashing down — that was on the eastern side of the island —, but starting there, to sail right round the whole visible scene, and, skirting the other side of the island, to make down stream to the cities. [42] I speak therefore not from hearsay, but with the accurate knowledge of an eye-witness, when I say that Elephantine lies right at the Cataracts, and that between Syene and Elephantine there is nothing but the water of the Nile, each of these towns standing on the river-bank. (51) If therefore Herodotus ever reached Elephantine, as he says [43] he did, is it possible that he gave from hearsay descriptions of what he saw, but so false that, to begin with, in investigating the primal sources of the Nile, after confessing that from no man yet had he heard the truth, he nevertheless wrote: "I was

---

[40] For the island of the Cataracts, Bigga (Bigeh), see Baedeker[8] p. 395.

[41] The nautical feat or spectacle, referred to in § 50, is mentioned by Strabo 17.1.49. Seneca (*Nat. Quaest.* IV.2.6) gives a detailed description: "Among the marvels of the Nile I have been told of a feat of incredible daring which the natives perform. They embark in small boats, a couple of men in each, one steering, the other baling out the water. At once they are violently buffeted this way and that by the furious waves of the swift-flowing Nile, and at length reach the narrowest channels, along which they shoot past the craggy gorge. With the whole volume of the river they are carried down the fall, still steering their skiff as it rushes down. To the great alarm of the spectators they are hurled head first: you would give them up for lost, and feel sure they are overwhelmed and drowned in such a mass of water; but finally they are shot out like a bullet, to sail on far below the place where they made the descent. The stream in its fall does not swamp them, but passes them on to smooth water."

[42] The cities are Syene and Elephantine.

[43] Herodotus II.29.1.

told by the treasurer of the temple,"? — the treasurer in the Saïte nome telling him about the wonders of Elephantine! Or remembering all that he was told, if he could not suppress any of it, he might have applied to his narrative some refutations of his own or else these which I have now mentioned. (52) But, in point of fact, he says that he thought the treasurer was jesting; however, he omitted the data by which the statement might reasonably be refuted, — in the first place, that judging from ever so small a portion of the river, he proceeded to declare its source to Herodotus — for the Nile is known for a distance of many months' voyage above this region —, next, in a place where the river cannot flow in its usual way, but is constrained in its course and dashes down over the rocks, it is impossible for half of the water to flow upwards, as birds fly to the heights. This would be a tale, not of the proverbial backward flowing of rivers,[44] but of the springs of rivers flowing up mountains. But Herodotus, neither having visited Elephantine, nor possessing any sure knowledge of these parts, has given an account which has gratified those who believe it, but which invites criticism from the incredulous. (53) In the next place, after these remarks Herodotus says that, if the treasurer's account is true, he believes that there are in this place eddies and an upward flow of water. Yet what need to talk of upward flow and eddies, after omitting the facts that the Nile does not rise there, the stretch to the South being of much greater length than the distance from there to the sea; that the water could not surmount the Cataracts, unless in very truth, as Aeschylus says,[45] one should deem it to be "hurled down" from heaven; and that there is no hill between Syene and Elephantine, these lying rather in a gap between hills. (54) However, the story is not entirely false: there really are springs[46] in the region between Syene and Elephantine — two great rocks[47] just out in mid-channel, and Egyptians declare that between them there are springs —, but these are not the sources of the whole river, not the primal springs,

---

[44] For the backward flowing of rivers, see the famous chorus in Euripides, *Medea* (v. 410).

[45] This quotation from Aeschylus is not otherwise known.

[46] For a discussion of these springs, see Wiedemann p. 114 ff.

[47] Cf. Seneca *Nat. Quaest.* IV.2.7: below Philae, he says, "two crags jut out, called by the natives 'the veins of the Nile'. From these there pours a great quantity of water, but not sufficient to flood Egypt. When the annual festival comes round, the priests throw an oblation into these fountains, while the magistrates offer gifts of gold."

but merely tributaries to the lower or Egyptian course of the Nile. Moreover, they alleged that the depth could not be fathomed, and that it was not expedient to make the attempt. This dissuaded me when I was just on the point of trying, for it was not a matter of such great concern. Those springs, then, have, I imagine, a natural flow; and it is not only the story that convinces me of the existence of springs there, but also the evidence of actual fact. From this point onward the river is much greater in breadth: it has, one may say, attained its full volume, and as it flows on, it admits larger vessels, not merely larger, but much larger. Yet the opposite is usually the case with rivers: as they flow on, they grow smaller, except when reinforced by a tributary stream. (55) If we must go even higher up the river, I shall tell you briefly what I heard from an Ethiopian of high position. The prefect chanced to be away when we arrived in the place, but there was in charge a deputy who conversed with me through interpreters. All that lies outside our present theme I shall omit, but he said that from there to Meroe,[48] the largest town in Ethiopia and the royal seat of the Ethiopians, it was a voyage of four, or rather I think he said six, months; and that above Pselchis[49] up to Meroe one came upon many cataracts,[50] one after the other, in all about as many as thirty-six; and this was the whole known course of the river. (56) On the southward side of Meroe, — how far I do not remember —, the Nile, he said, was not a single river, but two rivers[51] one of them earthy in colour, the other like the sky. These, he said, united and, by mingling their waters, became the Nile that we know. As for the interior he averred that neither he nor any other Ethiopian knew it in its entirety; only, higher up than they, there was a succession of black races, — blacker than the Ethiopians themselves and blacker than their neighbours. He added that he could not report exactly where the river came from and through what regions it flowed from its source down. (57) Yet it is surely absurd and arrogant that, whereas Ethiopians admit that they cannot declare the sources of the Nile, — and this problem is always being investigated, although the solution has not up to the present been discovered, — we should ponder the cause of the rising, — or

---

[48] On Meroe, see Herodotus 11.29.6, Strabo 17.2.2, and Baedeker[8] p. 448.

[49] Pselchis is the modern Ed-Dakka, about 70 miles S. of Assuan: cf. Srabo 17.1.54, and Baedeker[8] p. 421.

[50] See Wiedemann p. 123.

[51] On the two rivers, see Wiedemann p. 124 n.

in the proverbial phrase,[52] knowing nothing of the first problem, we go on to investigate the second. These points I have enlarged upon, not that I might indulge in unpleasant, captious criticism [53] of Herodotus, — for I am not of those who have vainly practised such attacks, nor indeed will I applaud those who do; and I owe Herodotus gratitude for the very love of Egypt with which he was the first to inspire me, and besides, as candid speakers say, "He is my friend" —; but on these topics the truth has not yet been told.

(58) I shall now proceed further with my arguments, so that my discourse may be, as it were, rounded off, epitomised, and buttressed by evidence. The Nile's rising begins at the summer equinox or a little later. At that time, in relation to the Ethiopian frontiers of Egypt and the Egyptian frontiers of Libya, the sun stands overhead. This is clear from two of the most convincing proofs, neither of which is found in the rest of our inhabited world. (59) Take the two towns which I have just mentioned, at the "crown" of Egypt: as for Philae which lies beyond the Cataracts, I regard it as the frontier town between Egypt and Ethiopia. In Elephantine the sun illumines everything, — temples, people, pillars; and nothing casts a shadow at midday when the sun completes its greatest orbit. At Syene, on the other hand, on the same day and at the same hour the sun's orb appears exactly in the centre of the sacred well,[54] like a lid, leaving an equal distance to the edge on all sides. (60) Yet this is a proof of two facts, — first, that the sun does not come nearer Libya in winter than in summer, since of the two parts of Egypt, it is towards Libya that Elephantine lies; for the following countries all converge there,—Egypt, Arabia, Libya, and Ethiopia, coming to one point from this side and that; and secondly, even if one should freely concede to Herodotus that the sun, in nearing Libya, evaporates the water, this very fact counts against him. For if the sun evaporated the Nile in winter by approaching it, obviously in summer when the sun stood overhead, it would have swallowed up the river altogether and gone on its course. (61) For surely in no other way can the sun be said to come closer to the earth than when it rises vertically above it, for it cannot easily be shown that the sun ever nears Libya or any other part of the earth. It is not, to be

---

[52] This proverbial phrase is otherwise unknown.

[53] The treatise *On the Malice of Herodotus*, which is attributed to Plutarch, is probably earlier than the time of Aristides.

[54] For this well (not the Nilometer), see Strabo 17.1.48, and Wiedemann p. 118.

sure, that the sun traverses some parts of the earth in summer, and others in winter; rather, the earth in turn occupies some part of the sun's orbit. The sun, however, is always at the same distance from any part of the earth; but where he is right overhead at midday, there he directs his greatest heat. (62) It is therefore obvious that the sun does not check or stay the river, nor does it swallow up the water at that time, or decrease its great volume; but it gazes on, as though in amazement,* while the river swells and gains ever greater increase in volume. Yet when, pray, shall we say the Nile dwindles from heat, if it is seen to be rising at such a climax of heat? (63) Returning from the solstice, therefore, the sun moves to Ethiopia, — I am here, in a manner, following Herodotus,[55] « although I do not quote » his actual words —; and in the farther interior it keeps always this same character during its passage. Such is the course of the river that the sun would always be drawing off no small proportion of the water and would dry it up little by little; but obviously it does the reverse of this, — if indeed one need say so. Rather it is not, I fancy, the sun which obviously does this, but the Nile on the contrary, — whether one should say "does this" or "is affected thus." For although it ought to be gradually falling at the sun's approach, the river, once it begins to rise, gradually increases the actual amount of its rising; and so the sun and the Nile together commence their period of increase and together reach their climax, the one of heat, the other of inundation.

(64). "Nay come, change thy strain,[56] and sing of the system" of Ephorus the wise philosopher — a glory to himself and an ornament to his writings. Yet I fear that I who try to refute his theories may earn greater ridicule than their professed inventor. For if the Nile did not bring down its increase far above the Cataracts, and indeed far above the regions we know, one would readily accept the

---

* The text is here uncertain: the translation follows Canter's conj. ὡς θαυμάζων. With Reiske's emendation ὃ σὺ θαυμάζεις translate "an amazing phenomenon to you."

[55] Aristides is here giving a paraphrase of Herodotus II.25.3, not a direct quotation.

[56] This is a quotation from Homer *Odyssey* VIII. 492, where the word κόσμος (here translated "system") refers to the building of the wooden horse. Ephorus of Cume in Aeolis wrote a History of the period from the Dorian invasion to 340 B.C., the year of his death. He appears to have boasted of the novelty of his theories: see § 85, and Diodorus Siculus 1.39.7.

supposition that the water, flowing down from the mountains of Libya and Arabia, fills Egypt which lies between them and is hollow, as Ephorus says, when he alleges the heat as a cause. (65) But in point of fact, those who have never yet heard the name of Ephorus are aware that the Nile comes down in high flood from the interior, a distance of many days' voyage, and that it rises to an amazing height right at the Cataracts and, rushing past, fills with amazing tumult [57] the channel between Syene and Elephantine, — just at the beginning of that division of Egypt which might be called by the Greeks "Hermes," [58] — at a height of thirty cubits,[59] to strike an average. (66) How then is it that this water, coming from the mountains which shut in Egypt on this side and on that, so far below the region where the rising commences, is the cause of that rising? and how is it that this same water not only fills Egypt with its stealthy flow, but also appears in such volume beyond the vertex of Egypt, borne on the back of the original river, — unless Ephorus will make this addition to his ingenious theory, that just as the water flows down from the higher places into the hollow region, so again it returns from the hollows to the high ground, and, starting at the sea, the river retraces its course and flows up to the Cataracts and Meroe, like a man running a long race on a steep slope ? For this theory, however, he could not, I fancy, win credence even from his own fellow-citizens. [60] Well now, I drop this strong counter-argument,

---

[57] The tumult is implied in the name here used for the Cataracts — Κατάδουποι, literally "Thunderers", "places of thundering din", which is applied by Herodotus II.17.2 to the First Cataract. The word Καταρράκτης might be used of a "mill-sluice." For the din at the Cataracts, cf. Seneca *Nat. Quaest.* IV.2.5 (speaking of the Nile at the Cataracts) : "when at length it has struggled through the obstructions, it si suddenly deprived of support, and falls from an immense height with a mighty roar that fills the surrounding regions. The race planted there by the Persians could not endure the din : their ears were deafened by the perpetual thunder, and they were therefore removed to a quiet settlement." See Wiedemann p. 120.

[58] The name "Hermes" appears to be without meaning here. Spiegelberg conjectured that the word intended by Aristides is the Egyptian *mares*, denoting "the southern region." The author's uncertainty about the word is reflected in the cautious phrase "might be called." "Mares is a well-authenticated Coptic word (in both the Upper- and the Lower-Egyptian dialects) with the meaning 'Upper Egypt' "(Professor B. Gunn).

[59] Cf. §§ 20, 115; and see Wiedemann p. 80.

[60] The people of Cume, according to Strabo 13.3.6, were ridiculed for their stupidity (ἀναισθησία).

although one ought, they say,[61] to convict a thief so thoroughly as to display him with the stolen goods in his arms. (67) But there is another piece of simple-mindedness — I mean this belief of his, to begin with, that these desert regions of Arabia or of Libya are full of water: what reason has he to think so? What manner of springs are there either in the one region or the other? Is there so much as a suspicion of water in these parts? They are, in fact, more arid and desolate than anything one can imagine: it is in the Arabian territory that those celebrated porphyry quarries[62] lie. Like other quarries, these are worked, of course, by convicts,[63] who are, they say, left unguarded, [so exceedingly waterless is the region, which therefore lies desolate]. But through fear of being burned alive, — the penalty for anyone who is caught escaping —, those of the workmen who are left remain there. Yet there are some who prefer even this alternative rather than to be burned continually: this (they think) is really to be burned alive, so uniformly sandy and parched the region is. (68) In general, by this theory, why pray do not all rivers grow greater than usual in summer? If the sun drives the water away into the hollows of the earth, and the earth, becoming saturated, ends by flooding of itself, why pray are not rivers greatest at the climax of the heat, since they are all in the hollows of their respective lands? Yet instead of being greatest then, they are then smallest. (69) Moreover, near other rivers, to be sure, there are different mountains, not only no smaller than these, but withal clearly even greater and much more humid, as is obvious from the trees which grow on them and the streams which openly flow from them. Surely, then, opposites are reconciled, if the water is driven away into the depths of the earth, and is then raised for just the same reason ! The same sun, it seems, desiccates the mountain regions of Arabia and Libya, and thrusts the water down, but in Egypt it suffers this same water to rise in height! (70) But where does the land become saturated from below, you epi-

---

[61] "They say" : perhaps a reference to an unknown proverb, or else a quotation from an orator.

[62] On the porphyry quarries, see Baedeker[8] p. 397 f. (Mons Porphyrites, Gebel ed-Dukhkhân), and C.H.O. Scaife in *Bull. Fac. Arts Egypt. University*, Cairo, I.1. p. 144 f.

[63] So the gold mines on the southern frontiers of Egypt adjacent to Arabia and Ethiopia were worked by fettered convicts, prisoners of war, and the victims of false accusation, along with their wives and children, under the lash of barbarian guards : see the terrible description given by Diodorus Siculus III.12-14.

tome of wisdom? So broken up and gaping is it, right from the vernal equinox, that it is practically all chasms and ravines, affording no safe passage even to beasts of burden. "How is it then," says Ephorus, "that the lakes at a distance from the Nile are filled, if the rising of the river is from ranifall or melted snow?" (71) Although this is utterly impossible, yet none the more does it support the argument of Ephorus. For it is possible that the swelling of the river is due neither to rain nor to snow, nor yet to the cause given by Ephorus, that the subterranean moisture secretly flows into the Nile. (72 A*) Moreover, it seems to me, quite contrary to what Ephorus holds, that this theory does not any the more rule out the belief that the flood comes from above, while at the same time it wholly proves the ludicrousness of the view that the rising is from within. For it is natural that, so long as other obstacles are absent, the river should come down in flood by reason of snow and rain, and that at a time of flood, the earth, swelling and becoming saturated, should send streams obliquely down, — not because of the heat nor through being dried up — for it is ridiculous that the same earth which has not a sufficiency of water should dispatch its superfluity elsewhere —, but quite the contrary, it supplies with its excess the unseen channels which accommodate it. (72 B) Now, if the hollowness of the country, enclosed as it is by mountains, furnished the cause, surely the lakes at a distance from the river would not be flooded. To this Ephorus himself bears witness. Seeking to escape refutation, he says that of course it is impossible that this should be the case in other lands which are not hollow nor "acquired"[64] like Egypt, but primordial, and, as he has called it, "self-compacted." This, indeed, let us grant to be true, at least up to a certain point, but not, more than that. (73) Thus the lakes near the Nile and in Egypt itself do not, of course, originate in themselves, but all come from the river: channels lead to them, whether Ephorus admits it or not, so that it is not at all unreasonable that they should share in the cause whatever it may be, of the risnig of the Nile. (74) Lake Moeris, the lakes lower down near the marshes, and Lake Mareôtis,[65] which formerly stretched to Pharos, but now lies behind the city of Alexandria, were originally bays of the Nile, and they share in the rising, whenever their portion of the river rushes in through the

---

* In Kiel's text 72 is the number of two sucessive sections.

64 "Acquired" : Herodotus II.5.1.

65 Lake Mareôtis or Mareia : see Baedeker[8] p. 29.

channels. On the other hand, Lake Serbônis [66] obviously lies outside these mountains. For after you pass beyond Pelusium and one of the two ranges which enclose Egypt, you see it as you go to Ostracine,[67] lying almost in the middle of the Arabian Desert.* If, then, a branch of the Nile comes into it from the higher reaches, I need say no more; but from what I have already said it is clear that it lies beyond the limits stated by Ephorus. (75) Accordingly, two alternatives confront this historian. If he accepts this explanation and does not put it to the proof by pointing out that the lake lies outside the hollow region, why has he not shown that this same phenomenon occurs all the world over, if the cause rests with the heat alone? But if he does not deign to seek elsewhere for this same phenomenon because the nature of the country is not the same, the lake is outside these limits. How then does it flood? So, before considering the original problem, how the Nile floods, one must investigate the secondary question, how by this theory the lake floods. (76) Besides, it is easy to realise that in making free use of this pretext he comes no nearer the truth. For, of course, there are in the world many other lands created by rivers, and these lands must of necessity, by this same theory, be both hollow and porous. The others I pass over, but there was one (save the mark!) right in front of the gates of his native town, before his eyes. (77) There is, indeed, strong evidence that in ancient times the plain of Larissa [68] was a sea. The plea that the Hermus is a mere fraction of the Nile is irrelevant to the present discussion; but it becomes self-evident that by the same theory the Hermus, too, ought to rise in summer. For mountains are seen to encircle the region, and the river flows over porous soil, formed in the beginning by the river itself. Why, then, is it so far from flooding in summer-time that it is actually out-stripped by many rivers which cannot compare with it in winter? Frequently, it cannot so much as flow. And there are countless other examples which one

---

[66] Lake Serbônis: see Herodotus II.6.1, III.5.2 f., and Diodorus Siculus I.30.4.

[67] Ostracine (Josephus *Bell. Jud.* IV.11.5) lies halfway between Mount Casius and Rhinocolura (El-Arish): the name ("Potsherd Town") confirms the story of Herodotus (III.6) that jars of water were carried to this "waterless" place. The mountain range referred to is that on the E., Mount Casius (§ 78).

* Reading ἀσπόρου (conj. Wilamowitz).

[68] The plain of Larissa (Phrikônis) is near Cume in Aeolis, in the valley of the Hermus: cf. Strabo 13.3.4, Aristides LI. 4.

could quote to the same effect. Yet in answer to his opponents, he gives a single instance and no more. Sometimes, too, although he does not even mention a name, to indicate either the river or the land, he nevertheless claims the victory. (78) "Egypt," he says, "is porous and easily lets streams of water pass through." Well, I forbear to mention that no other soil is so rich, — an adequate rejoinder in itself. But what shall we say about the region which I have just mentioned, the region beyond Mount Casius? — not, of course, that it too is the work of the river,[69] but still it shares in its act. Nor assuredly can one say that this region has been silted up by any other river, for it is all arid desert beside the lake.* (79) Moreover, even those who urge this theory do not attempt to urge it about Egypt as a whole; rather, they except the great tract of the country above the apex of theDelta as being original, and not merely so, nor in the common acceptation of the term, but so pre-eminently original that it was actually the first of the regions of Asia [70] to produce men, — not to claim more than that. Therefore, if the rising occurred in the Delta only, it would have been reasonable in one respect at least, to believe in this theory; but since it occurs throughout the country, and earlier in the interior, covers as much ground as the river, the fact that the Nile brings down or forms new land is irrelevant. (80) Further now, Ethiopia and Egypt have not the same nature: the one has dry, sandy soil and is of gradual formation, while the other is so deep and compact that it is not easy to find a parallel. Yet the fact remains that in both countries the same phenomenon occurs. How then is it possible to say that the same facts are the cause, in the two countries, of effects so widely different? If the nature of Egypt is responsible, the nature of Ethiopia, it seems, is not, where already, long before, the Nile has been affected. If, on the other hand, the nature of Ethiopia is responsible, what need to mention that Egypt is hollow and enclosed by mountains? For the efficient cause is not in Egypt, nor, it seems, is this the cause. (81) Moreover, in the regions above the Cataracts and near Pselchis, there is so great a slope towards the West that the lowest part of the country is not even near the river. For there is a

---

[69] The work of the river: Herodotus II.5.1.

* Or "it is all waterless except the lake."

[70] Regions of Asia: "Aristides follows those of the ancients who held that the world was divided into two parts, Europe being one half" (Keil). But it is possible to translate the Greek "earlier than the regions of Asia."

brow of sand [71] shutting off the river from the whole region below, and it ends in a much deeper tract on the West. So, if the river-water were moisture from the earth, it could not unite to form the Nile, but would pour out on both sides of the river. (82) I have myself heard that at Scythopolis [72] in Palestine, near the region which yields celebrated dates and balsam-juice, there is a lake which indicates the rising of the Nile, whenever it happens. This was the account given by those foreigners, and they spoke of the lake as flooding. If, then, this land lies between Libya and Arabia or is hollower than any other land, let us grant that Ephorus is speaking truth. Yet he tells so great a lie when he says there is no need to seek elsewhere, adding that it is not the same. (83) But if there are many lands hollower than this one, — to some extent at any rate, if not much hollower, — and yet they are not affected thus, you must look for another cause of the rising, as it is manifestly impossible to allege either the porousness or the hollowness of the soil, — indeed, these least of all. For if the flooding arose from within, the lakes outside the river could not possibly flood, nor could the river itself rise so high as to inundate the whole of the region within these limits so abundantly that those sailing at night make it out in some places by starlight. This indeed is just as if one person should urge another to fill a nine-gallon jar from a half-pint cup, each by itself, just as it is! (84) Rather, I suppose, when the Nile comes down in great fulness and the ground cannot hold it, the water finds its way to a containing basin, making a channel for itself. Hence the springs outside the river-basin receive water gushing out of the river, intimation of the rising comes to neighbouring races, and empty spaces

---

[71] A brow of sand: see Wiedemann p. 66, and for the whole description cf. § 30.

[72] Scythopolis, or Bethsean, is W. of the Jordan, about 15 miles S. of the Sea of Galilee. Date-palms and balsam-trees grow in the very fertile region near Tiberias and in the upper valley of the Jordan; and Scythopolis stood at a junction of important trade-routes. The account of a lake in Palestine connected with the Nile is given as a hearsay report, perhaps arising from the variation in height of the Dead Sea at different seasons, and from the Arab legend about a subterranean outlet to the Dead Sea. (Keil). Professor Battiscombe Gunn comments : "I know of nothing from Egyptian sources bearing on any connection of the Nile with the Dead Sea. It is hardly conceivable that such a belief existed : it would be totally alien to Egyptian ideas."

help to accommodate the water, just as when a chamber is filled in the Baths.[73]

(85) This lengthy reply of mine to the ingenious and novel theory of Ephorus has been necessary, because he asserts that he alone has attained to the truth. Now I find pleasure in the fresh-water sea which flows in on the far side of Libya when the etesian winds blow, and in its crocodiles, and in Massilian tales rather than Sybaritic ones. If you fail to understand, most charming Euthymenes,[74] — provided that Ephorus is telling the truth when he alleges that this is your view —, that you are not so much solving a problem as raising a greater and more awkward difficulty than the original one, surely someone will say in jest that your mind is really away outside the Pillars of Heracles, and beyond Cadiz, or, as the Thracian woman[75] is said to have once remarked to Thales, someone will ask if you are not aware that in fleeing from a river you are tumbling into the sea.[76] For surely if we marvel that a certain river is quite unique in its summer flooding, and seek to investigate the causes, shall we not marvel much more at a sea which is quite unique in its fresh-water character? (86) Moreover, if all rivers possess the same characteristic, that of flowing, yet each flows separately and by itself, except such as converge in their course and unite; whereas the whole sea is, to be sure, blended and has a unifrom nature, and if someone seeks in theory to define its species, how will he use his powers to astonish us next? But we must, it seems, treat this topic also with definition of detail. (87) There are, of course, four branches[77] of the outer Ocean .One flows in from the West between Cadiz and the

---

[73] In the Roman Baths a chamber not hitherto in use would be filled, when required, by water laid on by pipe.

[74] Euthymenes of Marseilles, c. 550 B.C. : for his theory, see Anonymus de Nilo (Dindorf p. 166). Aristides depends upon Ephorus for his statement of the theory of Euthymenes : we know that Ephorus reviewed many opinions in his History. Seneca (*Nat. Quaest.* IV.2.22) quotes from Euthymenes as referring to his voyage on the Atlantic Sea "from which the Nile flows" : "that sea has a fresh taste and denizens resembling those of the Nile." Cf. Lydus *De Mensibus* IV. 107.

[75] Diogenes Laertes (I.34) quotes an old woman as saying : "Why, Thales, you who cannot see what is at your feet, — do you expect to understand celestial matters"

[76] This is a variation of the common Greek proverb : "Fleeing from smoke, he fell into the fire."

[77] Four branches : a scholiast says that this account comes from Posidonius.

neighbouring part of Libya to Phasis: this gulf is this sea of ours [the Mediterranean)], which, taking in Lawe Mareôtis and the River Tanaïs [78] beyond it, divides the world into two, and makes into an island each of the two sections cut off by the encircling sea, unless you prefer to hold that the Phasis or indeed the Tanaïs, is the boundary of both continents. Well, such is the description of this gulf of the Ocean. The second branch is one filled from the South, called the Red Sea, which makes Libya, Egypt, and the adjacent part of Arabia into a peninsula « united with Asia » by an isthmus of three days' journey fronting the inner and the outer seas. The third branch beyond these is the Persian Gulf: as you find when you veer round after passing through the Red Sea, this Gulf makes Arabia Felix a peninsula which includes some part of Persia. The fourth flows in from the North and about the Caspian Gates into our part of the world, — the Caspian, or if you prefer it, the Hyrcanian, Sea. (88) What then has this to do with our theme? No idle tale do I tell, like that of Odysseus to Alcinous. [79] In the first place, these are the nature and number of the divisions of the sea; and apart from these, no other sea is known by anyone, either Greek or barbarian, really dwelling in the lands within these waters and the encircling Ocean. Any other expanse of water with gulfs is called a lake, a fen, a lagoon, and so forth. As for the lake towards the Phoenician border of Syria which some nowadays call a sea, the Barren or Dead Sea, I shall presently explain how it came to have that name. (89) Next, all these seas, I believe, happen to possess the same character as one another and their source; and no one makes exception of any of them as being of fresh water: all alike have been given the name of sea. It is clear that the nature of their water is peculiar and characteristic of nothing but the sea; hence all wells that tend to be brackish are commonly called sea-wells, and in the case of the Syrian lake which I have just mentioned, the presence in its water of salt derived from the soil has won for it the name of sea in common speech. (90) It is not the case that the sea which encircles Libya is fresh and good for drinking, while the sea right at Cadiz is

[78] On the Rivers Phasis and Tanaïs, see Herodotus IV.45.2. The earlier belief was that the Phasis bounded Europe (cf. Aeschylus *Frag.* 191: "Phasis, the great common boundary of Europe and Asia"): the more modern and generally approved view held to the Tanaïs. (Keil)

[79] The long story of the wanderings of Odysseus is told by the hero himself in Homer *Odyssey* IX.-XII.: proverbially used of a lengthy and tedious tale, e.g. in Plato *Rep.*X.614 B, Aristotle *Rhet.*III.16.7.

like our sea, because it mingles with it. In the first place, there is no more reason for it to be brackish because of the Mediterranean Sea than to be of fresh water because of the Ocean, since it mingles with the latter also, — indeed, it mingles copiously and not merely through a strait. (91) Next, from the testimony of those who sail beyond the Straits in these days it is clear that the tale is fabricated. Nowadays, surely, the number of those who sail beyond the Pillars of Heracles [80] is no less than in ancient times; and not merely once or twice at long intervals, but every day without intermission, cargo boats and traders pass through both seas, deeming them continuous and one, now that the whole coastal region has been opened up, and security in sailing conferred by the present government. I had set out on such a voyage when illness came on and prevented me. And neither from the fishermen of Cadiz, nor from those who make the passage to the great island [81] over against Iberia, can one hear the tale that the outer sea has fresh water. Yet armies of all kinds are continually crossing and recrossing at suitable times: countless officials and private individuals are continually crossing over.[82] (92) « Nor is it right to assume that the sea at Cadiz and the adjacent parts of the Ocean receive salt water from the Mediterranean Sea; » for it is not reasonable that the whole should follow the part, but that the part should have the same character as the whole. But it is not the outer sea, — the whole sea, the sea to which no boundary at all has been discovered in either direction —, that flows out from our sea: this sea of ours flows in from the outer Ocean, and brings its nature from afar. (93) Moreover, those of the Carthaginians who have sailed out beyond Cadiz and founded the towns in the deserts of Libya have never brought home this tale, nor have they inscribed or dedi-

---

[80] The Pillars of Heracles: the opposite headlands of Gibraltar (Calpe) and Apes' Hill (Abila, Ceuta) near Tangier. Cf. Pindar *Isthm.* 4 (3).12, *Olymp.*3.44; Herodotus II.33.3, IV.8.2; Strabo 3.5.3-6; and for a modern account, Bérard *Les Phéniciens et l'Odyssée* I. p. 241 ff.

[81] Aristides refers elsewhere (XXVI. § 82) to "the great island, the last towards the West," Majorca.

[82] Cf. Seneca *Nat. Quest.* IV. 2. 23: "Moreover, the evidence of Euthymenes is refuted by a crowd of witnesses. In his time, when foreign parts were all unknown, there was free scope for falsehood, if he cared to bring in travellers' tales. But nowadays, traders hug the whole coast of the outer Ocean; and none of them tells us that the Nile rises there, nor that the sea there has a different taste from elsewhere."

cated it in their temples,[83] although they have recorded many other absurdities. Yet surely it was unlikely that *they* should either be ignorant of the truth or have concealed their knowledge, especially since they made a point of boasting of the marvels they had seen, and all these were less marvellous than being able to say that they had seen a fresh-water sea. (94) Further, I for my part wonder how this man [Euthymenes] ever sailed away so far from the known world, what resources he had, and what was the object of his expedition. It is unlikely that he set out alone on his voyage, and, returning home with many comrades, it is unlikely that he alone elaborated the tale, or indeed committed it to writing as though that were enough, or merely recounted it to his intimates: rather, he would make a public statement, announcing his discovery and dedicating it, I declare, like the Carthaginian admirals who set up inscriptions on such matters in one of the state temples. (95) Moreover, if these marvels were true, what Greek would have failed thereafter to know them? It would have been possible for all who sailed to Marseilles [84] to learn of them, and to have had at least this one difficulty solved by men of Marseilles; but men of Marseilles never tell this tale, nor is the Massilian so reliable as he is agreeable in his talk: rather, he has a certain old-world simplicity and a fertile imagination. (96) Further, because he has inserted crocodiles and hippopotami in his narrative, he does not on that account deserve credence: therein is his fiction, his subtle invention, most easily detected. For it was not that he saw crocodiles or hippopotami and then announced the fact; but, in order to gain credence for the rest of his story, he added the crocodiles and hippopotami, resorting to familiar creatures, and gaining belief for his fiction by the addition of a second fiction invented to resemble the truth. But such stories and fables, I fancy, are better left for

---

[83] This is a reference to the *Periplus* of Hanno, which has been dated to about 490 B.C. A note by Professor Battiscombe Gunn says: "The first Egyptian *periplus* of Africa, of which we have any knowledge, is that stated by Herodotus (IV.42 — unsupported by Egyptian records) to have taken place under Necho (609-593 B.C.), executed by Phoenician sailors for that king. Maspero, *Struggle of the Nations*, pp. 197, 252, says that the Phoenicians probably had similar sea-going ships, and similar methods of barter on long trading voyages, to those of the Egyptians; and he appears to suggest that the Phoenicians copied these directly from the Egyptians."

[84] There was a Greek proverb connoting good luck: "May you sail to Marseilles!"

nurses to tell to little children when they must go to sleep. — stories about a fresh-water sea, and hippopotami, and how the sea flows into the river, and other such soporific tales!

(97) Another writer [85] has given a theory of mixed value: one part of it needs no seer, the other part not even a seer could recommend. That the springs of the Nile lie in the hottest region is manifest, since the river rises in the South. But this writer says that these springs, being burned up in summer, attract the neighbouring moisture to themselves, and since much water gathers together, they are flooded, and this causes the rising of the Nile. (98) I forbear to point out that it would be reasonable that all rivers in hot regions should be affected in this same way; but surely it is absurd to say that the springs are in the hottest places, and yet to claim that their adjoining waters should not be in another similar region. Since they are in a like situation, must they not be affected in the same way? Why then is it more likely that the springs of the Nile should attract to themselves the other waters than that the other waters should themselves require an influx of water from the springs? Yet truly, if all these waters have greater need than the springs, in the first place all will be smaller in summer than in winter; next, it will not be possible for them to assist one another, being separated by heat and each being by itself, so that they ought to diminish and sink down, not rise in volume. (99) Moreover, as for the theory that the springs by their dryness attract to themselves the water near by, one must not be captious, but grant that this is true. But the suggestion that they not only take so much water as to make up the original volume, but also overflow so much as to escort the Nile right down to the sea, goes so far beyond the other theories and, more important still, « so far beyond Nature herself » that one asks what reason there is to make this concession. Where indeed shall we say that the springs evaporate, if they increase so much and for so long a time each day? Either, therefore, they are exhausted and cannot send off water, or if they have such a large volume left over, how do they attract through dryness? For suppose they have attracted the water to begin with, it is natural that they should rise when filled full; but if the sun should once more evaporate them, they could not overpass their bounds, because the excess of water is always decreasing for

---

[85] The writer here referred to is Diogenes of Apollonia in Crete, who lived in the 5th. century B.C. Cf. Seneca *Nat. Quaest.* IV.2.28 ff.

the very same reason, just like the jar [86] of which poets tell us, so that the springs ought to be as a rule small rather than continually big.

(100) Different writers have told a variety of foolish tales; and in my opinion they have each sought to state a theory, and they are so far removed from the truth that, although most of them are conscious of their falsehoods, they stubbornly maintain their hypotheses, and then, as though shooting arrows in the dark, they miss the mark in various ways. For myself, I do not so much think it clever to meditate on obscure problems, nor do I deem it stupid to abstain from doing so: I rather hold that the man of sense will not lightly give credence to those who dogmatise about obscure questions. (101) To give a comprehensive answer to all these theorists, I say in reply to those whose account is falsely based upon the etesian winds, that in winter north winds blow continuously with much greater violence and set all the clouds in motion; and in so doing they naturally drive them southwards even in winter. Now, one may say anything sooner than that the Nile has ever risen in winter. Yet why should it rather rise in summer than in winter, if the flooding were due to the winds? (102) Now to each in turn I declare that all are convicted by one another of being innovators in theory. For when some assume the winds to be the cause of the Nile's rising, others the rains, and others again snow, some the dissolving heat of the sun in winter, others the evaporating heat of the sun in summer, each one alleging what cause he pleases, all conjecturing where no one knows the truth, not only are they convicted, to be sure, by the details of their theories, but all fall foul of one another in turn because they have not discovered the truth, but have each of them preferred to state a theory. (103) And now, while appearnig to combat all the theorists, I am like to have them all as witnesses on my side. For the arguments by which each refutes his rivals, serve me against them all. Thus, so far as they talk sense, I support them, while I eliminate all the arrogant folly which they introduce in the manner of controversialists; and accordingly, not only on the side of the better argument but even oftener, I vote with all collectively as well as with each one individually. For each of them wins his own vote, and at the

---

[86] "The jar" is a reference to the fable of the Danaïdes, who for the crime of killing their husbands, were punished in Hades by being obliged everlastingly to pour water into a cistern or large jar full of holes (Ovid *Met.* IV. 462 f., Horace *Odes* III.11.25 ff., Tibullus I.3.79).

same time opposes all his rivals. But if my own discoveries are no less than those already anticipated by my predecessors, I am not perhaps deserving of blame.

(104) Moreover, even Homer [87] is not a trustworthy guide when he says "Back to the waters of Aegyptus, the Zeus-descended stream." For my own part just as one would, or rather must, ascribe all things to Zeus, so I should grant that Nile is Zeus-descended and is his work, since we call him "the father of men and of gods," this phrase too being from the lips of Homer. He is father of the gods, — yes, but not of all the gods, according to the poets themselves; and one would not, of course, on this account contend that Poseidon also was a son of Zeus or Hera a daughter, nor that this was Homer's view. For Homer himself shows that he did not believe this. (105) Moreover, if Zeus is indeed "father of men and of gods," he would also be father of all rivers and created things in this world of ours, and it is fitting that he should be called father of Nile no less than of Xanthus [88] in the Troad. So, then, I would maintain, as I have said, that Nile too is not only the work, but the son of Zeus. But if, just as about Scamander, so about Nile either Homer or some other will discourse, — or about Simoïs, [89] let us say, or Granicus, — he will perhaps forgive us if we say that he knows more about the Troad than about Egypt. In his epic Homer [90] has expressly declared that Pharos is a day's voyage distant from Egypt, and as though that were not explicit, he added, further imprinting here the stamp of poetic licence, — "one behind which the shrill wind blows fair," meaning, of course, the ship as it sails along. (107) Yet Pharos lies about seven stades [91] from the mainland, and

---

[87] Homer *Odyssey* IV. 581. Aegyptus is the only name which Homer applies to the Nile. In *Or.* XLIII.28, the Hymn to Zeus, Aristides eulogises the Nile as "Zeus-descended" : "So then, the most beautiful and notable of rivers is itself 'Zeus-descended', as imitating the father, and, being appointed by him, as it were, governor of Egypt, itself instead of the rains of Zeus (cf § 13), advances and floods the land."

[88] The river Xanthus or Scamander is called "Zeus-nurtured" in Homer *Iliad* XXI.223.

[89] The Simoïs, like the Scamander, is at Troy : The Granicus is in Mysia, Asia Minor, — famous for the victory of Alexander the Great over the Persians in 334 B.C.

[90] Homer *Odyssey* IV.356 f. On Pharos, see Bérard *Les Phéniciens et l'Odyssée* II. pp. 31 f., 71 ff.

[91] Aristides takes the distance of seven stades from the name of the mole which linked Pharos with the mainland (the Heptastadium : see Strabo 17.1.6).

the island itself forms, so to say, the boundary [92] between Libya and Egypt. That a ship makes only that distance, speeding all day long with "the shrill wind blowing fair behind her," I for one cannot believe. Yet some of those who give a ready defence of Homer in this instance as in all others, allege that Pharos was at that time, it seems, far distant from Egypt, [93] but now the river with continual deposits of silt has cut short the distance. Such, then, is the case at present, and Homer, they say, has correctly described the situation as it was in his time. (108) To these writers Homer himself has already given a clear answer. You ask how? He himself knows, to be sure, the voyage of Menelaus along with Helen to Egypt. Thus Canôbus is the name of the pilot of Menelaus, according to Hecataeus [94] the historian and to common report; and when he died, he left his name to this place. (109) I give these details according to the Greek story. In Canôbus itself I myself heard from one of the priests, a man of no mean rank, that, thousands of years before Menelaus put in there, the place was called Canôbus. He pronounced this name not at all in the same way as one would spell it in Greek letters; it was, so to say, comprised in the other and equivalent, but an Egyptian name, somewhat hard to transcribe. However, in our language it meant, he said, "golden place;" for it is the custom of the Egyptians to bestow such names on their towns, for instance, Elephantine, Diospolis, Heliopolis. So, too, the name Canôbus, he

---

[92] Cf. Herodotus II.16 f.

[93] For the theory that Pharos was farther distant from Egypt in Homer's time, see Strabo 1.2.23, 30; Pomponius Mela II.7.104.

[94] Hecataeus of Miletus lived *c.* 510-490 B.C. For Canôbus, the pilot of Menelaus, see Strabo 17.1.17; Tacitus *Annals* II.60. On the town Canôbus, 15 miles by land N.E. of Alexandria, see Wiedemann p. 91, Baedeker [8] p. 32. The town was not founded in early times, and Aristides is in error when he says (on Egyptian authority?) that it was thousands of years older than Menelaus. In the time of Rameses III., Canôbus was known as *kuu* or *kutut*: the name Kanup or Pekutet is found first in Greek times. The Egyptian form "Kanup" was popularly derived from *ka* high ground) and *nub* (golden). In reply to a query, Professor Battiscombe Gunn wrote the following comment: "Aristides' explanation of Canôbus as meaning 'golden place' is perhaps a late popular etymology from *kaiennūb*, 'golden high-ground', or the original may have actually been some compound ending in *nūb*, which is the Egyptian for 'gold'. There is no evidence in Egyptian texts for such an etymology; and we do not know what the Egyptian form of the Greek word was. Brugsch and others have identified certain place-names by pronounciation apparently and on no real evidence."

said, when interpreted, was "golden place." (110) But I say no more of that. Yet it is natural that Egyptians should know everything about their own land more accurately than Homer of Smyrna[95] or Hecataeus of Miletus, not only because one would grant it to be absolutely natural and usual in all cases, but, — and this we may remark as peculiar to the Egyptians — because, through their antiquity and the fact that no disaster from heaven[96] has befallen their land, they are themselves witnesses to notable occurrences in other countries, and trustworthy authorities, who, in place of other treasures, preserve in their temples all records on inscribed pillars. Nevertheless, this strong argument also I pass by. (111) But let us follow our historians and accept the pilot of Menelaus who, when he died, gave his name to the place. If then we are to believe this account, we must nevertheless bear in mind that Canôbus lies at a distance of 120 stades from Pharos. Yet a ship sailing all day long with a wind blowing astern, — let me add, a "shrill" wind, too —, will accomplish not a matter of 120, but perhaps more than 1200, stades. In good sailing weather I have often accomplished as many stades as that, dividing the total distance afterwards by the number of days. (112) But poets, I fancy, know better than anyone how to compose tales, to enumerate names of rivers and cities, and to embellish such topics, while they pursue their aim; but they are unsatisfactory witnesses in the case of matters so needful of proof. Let me take an obvious example from the poems of Pindar who among poets is reputed to keep nearest to truth in matters of histroy; and the following criticism is not far-fetched, but arises from the character of the place itself. Pindar[97] talks of "Mendes in Egypt by a cliff of the sea." (113) Yet there is no cliff there, no sound of the sea: on a wide and spreading plain where the whole Mendesian nome is situated, stands their city which they call Thmouis, so that it is impossible even to catch sight of the sea from either border or from the centre to either side. But the poet, engrossed with Cithaeron,

---

[95] Being himself resident in Smyrna, Aristides naturally supports the claim (a strong one, it may be granted) of Smyrna among the seven cities, each of which was reputed to be Homer's birthplace: cf. Strabo 12.3.27.

[96] "No disaster from heaven" : cf. § 125. Aristides is doubtless thinking of the utter destruction of Smyrna by earthquake about 177 A.D., or of some previous disaster.

[97] Pindar *Frag.* 201 (205), quoted also by Strabo 17.1.19. For Mendes, about 9 miles S.W. of Mansura, see Baedeker[8] p. 183.

Helicon, and the peak of Phicium,[98] and guessing at distant scenes by reference to what was near him and familiar, expressed himself very boldly although he had neither seen the place nor heard precisely about it, and composed according to his own impression by the ancient and traditional licence accorded to poets in this regard. And what marvel is it that, on matters about which not even the people of the place, although born in Egypt, have knowledge, poets at such a distance should have nothing reliable to say?

(114) But really, as I remarked a little earlier,[99] the behaviour of the Nile seems to be altogether peculiar and completely different from all other rivers. Why pray, if you please, is it the only river, which does not give off airs?[100] Yet if it rose as the result of snow or rains, it would not be the only river lacking in airs: many great winds would blow from it, in proportion to the greatness of the river. For where the bare soil, after irrigtaion, gives off airs, how shall we say the Nile would be affected, if it rose to such a height as the result of rains, or (save the mark!) of melted snow, as the other theory has it? (115) What would you say about the regularity and harmony of the Nile's rising?[101] — how at Syene and Elephantine it rises 28 cubits, while near Koptos,[102] the emporium for India and Arabia, 21 cubits; and again, from the latter number it deducts seven and keeps 14 cubits, the familiar height at Memphis, by which the Greeks now make their calculations; while lower down in the fens it falls to seven, and finally to two cubits, as I have heard. Does the Danube, or the Phasis, or the Strymon use such subtle art? Do not these subtleties belong rather to the Nile alone, as it contends with the nature of the country? (116) Which river of those we know supplies water[103] unaffected by Time and in so huge a volume

---

98 Phicium is a peak near Thebes, named after the Sphinx (Φίξ) cf. Hesiod, *Shield of Heracles* 33.

99 "Earlier": cf. § 85 fin.

100 "No airs from the river": cf. Herodotus II.19.3, where the reference must be to S. winds, as there are regular currents of air blowing up the Nile valley.

101 On the height of the Nile's rising, see § 65.

102 Koptos lies 390 miles S. of Cairo: it was the starting point of caravans crossing the desert to the Red Sea. Cf. Baedeker [8] pp. 232, 397.

103 Nile water: cf. Aeschylus *Suppl.* 561 "the water of Nile untouched by diseases"; Seneca *Nat. Quaest.* IV.2.30 "No river has a fresher and sweeter taste than the Nile"; Achilles Tatius IV.18, the limpid Nile water "vied with, — nay, it surpassed, — the transparent glass which contained it."

For it does not deteriorate either when kept in Egypt or when carried across the frontiers: when merchant vessels sail away from Egypt to Italy, they preserve the remainder of the water they have provided for the voyage, and any second supply of water which they have drawn in addition, considering the length of the voyage, turns bad sooner than the original supply. The Egyptians are the only people we know who fill jars full of water as others do of wine,[104] and keep it stored for three, four, or even more years, taking pride in its age, as we do with wine. Now will anyone account for *this* by the origin of the flood in rain? (117) Then why, pray, is it not the same with all rivers? All are from rainfall, and there is no need of conjecture about their origin in rain: we ourselves experience the showers, and dwell, so to say, on the very river-banks. Some rivers, starting with a very small volume, receive rain-water and become swollen; yet even if they surpass the Nile, they do not perform the same service. The Nile, indeed, floods in summer, whereas in winter it is its own master, and it is then at its best. (118) Now, in freshness of water, how far, think you, does this river excel? More than you could express. Yet what is the cause of this? And again how can one explain the fact that in a certain way the water drawn off from it seems always to be similar to its origin, the parent river? (119) Everything about the Nile is amazing: is it not all compact of marvels? It is reinforced by no tributary; the rocks split with drought, and the hills wellnigh burst into flame, but the Nile, flowing amid these difficulties, regulates * all the lakes and inlets with abundance of water, not only during the period of the inundation, but at all other times as well. There it is, like one fountain serving the whole land; and no town, no house, no place can dispense with the service and potency of the river; it has the same value to the towns in the interior and to the dwellers on the frontiers as to those on the river-banks, or rather even to those sailing in mid-channel. (120) But when the decree[105] goes forth and the river must rise in height, not to mention the other untold wonders, those sandy deserts and ravines are like well-watered valleys and swamps in offering no hindrance to the river anywhere. Just like those stars which move contrary to the universe, so the Nile in its rising goes contrary to the seasons and

---

[104] On Nile water as a substitute for wine, see Wiedemann p. 100 f.

* This word is uncertain (κατείργει, or Canter's conj. κατέχει): perhaps κατήρδει "supplies," literally "besprinkles."

[105] "The decree": some natural or divine law.

the character of the country. Yet who would not, if he saw it, reckon this too as an incredible marvel, that the river fully suffices for the chasms, and floods the gaping holes; and still more marvellous that the Nile has previously passed through the sandy desert of the upper region. As though emulously contending with obstacles, it works out a course for itself. (121) First of all, it fills hollows and ravines, stealing upon them below the surface like divers in the sea, and sending downwards the first part of the inundation. Next, it flows over these and over the land, ever advancing, soon to attain its greatest height. If one realised the obscurity of the process, one would marvel more deeply at the phenomenon. (122) For many rivers, I fancy, among those that now hold chief place, could not suffice for the depths of the country, but would fall into them and be lost to sight there and then, like the Euphrates[106] which is said to vanish in its course. As it is, however, just as we are astounded when we gaze upon the crests of the pyramids, unaware that their counterpart beneath the earth is another mass just as great, — here I repeat what I was told by the priests, —, well now, when the Nile has risen with lofty crest, it embraces the whole of Egypt; by comparison with the sea which lies in front of it we deem it to be another Egyptian Sea, with so great a volume does it advance. But how it has attained this size, and what is the origin of the rising, are questions which have baffled investigation. (123) But as for the fact that Egypt alone of all countries is affected in two ways by the river, just as if it were some living creature, —[107] at one time it is exposed, left to itself high and dry, then again its lot lies in the water —, to what must all this be ascribed but to the great wisdom and forethought of the deity[108] (Serapis)? Where there was likely

---

106 On the disappearance of the Euphrates, see Pomponius Mela III. 8.77: Arrian (*Anabasis* VII.7.5) says that owing to irrigation, the Euphrates finishes with a diminished stream.

107 This comparison of Egypt to an amphibious animal is striking.

108 The deity mentioned vaguely here is explicitly named as Serapis by Aristides in *Or.* XLV. § 32. The Egyptian belief, however, was that Osiris kept the source of the Nile (Wiedemann p. 115): in later times, Serapis and Osiris were identified Wiedemann p. 199), as they are by Aristides, *Or.* XLV. On the divine origin of the Nile rising, cf. Lucan X. 237 ff., 263 ff. (the Egyptian priest Achoreus is speaking): Philostratus *Imagines* 5 "In Ethiopia where the Nile rises, a divinity is set over it as its steward, and he sends forth its flood at the right seasons": Philostratus *Vita Apoll.*6.26 "tales of spirits that haunt the Nile, — like the

to be very little rain, he led in the Nile to personate himself, and to serve as rain to the dwellers there. Then again, he led it away at the very season when that was likely to be most opportune for the people, and to furnish to the country harvests far from inadequate, indeed amazing in their abundance. This is the only reason I conceive why the Nile flows through Egypt and those parts, with its greatest volume in summer too. (124) I see, moreover, that we enjoy healing from the Saviour Gods, one of whom is called by the same name [109] as the Nile. We are all aware that the chief and ultimate cause of this is that they wish to keep us safe and healthy; but as for the design itself and the cause of what they prescribe in each case, who has ever yet been able to discover these? Indeed, they heal through the very things that are reputed to be utterly contrary, things against which one would be most on one's guard. So much, then, for this casual discourse, pronounced without forethought, quite *ex tempore*, just as the argument like a river led me on. (125) Nile is not only the greatest, but also the most beautiful of rivers, being far superior in service, in pleasure to the eyes, and in everything. It flows through the best and most beautiful land, and the sky [110] above the Nile is the fairest and the clearest for the eyes to behold. Although the land as a whole is filled full of water, the atmosphere above is drier than in any other land. That Egypt is, thanks to the Nile, immune from earthquakes, pestilences, [111] and deluges from heaven has not escaped the notice of my Greek predecessors. [112] These facts are realised, I fancy, by the Egyptians, and they celebrate on an ample scale the blessings of the Nile. Thus, I myself once heard it

---

spirit which the wise Pindar sets over these springs to preserve the due proportions of the Nile" : Parmeno in Athenaeus V.203 "O Nile, Egyptian Zeus!"

[109] The god synonymous with Nile is Apis, for the Egyptian name for the Nile was *hapi*. Three Saviour Gods were Asclepius, Serapis, and Isis.

[110] For praise of the fine climate of Egypt, see Wiedemann p. 322. Pliny *Hist. Nat.* 17.2 : "the air is always mild in Egypt."

[111] On earthquakes and pestilences, see Wiedemann p. 49 n. 322. Seneca (*Nat. Quaest.* VI.26) refers to the tradition that Egypt has never experienced an earthquake shock, but adds that, as a matter of fact, it *is* subject to earthquake. The "plagues of Egypt," now proverbial from the Bible story, were evidently unknown to Aristides.

[112] Greek predecessors : e.g. Herodotus II.77, Isocrates XI.12 f.

from a reputed authority on this subject, that the greater parts of the rites[113] practised at their festivals and sacrifices are devoted to the Nile.

---

[113] On the worship of the Nile, see Wiedemann p. 365. In Heliodorus IX.9 the Egyptian "laud and magnify the Nile as closely imitating Heaven, since, without help of snow or rain from the sky, it waters their ploughland, and unfailingly with ordered sequence irrigates their country every year."

THE SOCIAL CONDITION OF EGYPT UNDER PTOLEMY PHILADELPHUS

By

ZAKI ALY BARGOUT.

The establishment of a Graeco-Macedonian monarchy in Egypt was bound to bring about far-reaching consequences. Egypt was intended to be a territorial state in which the Macedonian dynasty supported on a thin upper layer of Macedonians and Greeks, was to rule over seven or eight millions of Egyptians. Only in this way could Ptolemy Philadelphus obtain a counterpoise to the masses of orientals. But to reconcile the conquered peoples to the new regime as his subjects, he left as far as possible their old arrangements in force and spared their traditional racial peculiarities.

Papyri shed a great light on this subject and elucidate, to a great extent, many of its aspects. By their help, one gets interesting little glimpses into the social conditions in Egypt, the social groupings of the people and their relation to the government officials and the kind of life they were leading under Philadelphus' regime. Sometimes a description given by Theocritus in his Idylls, or Callemachus in the Aitia or Athenaeus in the Deipnosophistae, [1] lights up a corner of the picture of the life of Philadelphus' reign. His celebrations, festivals, magnificent processions, his feasts to the multitudes and great dinners in honour of some foreign embassy at his court, helps to form an idea of the life of the upper class.

No other country is analogous to Egypt, where a European race bore rule over a more numerous native race. This European race was a minority amongst a native population who were not a primitive race but representatives of an ancient civilisation of which the newcomers stood in great awe. Moreover those European immigrants were not as a transient community of officials, soldiers and merchants

---

[1] Theocritus, Idylls, XIV, XV, XXII.
Theocritus, Deiphnosophistae IV, 184 b.

but settled in Egypt as their permanent home. Thus the population of Egypt under Ptolemy was not a homogeneous native population like they were under the Pharaohs. Two strata of population lived together within its borders: the European ruling race constituting the upper stratum and the subject mass of Egyptians, "véritable ruche humaine," [2] constituting the lower stratum. The native Egyptian speaking mass, who still formed the bulk of the population, were thrust definitely into a subjugative position under the Greeks and went on cutlivating the rich fields of the Nile in the ancient way for their new lords.

The Lagids were fond of boasting of their Macedonian blood and this feeling must have been mingled with some contempt for the natives to whom they referred with the word "enchoroi[3]" when they meant to speak of the Egyptians. Macedonians and Greeks considered themselves the superior type in contradistinction to the majority of the population, on whose labours the economic prosperity of the country depended, and with whom the Greek settlers were in daily contact. Philadelphus treated the natives frankly as a conquered race and kept a tight hold on the priesthood which constituted the only native aristocracy there was, and which was the great rallying point of national sentiment.

In the government departments, there were many chances of advancement of considerable profit for the Greeks, who drifted to the valley of the Nile, so rich and so full of opportunities for making one's fortune. All the higher posts in the central departments and the chief local offices were held by Greeks. Before the second century, it would be hard to cite a governor of a nome, a strategos who was an Egyptian. It seems, therefore, fairly certain that a native could not in the ordinary way rise above the rank of a nomarch, and Greeks were found even in the humblest official positions. This was an almost inevitable result of the conquest. Where the whole machinery of the government was a well disciplined bureaucracy, Ptolemy could have felt secure only when resting on a body of foreign officials who put new life into the old administrative machine.[4] As the official language was Greek, documents written in Egyptian were accompa-

---

[2] Précis de l'histoire d'Egypte (1932) tome I, 284.

[3] Natives.

[4] The Flinders Petrie Papyri, I-III, p. 102; Bouche-Leclercq in Revue des Etudes grecques, 1908, pp. 121.

nied by a note or a precis in Greek, before they were accepted from a native.

A whole foreign population from every corner of the Mediterranean world seems to have descended upon the valley of the Nile. The personal and fiscal status of these Greeks and foreigners was much better than that of the natives. Greek citizens were not subject to the impressed labour with which the natives were burdened, nor to the poll-tax, which was a sign of servitude.

The government was careful to have the status of every inhabitant of Egypt clearly defined and recorded. According to a rigid scale of rank, the Macedonians and Cretans were at the top, then came the citizens of the Greek cities and Hellenes of the 'chora,' then the Mysians and the Persians. The last became numerous in Upper Egypt, the least Hellenised part of the country. While superior to the mass of the natives, they were far below the Hellenes. Although much of this picture is conjectural, the following may be safely assumed as an essential feature of the framework of the kingdom that was constituted. The policy of the King did not aim at creating between the native peasants in the country and the aristocracy of the cities and court, a mixed Græco-Egyptian population. If that process of intermarriage and fusion of races was encouraged, the Greeks, being a minority, might be lost in a whole mass of native population.

LES VILLES SEPTENTRIONALES DE L'ORIENT ARABE, LEUR DISTRIBUTION GEOGRAPHIQUE

By

S. A. S. HUZAYYIN

Grâce aux fouilles récentes il devient de plus en plus clair que l'idée de la ville comme genre d'agglomération humaine est plus enracinée dans cette région du Proche-Orient que dans n'importe quelle autre région du monde. C'était probablement d'ici qu'elle se répandit vers l'Est (Inde, Asie Centrale et Chine), ainsi que vers l'Europe. A partir du VIe mill. av. J.-C., l'agriculture commence sur les bords du Nil et dans les bassins fermés et oasis dispersées du Croissant fertile ("Fertile Crescent" de Brestead). Il est presque certain que c'était par un changement climatérique qui s'accentuait peu à peu dès la fin de l'époque pluviale que les peuples chasseurs et collecteurs fûrent obligés de s'installer à proximité des eaux courantes et d'adopter un moyen productif de vivre au lieu de la chasse et de la récolte des fruits et des graines. Avec ce changement de genre de vie commence le petit village plus ou moins fixé. L'apparition de la ville proprement dite ne se fait qu'à partir du IVe mill. av. J.-C. Deux types prnicipaux de ces anciennes agglomérations peuvent être distingués dans la partie septentrionale de l'Orient arabe: 1) les villes administratives qui se trouvent surtout dans la plaine de la Mésopotamie méridionale et dans les petits bassins fermés au nord du Croissant fertile, 2) et les villes d'échange (aussi bien commercial que culturel) qui se trouvent aux points les plus favorables au contact entre deux ou plusieures régions ayant de genres de vie différents. Ce dernier type est particulièrement caractéristique des deux pourtours (interne et externe) du Croissant fertile. Il va sans dire qq'il y a toujours des cas exceptionnels où les villes ont rempli les deux fonctions. La distribution des agglomérations urbaines dans cette région est très intéressante au point de vue topographique. Dans la plaine de l'ancienne Sumérie. l'assèchement des marais à partir du IVe mill. av. J.-C. a rendu nécessaire l'établissement d'un certain

nombre de centres de pouvoir afin de garantir la sûreté générale des petits villages autrefois isolés les uns des autres par des marécages résidueis des inondations. Les villes anciennes de Lagash, Isin et Adab nous offrent des exemples de ce type. Les villes modernes de Tello, Amara, Divaniyah et Qout il-Amarah sont toutes des centres urbains importants dans la plaine d'Iraq al-Arabi. D'autres exemples de villes de bassins fermés seront cités, un peu plus loin, lorsqu'on étudiera le pourtour externe du Croissant fretile, particulièrement le côté irano-turanien.

Une série de villes d'échangc se trouve tout le long de la ligne de contact entre le désert arabique et les plaines du Croissant. A partir de la région du Chatt il-Arab, sur l'embouchure des fleuves mésopotamiques se trouvent des ports anciens tels que Charax et Abillah, ainsi que des villes modernes comme Basrah et Muhammarah. Cette région est assez élevée et elle a servi, pour ainsi dire, de pont sur lequel les tribus arabes ont traversé vers l'Arabistan — prvoince occidentale de la Perse et dont le nom est dérivé de celui des colonisateurs venus de l'ouest particulièrement à partir du VIIe siècle ap. J.-C. La côte s'avance toujours au dépens du Golfe Persique, et les villes et ports s'éloignent de plus en plus de la mer. Au nord de ce pont de Chatt il-Arab se trouve la région marécageuse de Khor il-Kelam et Khor il-Hammar. [1] C'est l'ancien lac de Chaldae dont l'écoulement devient de plus en plus difficile au fur et à mesure que le Chatt el-Arab s'élève. Il est intéressant de remarquer que les routes établissant le contact entre le désert et la plaine cultivée ont toujours été obligées de se tourner vers le nord afin d'éviter les marais chaldéens. [2] Ainsi on voit le développement de toute une série centres commerciaux et culturels immédiatement au nord de la zone marécageuse. Les villes anciennes d'Our, Erek et Senkere fùrent suivies par Soug il-Chioukh, Nasiriyah et autres. Un peu plus au nord encore, se trouve une autre zone de marais. C'est le Bahr il-Chinafiyah et le Bahr il-Nadjaf qui se relient, à l'Est de l'Euphrate, aux autres marais de Khor il-Afradj. C'est la Babylonie inférieure, qui formait la frontière traditionnelle entre la Sumérie et l'Akkad proprement dit. Les routes venant du Désert font également le détour et les villes se trouvent immédiatement au nord des marais. Les villes anciennes de

---

[1] Pour une carte assez claire de cette région v. R. Blanchard, « Asie Occidentale », t. III de la « Géographie Universelle », Paris, 1929, Fig. 32, p. 217.

[2] Entre d'autres facteurs poussant à ce détour, les chameaux qui n'ont pas d'ongles glissent très facilement sur un terrain humide.

Babylone, Kish, Anbar et Hirah fûrent suivies par Kirbila, Hillah, Nadjaf et d'autres. Le rôle historique de ce groupe de villes (sur l'entrée de la Babylonie) se compare très bien avec celui des villes qui marquaient l'entrée de la Sumérie (Gur et ses successeurs). Au nord de la Babylonie, au contraire, on est déjà hors de la région deltaïque à marais. [3]. Les caravanes ne sont jamais obligées de suivre une route bien définie. C'est une région de steppe plutôt que de désert, la plaine de la Mésopotamie ne fût jamais le centre d'une civilisation sédentaire comme la Sumérie ou l'Akkad. De plus l'absence du palmier-dattier (portant des fruits) a rendu très difficile l'établissement d'oasis qui puissent servir comme centres d'agglomération urbaine. Sauf, donc, dans des points très favorables à traverser l'Euphrate, telles que l'ancienne Zeugma et les villes modernes de Rakka. Deir el-Zour et Arah, il n'y avait presque pas de villes importantes sur le bord interne de la Mésopotamie. Du côté de la Syrie-Palestine, les villes (anciennes et modernes) marquent encore des points importants pour l'échange des marchandises et des idées. Ce côté du Croissant diffère de celui de l'Iraq et de la Mésopotamie en ce qu'il a une chaîne de montagnes qui sépare le monde arabe du désert du monde maritime de la Méditerranée. Des cols transversaux ont facilité le développement des villes sur leurs deux extrémités, — étant donné un site favorable. Tadmur (Palmyre), Hims et Dimashg (Damas) ont toutes servi comme intermédiaires entre deux mondes. De Tadmur les caravanes, venant de l'Est, atteignaient les Ports de la Méditerranée (Alexandrette, Antioche et Tripoli) soit par Halab (Alep) au nord des Monts Ansariyah, soit par Hims, au sud des mêmes montagnes. De Dimashg une route transversale conduit à Beirout par un col entre l'Hermon et les anti-Libans. Un peu plus au sud, le Massif fertiel de Harran est lié avec la côte (à Akka «Akre» et Haifa) par une route qui traverse le Jordain et passe par les centres urbains de l'Izdraelon. Et enfin, une autre route nous conduit du désert de l'Hedjaz sepetentrional jusqu'à Ghazzah (Gaza) en passant par l'ancienne Petra (ville capitale de la Nabatie). La distribution des ports sur la côte de la Méditerranée orientale est particulièrement intéressante. Ici on doit distinguer entre les deux sections de la côte, — la partie de la Phénicie proprement dite, et la partie méridionale de la plaine Levantine. La première est beaucoup plus favorable, par sa nature dentelée à l'établissement des ports commerciaux. Tyr, Sidon, Antioche, Akre, Haifa, Beirout, Tripoli et Alexandrette ont

[3] La ville de Hit sur l'Euphrate marque l'ancienne tête du Delta.

toutes joué un rôle plus ou moins important dans l'histoire du commerce de cette région. Au contraire les ports de la plaine côtière, (très basse) des Philistins sont très difficiles à maintenir. La vie dans cette plaine est plus liée à la terre qu'à la mer. L'ancienne Ghazzah et le port moderne de Jaffa ne peuvent comparer en rien avec les ports du Nord qui ont toujours servi comme l'entrée par excellence de l'Orient arabe. Les rois anciens des villes Jéricho, Jérusalem et autres dans l'intérieur de la Palestine (tel que le prophète marchand Salomon) ont toujours été obligés d'entrer en relations avec les villes de la côte phénicienne.

Au nord du Croissant fertile se trouve une série de petits bassins fermés dont chacun forme une sous-région géographique. Ils sont séparés de la plaine ouverte de la Mésopotamie par des petites chaînes de montagnes détachées du plateau irano-turanien. Ces chaînes, telles que le Karadja, le Djabal Abd il-Aziz et le Djabal Sindjar, attirent une précipitation plus élevée que la plaine ; mais comme l'eau se disperse dans des sources très nombreuses, affleurant tout au tour de la chaîne montagneuse, on ne trouve que des petites oasis rangées le long de la ligne des sources. Les villes, au contraire, se trouvent au centre des bassins entre les chaînes détachées et le plateau lui-même. Ces villes, parmi lesquelles on peut compter Halab (Alep), Nisibin, Urfa (ancienne Edesse), Mardin, Diarbakr, etc., ont joué un rôle important non seulement comme capitales régionales des petits bassins, mais aussi comme centres de commerce le long d'une route qui liait la Perse et l'Asie centrale à la Méditerranée. C'est par cette route que les empereurs de l'ancienne Perse ont maintenu leurs relations avec le monde méditerranéen. Au moyen-âge les princes et émirs de ces villes ont pu accumuler des richesses fabuleuses par la souveraineté sur les marchés, particulièrement pendant l'époque de l'ouverture des routes de l'Asie centrale sous la suzeraineté mongole. Il est également à rappeler qu'outre leur activité commerciale, ces villes ont pu maintenir une tradition presque ininterrompue d'art et de culture. Leur prospérité commerciale et leurs écoles de culture ont continué jusqu'à l'invasion turque qui fut suivie d'une époque d'obscurité et de recul.

Du côté Est du Croissant, une autre série de villes marquent encore les points de contact entre plateau et plaine. Susa, entre autres, fût le centre d'une civilisation sédentaire dès le commencement de l'époque néolithique (circa 6000-5000 av. J.-C.). Les rôles joués par les peuples du plateau d'un côté et ceux de la plaine de l'autre, dans le développement de la civilisation urbaine de cette zone de contact,

ne sont pas faciles à déterminer ; mais il est certain que la domination de ces villes de commerce et de culture (Ninive, Ophir, Musil, Baghdad, etc.) par l'un ou l'autre de ces peuples a souvent marqué de grands moments dans l'histoire du Proche-Orient. Comme exemple, la ville de Baghdad et ses prédecesseurs sur le même site (Seleucie, Ktésiphon et la Ville Ronde du Manscur) sont d'un intérêt particulier. Immédiatement après la campagne d'Alexandre la rive droite du Tigre fut choisie comme site de la nouvelle capitale grecque (Séleucie) qui avait son orientation vers l'occident. Quelques siècles après, les Parthes et les Sassanides, qui avaient comme centre le plateau d'Iran, ont transporté la capitale sur la rive gauche, et Ktésiphon (Mada'in des auteurs persans et arabes) est devenue plus importante que Séleucie. Quelques siècles après, les arabes sont arrivés, et Mansour avait sa Ville Ronde sur la rive droite. Mais lorsque les éléments persans et iraniens sont devenus suffisamment forts dans le « khalifat oriental », Baghdad fut établie sur la rive gauche. Depuis cette époque, cette dernière ville est restée comme la capitale de la région. Mais il est intéressant de remarquer que pendant les quelques dernières années, les éléments arabes sont devenus de nouveau les maîtres de la région, et que, comme capitale du nouveau royaume d'Iraq, Baghdad a régagné une forte orientation vers l'Occident. L'expansion de la ville sur la rive droite nous paraît comme inévitable.

*
* *

L'histoire générale des villes de la partie septentrionale de l'Orient arabe se divise, très brièvement, en quatres phases principales :—

I. A partir du IVe mill. av. J.-C. jusqu'à l'époque classique. C'est une phase pendant laquelle les relations entre les différents pays du Proche-Orient avaient un caractère plus ou moins local. Les relations d'échange entre les centres urbains du Proche-Orient et ceux de l'Inde, de l'Asie Centrale et de la Chine étaient « indirectes ».

II. Les époques classiques et arabes qui représentent au contraire, une période de relations mondiales. La campagne d'Alexandre a établi des relations « directes » entre les villes de la Méditerranée et celle de l'Inde et de l'Asie centrale. Vers le commencement de l'ère chrétienne, des marchands chinois sont arrivés pour la première fois dans l'Asie occidentale. C'est une période très importante non seulement dans l'histoire du commerce mais aussi dans l'évolu-

tion de la culture (religieuse, philosophique, artistique, etc.) du Proche-Orient. Les villes septentrionales de l'Orient arabe jouissaient d'une haute prospérité.

III. Epoque turque (à partir de la fin du XVe siècle) qui constitue, comme on le vient de le dire, une phase de dégradation et d'obscurité. Les chevaliers turcs ont pû prendre la place politique et sociale des arabes, mais ils n'ont pas pû poursuivre la vie commerciale que les caravaniers et marchands du désert et des villes arabes ont maintenue depuis les temps de l'empire gréco-romain. La distinction entre les Turcs chevaliers et les Arabes caravaniers, est importante au point de vue de la géographie sociale.[4] Il va sans dire que ce n'était pas seulement la découverte de la nouvelle route de navigation tout autour de l'Afrique qui a ramené la destruction du commerce et de la culture dans le Proche-Orient.

IV. Enfin il y a la phase moderne qui vient de s'ouvrir, particulièrement depuis la guerre. Non seulement la domination turque n'est plus, mais aussi de nouvelles routes entre la Méditerranée et l'Orient indien viennent d'être établies. Cela conduira, certainement, à un développement commercial dont les villes jouiront comme centres de transit et de distribution. L'effet du contact avec l'Occident et de la diffusion de l'idée de nationalisme se sentent dans la renaissance de la nouvelle culture arabe, et dans l'établissement de centres d'un caractère plus ou moins national.

[4] Il est à remarquer que lorsque les Turcs se sont installés dans l'Asie Mineure ils ont laissé la côte maritime aux marchands d'origine grecque. L'intérieur steppique de la peninsule fût le domaine turc par excellence. L'effort des Sultans turcs, particulièrement Soliman le Grand, à encourager les marchands étrangers (vénitiens et autres) à s'installer dans leur empire fût l'origine du système de Capitulations dans ces pays.

NOTES

THE EXCAVATIONS OF THE EGYPTIAN UNIVERSITY IN THE PREHISTORIC SITE AT MAADI

FOURTH SEASON (1934)

By

MUSTAFA AMER.

The fourth season's excavations of the Egyptian University in the prehistoric site at Maadi, under the direction of Professor Mustafa Amer began in January, 27th and ended in April 16th, 1934. Over 4,000 square metres were thoroughly cleared, besides several trial pits which were made in the surrounding desert and which resulted in extending the cultural limits of Maadi much further to the north than was at first expected. It now appears that the site belongs more to a fairly big town than to a mere village or a small settlement. Though the area so far excavated exceeds three and a half feddans, a much bigger area yet remains to be dealt with in the coming seasons.

During this season, we concentrated on the western part of the settlement, which in the past had suffered most at the hands of the Sebbakhîn, and which apart from some cursory examination had not been given much attention. The choice did not prove fruitless. Here many interesting finds were made, and some valuable archaeological material was collected.

Several big store-jars containing grain and other food-stuffs, as well as stone and earthenware vessels were found; and large cellar-holes cut deep in the virgin-soil, and sometimes attaining two metres in depth were much in evidence especially in the southern part of the settlement. Traces of basket-work, fragments of which were successfully preserved, were for the first time detected; and several excellent

examples of fire-places, mostly in the northern part of the settlement, were unearthed; the latter being far too big and too crowded together to represent anything but communal hearths.

Fœtus burials, both in pots and in the soil, were as usual everywhere conspicuous. But the most important find of the season is a burial of the type well-known in prehistoric Egypt. It is the first and only grave which has as yet been found at Maadi. This fact together with its presence amongst the habitations makes it of more than ordinary interest. As it was discovered at the end of the season, it is hoped that more burials will come to light when work is resumed next winter. The skeleton which belongs to an adult female lay in a hollow in a bent-up position, head towards the south, and face towards the west. Two earthenware vases, a fragmest of a limestone palette and a few other objects were found in the grave; and the bigger portion of a huge earthenware bowl covered the skeleton which was in a very bad state of preservation. Anthropologically, the Maadi skeleton, solitary as it is, has proved to be of great interest. The skull, being larger and wider and better filled than typical Upper Egyptian Pre-dynastic crania, shows some affinity towards the Merimde Beni-Selama finds, themselves slightly suggesting the existence in the Delta in those early times of people somewhat different from the primitive inhabtiants of Upper Egypt.

The site has again yielded a big collection of flint implements, including some wonderful knives and scrapers. Several bifaced tools including a few arrow-heads are especially worth noting. Of the highest importance, however, is a big axe of black stone; this together with a still more valuable copper-axe present something new unknown as yet at Maadi. That the early inhabitants of Maadi possessed and utilised copper axes was surmised from the first season's excavations. Concrete proofs, however, remained lacking until the discovery this season of the first copper-axe. Bone implements and a few exquisite tools of natural rock crystal also appear amongst our collection.

Objects in stone include many limestone vessels, one of which possessing ear-handles, three excellent basalt vases, and one basalt cup of fine workmanship. A huge limestone-mortar as well as several millstones of quite exceptional sizes were unearthed. Perfect specimens of limestone palettes with traces of the green, red and black colouring matters still showing on their smooth surfaces, as well as several fragments of slate palettes, were also found.

The pottery collected this season is again considerable. Our booty consists of one hundred and ten vases representing various types; and

that without including the store-jars of which we have several complete specimens. The whitish ware, often provided with handles, and already noticed in previous seasons as betraying non-Egyptian characters in appearance, is again represented by several examples. Of the painted ware we still do not possess anything but fragments; our collection is steadily increasing from one season to another, with new types always being added to it. The most outstanding examples, this season, are two big fragments, one belonging to a boat-shaped vessel painted red on a yellowish-grey slip, and the other being the lower portion of a red base-ring pot with black lines painted on the surface.

The collection of ornaments includes beads of various sizes and colours, pendants of limestone and gypsum, and a big variety of perforated sea-shells.

A good deal of the material which the site has yielded this season is not only new, but is of the highest value both from the scientific as well as from the artistic points of view; and the unexpected discovery of the first grave in the settlement has, no doubt, added a new element of interest to our investigations, and brought to the front quite new problems, which further excavations alone will help to solve.

UNIVERSITY OF EGYPT

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS

VOL. II. PART 2.

DECEMBER 1934

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year, in May and December. Price per copy 10 P.T. post free.
All communications are to be addressed
to the Hon. Sec. of the Editorial Board, Mr. Shafik Ghorbal,
Faculty of Arts, Giza, Egypt.

